التنظيم المدرسي والتحديث التربوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التنظيم المدرسي والتحديث التربوي

دراسة في اجتماعيات التربية الإسلامية

تأليف

الدكتور نبيل السمالوطي

أستاذ علم الاجتماع المساعد بكلية البنات - جامعة الأزهر

أستاذ العلوم الاجتماعية المشارك بكلية الشريعة واللغة العربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



للنشر والتوزيع والطباعة

برقيا: مشكاتنا - ص.ب: ٤١٤٦

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م



للنشر والتوزيع والطباعة

جدة - المملكة العربية السعودية - تليفون: ٢٦٦١٠ - ص.ب: ٤١٤٦ - س.ت، ٨٤٢٨ - برقيا: مشكاتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فإن النظام التربوي يحتل أهمية محورية داخل البناء الاجتماعي لأي مجتمع لأنه المسئول عن استمرار البناء الثقافي Cultural Structure وحفظ التراث الاجتماعي Social Heritage ومسئول كذلك عن عملية التنشئة الاجتماعية Socialization لأبناء ذلك المجتمع أو الاعداد الاجتماعي والعقدي والأخلاقي والتعليمي والمهني لهم . يضاف إلى هذا كله أن النظام الاجتماعي هو المسئول عن نمو الحياة الاجتماعية وعن التنمية الاجتماعية والاقتصادية وكافة أنواع التنمية النوعية ، لأنه يمد المجتمع بما يحتاجه من كفايات فنية وكوادر إدارية وتخصصية . ويمكن القول بأن استمرار الثقافة وحفظ التراث الذي يحققه النظام التربوي داخل أي مجتمع لا يمثل عملية إستاتيكية جامدة تؤدي إلى ما يطلق عليه القصور الذاتي الثقافي Cultural Inirtia حيث يكتفي بنقل ثقافة السلف إلى الخلف دون إضافة أو تجديد ، ولكنه يمثل عملية حركية دينامية حيث يتحقق من خلال العملية التربوية التجديد والابتكار والاضافة إلى البناء الثقافي القائم والتراث الاجتماعي المنقول عن السلف ـ خاصة في مجال الثقافة المادية ـ الأمر الذي يمكن أن يسهم في تقدم المجتمع .

وإذا كان النظام التربوي يعد ضرورة إجتماعية Social Imperative داخل أي مجتمع فإن المجتمعات تختلف من حيث المضامين التربوية Educational Contents كما تختلف من حيث أهداف العملية التربوية وأساليب تحقيقها .

ويدرك المتتبع للفكر التربوي وللدراسات المختلفة التي أجريت حول

إجتماعيات التربية Sociology of Education ، أن العلماء ورجال التربية أصبحوا أكثر إدراكاً للدور الاجتماعي للتربية وربطها بعدة حقائق تتعلق بحاجات الأفراد وحاجات المجتمع وطبيعة العصر وما يسوده من علوم طبيعية واجتماعية وتطبيقية ، الأمر الذي انعكس بجلاء على عدة متغيرات تربوية هامة مثل المنهج وطرق التدريس وأسلوب إعداد المعلم وعملية الادارة المدرسية ووظائفها وأنماطها والعلاقات الاجتماعية المعقدة داخل البناء المدرسي أو النسق المدرسي School System وأسلوب التنظيم المدرسي وعلاقة المدرسة كتنظيم بالمجتمع المحلي Community ـ بكل تنظيماته ونظمه ـ وبالمجتمع العام Society بما يتضمنه من عموميات ثقافية Cultural Generalities وقيم وأهداف عليا وفلسفة اجتماعية واقتصادية وسياسية . هذا كله إلى جانب الدور الذي يلعبه البناء التربوي ـ بكل أشكاله ومضامينه ـ في خدمة خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع . . .

وعلى الرغم من وجود مجموعة من الاتجاهات والنظريات المتصارعة على مسرح الفكر التربوي وعلى مسرح التطبيق التربوي في الدول المختلفة ، إلا أن هناك شبه اتفاق نسبي على ضرورة ربط العملية التربوية بحاجات الأفراد واحتياجات المجتمع وعلوم العصر وتكنولوجياته المختلفة . ويمكن القول أن التناقض والصراع الواضح في الاتجاهات والنظريات والتطبيقات التربوية تنبثق عن اختلاف المذاهب الاقتصادية والأيديولوجيات والخلفيات الفكرية ، فبعض الاتجاهات تحيل الفرد إلى مجرد أداة في خدمة المجتمع بشكل مسرف يفقد الفرد كرامته وإنسانيته ، وبعضها يحيل الفرد الى سيد متسلط تسخر من أجله العملية التربوية بكاملها . وفي مقابل هذه النظريات المتصارعة المتناقضة هناك النظرية الإسلامية في التربية التي تستمد أساساً من كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة ، تلك النظرية التي حققت بشكل معجز التنمية المتكاملة للإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وتنظيم علاقاته بربه وبالآخرين ، كما توظف هذه التربية في خدمة المجتمع تماسكاً وتكاملاً وقوة وتنظيماً . وإذا كانت التربية في نظر الاسلام تعد الإنسان الصالح الذي يتسم بسمات متميزة للشخصية ويكون عائدها المعنوي هو هذه الشخصية الإسلامية المتميزة بإيمانها واستقامتها وصدقها وصمودها

أمام الشدائد والمحن ، ويكون عائدها الاجتماعي بناء المجتمع المتكامل المتماسك المتكافل القوي ، فإن التربية الإسلامية لا تغفل العائد الاقتصادي للتربية كاستثمار - وهو ما يتحدث عنه اليوم علماء التربية تحت اسم « اقتصاديات التعليم » .The Economics of Education

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أبرز المكانة المتميزة التي يحتلها النظام التربوي الإسلامي بين مختلف النظم التربوية المغربية والمشرقية ، تلك النظم التي تتخبط وتتصارع وتتناقض بسبب انطلاقها من خلفيات وضعية وهنا تبرز أهمية التربية الإسلامية وسلامة منطلقاتها ، لأنها تنطلق من كتاب الله وسنة نبيه الكريم . وقد عرضت في الفصل الأول لقضيته التنظيم من حيث مفهومه ومبادئه ونظرياته ، وعرضت في الفصل الثاني لقضية التنظيم المدرسي أودراسة المدرسة كتنظيم وعالجت في الفصل الثالث مفهوم التحديث التربوي ومناقشته من المنظور الإسلامي ، وعرضت في الفصل الرابع لقضية التنشئة الاجتماعية كقضية تربوية ودور المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية ، وعالجت في الفصل الخامس أهم الاتجاهات التربوية في الفكر الاجتماعي الحديث والمعاصر في العالم الغربي ، وأنهيت الكتاب بمعالجة مفصلة للنظرية التربوية الإسلامية تتضمن بيان أسسها ومنطلقاتها وأهدافها وأساليبها وعلاقتها بالصحة النفسية

هذا وبالله التوفيق ،

دكتور نبيل السمالوطي

ربيع ثاني سنة ١٤٠٠ هـ
مارس سنة ١٩٨٠ م

الفصل الأول

التنظيم : مفهومه ونظرياته

١ - مقدمة
٢ - تعريف التنظيم
٣ - العملية التنظيمية والعملية الإدارية
٤ - العملية الإدارية : مهامها ووظائفها
٥ - مبادىء التنظيم الاداري
٦ - كيف يمكن تصميم الهيكل التنظيمي لمؤسسة ما؟
٧ - النظرية التقليدية في التنظيم ونقدها.
٨ - النظريات الحديثة في التنظيمات
٩ - نظرية « ميرتون »
١٠ - نظرية « سلزنيك »
١١ - نظرية « جولدنر »
١٢ - النموذج الإسلامي للتنظيمات

مقدمة

يدرك كل باحث في شئون المجتمعات الحديثة سواء المتقدمة أو الآخذة بأسباب النمو والتقدم ، أن المجتمعات الحديثة هي مجتمعات التنظيمات الكبرى نتيجة للأخذ بالتكنولوجيا الحديثة في مجالات التصنيع والتعليم والتنظيمات الحكومية واسعة النطاق ، ونتيجة لتعاظم مسئوليات الدول النامية عن توفير الخدمات العامة الأساسية لأبنائها ، حيث أصبحت الحكومات تحاول أن توفر لشعوبها تعليماً عصرياً حتى أعلى المراحل التعليمية العليا ، وصحة أفضل من خلال التنظيمات الصحية كالإدارات الصحية والمستشفيات والوحدات الصحية المتخصصة والمستوصفات ، ومسكناً أنسب تتوافر فيه الشروط الصحية ، ودخلا أعلى ، ووسائل مريحة وسهلة للنقل والمواصلات ، وإحلال الجهد الآلي محل الجهد البشري ، هذا إلى جانب توفير السلع والخدمات ـ مثل مياه الشرب النقية والكهرباء والطرق المرصوفة . . . الخ وكافة السلع والخدمات الأخرى بالكم والكيف والتوقيت والمكان والسعر المناسب ، وصولاً بهذه الدول إلى مستوى الدول المتقدمة علمياً وتكنولوجيا في غرب أوربا ، مع الاحتفاظ بقيمنا الإسلامية الرفيعة المستمدة أساساً من كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة ، عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وأعتقد أن هذه هي المعادلة الصعبة في حياة الدول الإسلامية، وتتمثل في السؤال الآتي: كيف يمكن نقل التكنولوجيات الغربية ـ الانتاجية المادية والاجتماعية ـ الادارية والتنظيمية والتعليمية ـ دون أن تتسرب إليها الثقافة الغربية متمثلة في القيم والمبادىء الانحرافية والعلاقات المفككة المنهارة والتي تتعارض تماماً مع مبادىء ديننا الحنيف التي يؤدي التمسك بها إلى ظهور التماسك والتكامل

الاجتماعي في إطار مجتمع فاضل يسوده التعاون والاخاء والمحبة والرخاء والعمل البناء والعلاقات الراضية المرضية بين الجميع .

وقد طرحت عدة تساؤلات حول التحديث والتنمية ، هل يعني نقل تكنولوجيات وعلوم الغرب ، ضرورة نقل قيمه وعاداته وأفكاره ونظمه ؟ وهذا هو ما يطلق عليه بعض علماء الغرب مصطلح الصياغة الغربية للمجتمعات النامية Westernization [1]. وإذا كان بعض العلماء مثل « بيجل » Beagle و« لوميس » Loomis يجيبون على هذا السؤال بالإيجاب ، فالواقع التاريخي والمعاصر يخالف ذلك . فقد كان المجتمع الإسلامي خلال نهضته الكبرى هو مصدر العلم والمعرفة ومركز إشعاع الثقافة والحضارة للعالم كله ، وقد انطلق العلماء الرواد في دراساتهم من منطلقات إسلامية خالصة وتحت تأثير التوجيهات الإسلامية كما جاءت في الكتاب والسنة ، والواقع أنه لا يوجد دين يحض أبناءه على العلم والتقدم مثل الإسلام ، وليست علوم الغرب وتقنياته المختلفة المعاصرة سوى محصلة العلوم الإسلامية بعد أن طوروها وأضافوا إليها من خلال المنهج العلمي التجريبي - الذي سبقهم إلى اكتشافه العلماء المسلمون خاصة علماء الفقه والأصول (مثل مبدأ دوران العلة مع المعلول وجوداً وعدماً ، والقياس والاستنباط . . .) - وليسوا هم كما يدعون ، فقد ظهر المنهج التجريبي عند العرب وطبقوه فعلاً في دراساتهم (مثل جابر بن حيان) قبل ظهور « روجر بيكون » أو « فرانسيس بيكون » F.Beacon بعدة سنوات تقدر بمئات السنين. [2] - فإذا ما نقلنا اليوم التكنولوجيا الغربية - سواء في المجال المادي - أجهزة وآلات - ، أو في المجال الاجتماعي - تخطيط وتنظيم وإدارة وتعليم . . . - الخ فكأننا نسترد بضاعتنا بعد أن طوروها ، تلك البضاعة التي انبثقت أصلاً في ظل القيم والمبادىء والتصورات الإسلامية . هذا من المنظور التاريخي ، أما من المنظور المعاصر فإن هناك عدة نماذج أمامنا تتعلق بنقل تكنولوجيات الغرب المادية والاجتماعية مع الاحتفاظ بالأصالة الثقافية في المجال المعنوي وفي مقدمتها النموذج الياباني[3] . فالكاتبة اليابانية « تشي ناكاني » «T.Nakani» تشير في دراسة لها عن « العلاقات الاجتماعية في المجتمع الياباني » إلى أن الإنسان الياباني - على عكس الإنسان في المجتمعات الغربية المتقدمة - لا يشعر بالانتماء إلى جماعة معينة أو إلى مهنة أو إلى

طبقية بعينها ، ولا حتى إلى حي أو قرية أو مدينة ، ولكن شعوره بالانتماء يتركز على تنظيم العمل Work Organization الذي يتكسب منه مثل تنظيم المصنع أو المزرعة أو المدرسة . . . الخ. والعلاقات التي تسود في اليابان هي العلاقات الأولية أو الشخصية Primary Relations فمدير شركة « مينو سوبتش» وهي شركة صناعية كبرى تعادل أكبر الشركات الصناعية الأمريكية يشعر بالانتماء إلى عامل الغلاية أو العمال غير المهرة أكثر من انتمائه إلى مديري الشركات الأخرى . ولهذا يطلق على مثل هذا النوع من المجتمعات المجتمع الرأسي Vertical Society ، حيث يشعر العاملون داخل وحدة العمل - ذات التدرج الرأسي في المراكز والأدوار والسلطات - بالانتماء إلى بعضهم البعض أكثر مما تشعر كل فئة بالانتماء إلى الفئات العرضية المماثلة داخل المجتمع . وتشير الباحثة المذكورة إلى أن هذا هو سبب الالتزام والانضباط التنظيمي. ولم تتأثر التقاليد اليابانية بالتنمية الاقتصادية ، فقد أوضح «بريان بيدهام» B. Biedham وهو باحث اجتماعي بريطاني - خلال دراسة له بعنوان «اليابان قوة عظمى من نوع جديد » أن الظواهر التي كانت سائدة خلال العصر الإقطاعي الياباني « توكوجار » لم ولن تتأثر بحركة التحديث الهائلة التي يشهدها المجتمع الياباني ، كما أنها لم تتأثر بحركة الانفتاح على مجتمعات الغرب . وقد بنى « بيدهام » رأيه استناداً إلى أن البناء الاجتماعي لليابان لم يتغير كثيراً خلال قرن كامل تخلله عدة حروب عالمية ، كذلك فقد استمر نظام تقليدي قديم في مجال العمل على الرغم من التغير الصناعي والتحديث الكامل للمجتمع وهو نظام العمل مدى الحياة داخل مؤسسة واحدة . وحتى النظم المستحدثة عندما دخلت إلى المجتمع الياباني اتخذت شكلا مختلفاً يتفق مع التقاليد التاريخية لذلك البلد ، لدرجة أن بعض الباحثين يذهب إلى أن اليابان ليست أمة بالمعنى الحديث لكنها قبيلة كبيرة.

وقد أوردنا النموذج الياباني إلى جانب النموذج التاريخي للمجتمع الإسلامي لإثبات أن نقل التكنولوجيا - المادية أو الاجتماعية . يمكن أن يتحقق دون حتمية نقل القيم والثقافة المنحرفة للعالم الغربي . ونستطيع الاحتفاظ بالأصالة الإسلامية بقيمها ومبادئها السامية في ظل استقدام أحدث تكنولوجيات الغرب المادية أو التنظيمية . ومعيار التمايز الإسلامي بين البشر ، ليس المنصب أو الموقع التنظيمي أو

الثراء أو اللون أو العنصر ، لكنه ـ وفي المحل الأول ـ التقوى والالتزام بالعقيدة الإسلامية فكراً وسلوكاً « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللهِ أَتْقَٰكُمْ » (الحجرات ١٣) وبالعلم « يَرْفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ » (المجادلة ١١) وبالشعور بالانتماء الى الإسلام يتجاوز حدود المهنة والعمل والطبقة . . .

تعريف التنظيم

يدرك من يبحث تراث الدراسات التنظيمية تنوع النظريات والاتجاهات وتعارضها ، فهناك المدرسة التقليدية ، وهناك المدرسة السلوكية ، وهناك المدرسة الاجتماعية . . . . إلخ ونكتفي هنا بعرض بعض تعريفات التنظيم كما عرضها أهم الباحثين . فيذهب « جون جوس » J.Gaus إلى أن التنظيم هو الشكل الذي تتضافر من خلاله الجهود الإنسانية من أجل تحقيق هدف عام ومرسوم . .[٤]

ـ ويذهب « سايمون » H.Simon إلى أن التنظيم يؤثر على الأعضاء الذين يعملون في إطاره من خمس زوايا مختلفة هي :[٥]

أولاً : التنظيم يقسم العمل بين العاملين ـ أعضاء التنظيم مثل المدرسين وأمناء المعامل والمكتبات وأعضاء السكرتارية والأعمال المالية والكتابية داخل المدرسة ـ ونتيجة لتحديد الاختصاصات فإن التنظيم يركز اهتمام الموظف ـ من حيث الجهد والوقت ـ على الدور المحدد له ويحدد نشاطه في إطار هذا الدور.

ثانياً : التنظيم يحدد أسلوباً نمطياً للعمل ، وينجم هذا عن طبيعة الإجراءات المفصلة والقواعد المحددة التي يضعها التنظيم من أجل تحديد أسلوب سير العمل ، وهكذا لا يترك الحرية لكل عامل لأن يقرر الإجراءات والقواعد التي يجب اتباعها في كل حالة .

ثالثاً : التنظيم يتضمن مجموعة من أساليب الاتصال بحيث يستطيع نقل القرارات من أعلى لأسفل ومن أسفل لأعلى أو على المستوى الأفقي ، هذا إلى جانب أنه يمد الموظفين بالمؤشرات والمعايير التي توضح لهم طرق أداء العمل .

رابعاً : وجهاز الاتصال داخل المنظمة لا ينقل القرارات فحسب ولكنه ينقل كذلك كل أنواع المعلومات من أوامر واقتراحات وحتى الإشاعات ، وذلك من خلال شبكة للاتصالات الرسمية إلى جانب الاتصالات غير الرسمية (الشخصية) .

خامساً : ويحقق التنظيم تدريب وتنمية العاملين فيه ، وذلك من خلال توفير مختلف أساليب التدريب للموظفين وتزويدهم بالمعلومات وتنمية مهاراتهم ، من أجل مساعدتهم على اتخاذ قرارات أفضل بما يتفق مع حاجات التنظيم .

وهذا يعني أن التنظيم يمثل تقسيم العمل وتوزيع الوظائف في إطار علاقات عمل مخططة ، والتنظيم يهدف إلى توفير المهارات والمسئوليات من خلال تكوين الإدارات والأقسام والمكاتب ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وتحديد أساليب الإشراف والتوجيه والتنسيق بين مختلف الأقسام والادارات من أجل تحقيق الهدف الكلي للتنظيم (المدرسة مثلا ـ هدفها الكلي تخريج الطلاب وقد تمت تنميتهم جسمياً وسلوكياً ـ عقلياً واجتماعياً وانفعالياً ، وتأهيله التأهيل الذي يتفق مع طبيعة المدرسة والمرحلة العمرية للطلبة والمرحلة الدراسية ذاتها) ونستطيع القول إن التنظيم الرسمي هو الذي يحدد الوظائف والاختصاصات والسلطات وخطوط الاتصال وأساليب التوجيه والتقييم والثواب والعقاب . . . الخ.داخل المنظمة .

ويذهب « ديموك » M. Dimock إلى أن التنظيم هو التجميع المنهجي أو المنطقي للأجزاء المترابطة لتؤلف كلا موحداً تمارس من خلاله السلطة والتنسيق والرقابة ، من أجل تحقيق الهدف الكلي للمنظمة(٦) . وحسب تصور « ديموك » فإن التنظيم يتضمن الهيكل التنظيمي ـ بما يشتمل عليه من خرائط وأنظمة وقواعد وتعليمات وإجراءات ـ وأعضاء التنظيم الذين يؤلفون الأقسام والإدارات والذين يؤدون العمل ويدخلون في علاقات خلال أدائهم العمل ، والذين يجب أن يوجهوا ويُحَفَّزُوا وينسق بين أعمالهم ، من أجل تحقيق الهدف النهائي للمنظمة بالكم والكيف المخطط المطلوب . ولا يمكن في نظر هذا الباحث الاقتصار في دراسة التنظيمات على الهيكل التنظيمي (خطوط السلطة والتقسيم إلى رؤساء ومرؤوسين

وإدارات وعلاقات عمل وسلطة . . . الخ.) فحسب دون أخذ أعضاء التنظيم في الاعتبار لأن ذلك سوف يبعدنا تماماً عن البناء الواقعي للتنظيمات .

ويذهب « براون » A.Brown إلى أن التنظيم هو الذي يحدد ذلك الجزء الذي يتوقع أن يؤديه كل عضو من أعضاء المشروع أو المؤسسة والعلاقات بين كل عضو والآخر (كالعلاقة بين المدرسين بعضهم ببعض وعلاقتهم بوكيل المدرسة وعلاقة المدير بأعضاء أسرة المدرسة ككل . .) الأمر الذي يؤدي الى أن تكون الجهود المنسقة على أعلى درجة من الكفاءة من أجل تحقيق هدف المشروع أو المؤسسة*[٧] .

أما « جيمس موني » J.Mooney فإنه يرى أن التنظيم هو الشكل الذي يحقق من خلاله التعاون الإنساني من أجل تحقيق هدف عام مخطط[٨] .

ويشير « ألن » «L.Allan» إلى أن التنظيم يعني البناء الذي ينجم عن تحديد وتجميع العمل ، وتحديد وتفويض المسئوليات والسلطات وإقامة العلاقات**[٩] .

أما ليندال إيرويك L.Urwick فهو يعرف التنظيم بأنه تحديد للأنشطة الضرورية من أجل تحقيق أي هدف (إنتاج مادي في مصنع أو إنتاج اجتماعي في المدرسة مثلاً) وترتيبها وتنظيمها في أقسام أو مجموعات يمكن تكليف الأفراد بأدائها .[١٠]

وعلى الرغم من الاختلافات التفصيلية في تعريف التنظيم بين العلماء ، فإن هناك مجموعة من العناصر التي يتضمنها مفهوم التنظيم الاجتماعي (سواء في مجال الصناعة (مصانع) أو في المجال التعليمي (مدارس) أو في المجال الطبي (مستشفيات) . . . وكما يتمثل في المجال الحكومي أو المجال الأهلي . . . الخ.) وهذه العناصر هي :

---

*Organization defines the part which each member of an enterprise is expected to perform, and the relations between each member, to the end that their concerted emdeavour shall be most effective for the purpose of the enterprise.

** Organization refers to the structure which results from identifying and grouping work, defining and deligating responsibility and authority, and establishing relations.

أولاً : وجود هدف أو مجموعة من الأهداف الواضحة والمتفق عليها والمطلوب إنجازها .

ثانياً : وجود مجموعة من الأفراد (الموظفين) يقومون بأداء أعمال متخصصة وتقوم بينهم علاقات تنظيمية وشخصية خلال أدائهم لهذه الأعمال .

ثالثاً : تعاون هؤلاء الأفراد وتنسيق نشاطهم المتخصص بشكل يحقق الهدف العام للمنظمة التي يعملون فيها ومن أجلها .

العملية التنظيمية والعملية الإدارية

يمكن القول بأن التنظيم هو أحد العناصر الهامة للعملية الإدارية أو هو وظيفة أساسية من وظائف الإدارة بمفهومها الواسع . فالتنظيم يتمثل في تحديد الأقسام والإدارات والوظائف المطلوب إنجازها من أجل تحقيق هدف أو أهداف محددة ، وهو الذي يحدد نوع المهارات المطلوبة ويحدد المسئوليات والاختصاصات من خلال توزيع الموظفين على التخصصات المختلفة المطلوبة ، بحيث يمكن من خلال أساليب الاشراف والتوجيه والتدريب والتقييم تحقيق التنسيق بين الأنشطة وحسن أداء الوظائف من أجل تحقيق الأهداف . وإذا كانت الإدارة مسئولة عن إقامة التنظيم بالشكل والمفهوم السابق إلى جانب القيام بعدة وظائف أخرى كالتخطيط والتوجيه والتقييم . . . الخ . . الخ. فإن إقامة الهيكل التنظيمي دون إدارة ناجحة سوف يؤدي إلى فشل هذا الهيكل وضياع الموارد المادية والبشرية دون تحقيق فعال للهدف . ولعل أبرز الأمثلة على هذا هو الإدارة الفاشلة في مصنع أو مدرسة أو مستشفى . . . فإذا ما أحسنّا إقامة البناء التنظيمي لمدرسة وزودناها بأمهر الأساتذة والمتخصصين في الشئون المالية والمختبرات والمكتبات . . . من خلال أحسن أساليب الاختيار والتوظيف وكفلنا لها كل الامكانيات التعليمية والتربوية من مبان وأجهزة وكتب ووسائل تعليمية . . الخ . سوف لا تحقق الأهداف التربوية إذا وضعنا على رأسها مديراً فاشلاً لا يحقق العدل بين العاملين ، ويفشل في اجتذاب تعاون المدرسين والعاملين وينفرهم في العمل ويفشي الصراعات بينهم ولا يحسن

معاملتهم ، الأمر الذي يؤدي إلى التسيب والفوضى والصراعات الداخلية . . . . مما ينعكس على الهدف الرئيسي للمدرسة كمؤسسة تربوية . ونفس الشيء ينطبق على المصنع أو المستشفى . . . الخ . فمن الناحية النظرية قد نتمكن من إقامة بناء تنظيمي نموذجي يتوفر له كل المقومات العلمية والفنية المطلوبة ، غير أن مجرد إقامة هذا البناء لا يمثل الضمان الحقيقي لنجاح المنظمة في تحقيق أهدافها ، ذلك لأن هذا النجاح يتوقف على كيفية إدارة العنصر البشري من القوى العاملة وكيفية حفزهم واستثارة التعاون بينهم وتحقيق التنسيق بين أنشطتهم وتحقيق حاجاتهم الاجتماعية والنفسية المتعددة ومراعاة الفروق الفردية بينهم ، ومراعاة ما يطلق عليه علماء الاجتماع التنظيم غير الرسمي Informal organization الذي ينشأ من العلاقات الشخصية والمعايير والقيم الفردية والجماعية التي تظهر خلال العمل والتي قد تتفق أو لا تتفق مع مبادىء التنظيم الرسمي Formal-O متمثلة في قواعد وتنظيمات العمل والاختصاصات الرسمية الواردة بالقواعد الرسمية المنظمة للعمل داخل التنظيم (مدرسة أو مستشفى أو مصنع أو مؤسسة تجارية . . . الخ).[١١]

ومصطلح الإدارة من المصطلحات الاجتماعية التي يصعب الاتفاق على تعريفها بسهولة لأنه يتعلق بمتغيرات إجتماعية وثقافية وإنسانية ويقع ضمن العلوم الاجتماعية التي يعوزها ـ حتى الآن ـ الضبط المنهجي السائد في العلوم الطبيعية . وحتى في مجال ترجمة المصطلحات فقد حاول معهد الادارة العامة إخراج ترجمة لبعض المصطلحات في علم الادارة (مطبوعات المعهد سنة ١٩٥٨) غير أنه بقي بعض المصطلحات مختلفاً على ترجمتها مثل :

1 — Institution. 2 — Dinamic. 3 — Organization. 4 — Rational. 5 — Span of control. 6 — Bureaucracy. 7 — Counterpart.

وهناك العديد من المصطلحات المختلف عليها من دولة لأخرى من حيث مفاهيمها مثل مصطلح الإدارة ذاتها . فقد نص دستور الولايات المتحدة الأمريكية ـ على سبيل المثال ـ على أن رئيس الجمهورية يسمى Chief executive أو رئيس التنفيذيين ، ولهذا يعد مصطلح المنفذ Executive أرقى من مصطلح ـ الإداري Administrator . وذلك على عكس الحال في إنجلترا حيث تصنف الخدمة المدنية

هنــاك Civil Sirvice إلى طبقتــين ـ الطبقــة الأرقــى هي الطبقــة الإدارية Administrative class ، تليها طبقة المنفذين أو الطبقة التنفيذيةExecutive class . ولعل اختلاف مفهوم المصطلحات من دولة لأخرى تبرز أهمية الدراسات المقارنة.

وترجع كلمـة الادارة Administration إلى أصـل لاتينـي Ad = to ministrare=serve وهذا يعني أن المصطلح في اللغات الأجنبية يعني «الخدمة»، على اعتبار أن من يتولى أمر إدارة تنظيم أو مؤسسة يقوم بأداء خدمة الآخرين . ويمكن تعريف الإدارة على أنها العملية الاجتماعية أو مجموعة العمليات التي يتم من خلالها تعبئة القوى البشرية والمادية والمالية وتوجيهها بشكل تعاوني من أجـل تحقيق هدف المنظمة أو الجهاز الذي توجد فيه ـ مدرسة أو مصنع أو إدارة . . . الخ . أو هي محاولة توجيه جهود الأفراد(العاملين داخل مؤ سسة أو تنظيم عمل Work organization من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف المخططة في أسرع وقت ممكن وبأقل جهد وتكلفة ممكنة وبأعلى درجة ممكنة من الكفاية. أو هي وسيلة لإيجاد تعاون مثمـر بين الأفراد ـ المتخصصين ـ من أجل تحقيق أهداف معينة . ويتضح من أي تعريف للعملية الادارية أن محور العملية الادارية هو العنصر البشري ، وكيف يمكن تحقيق أعلى قدر ممكن من الاستثمار لجهود الأفراد وتخصصاتهـم والتنسيق بـين جهودهـم المختلفة ، وهذا هو ما يحيل العملية الإدارية إلى عملية اجتماعية في المحل الأول ، طالما أنها عملية إنسانية واقتصادية وسياسية ، تحاول تحقيق أهداف محددة ومدروسة بأكفأ استخدام للإمكانيات المتاحة ، من خلال توفير أفضل ظروف نفسية واجتماعية ممكنة للإنجاز . وتكمن صعوبة العملية الإدارية في أن إدارة الإنسان بالإنسان أشق كثيراً من إدارة آلة بآلة أو إدارة الآلة بالإنسان . فعلى المدير الناجح التـوفيق بـين حاجات الأفراد وأساليب إشباعها ـ مثل الحاجة إلى الأمن المادي والنفسي وإلى التقدير وإلى التعبير عن الذات وإلى الحرية وإلى الشعور بالانتماء . . الخ . مع مراعاة الفروق الفردية بين العاملين ، حيث أن كل عامل له مشكلاته وتطلعاته وأسلوب تعاملـه وطاقاته . . . الخ ، أقول أنه على المدير التـوفيق بـين هذه الحاجـات الشـخصية للعاملين معه ـ على اختلاف مشاربهم ـ وبين حاجات المنظمة التي يديرها ، وعليه تكتيل وحفز وتعبئة سلوك العاملين من أجل تحقيق الهدف العام المخطط. ويقـول آخر: فإن العملية الإدارية الناجحة يجب أن تحقق مطلبين أسـاسيين هما الإنتـاج

(التربوي أو الصناعي - مقاساً بمعايير محددة) والصحة النفسية للعاملين (إشباع حاجات العاملين الجسمية والنفسية والاجتماعية في إطار من الإيمان والخلو من الصراعات والقدرة على العمل والإنجاز وعلى تكوين علاقات راضية مرضية مع الآخرين) . وعلى هذا فلا يمكن اعتبار أن تحقيق الهدف وحده دليل على نجاح الإدارة . فقد تحقق مدرسة معينة نتيجة ممتازة بالنسبة للتحصيل الدراسي ، كما تحقق نتيجة ممتازة على مقياس النظام والانضباط ، غير أن تلك النتيجة وذلك النظام قد يتحققان على حساب الصحة النفسية للتلاميذ ، وعلى حساب تنمية شخصياتهم بشكل متكامل - عقلياً واجتماعياً وانفعالياً وجسمياً وسلوكياً . . . الخ . وكم من الأهداف تحققت في ظل أقسى أنواع التعسف الإداري وإهدار القيم التربوية الدينية والمبادىء الأخلاقية ومثال هذا عملية حفر قناة السويس في مصر .

ويذهب « والدو » D.Waldo في دراسة له عن الإدارة العامة إلى أن مبدأ الاقتصاد أضيق من أن يكون هدفاً للدراسات الإدارية ، ذلك لأن الاقتصاد في النفقات أو التوفير فيها ليس هو المقياس الوحيد لصلاحية الإدارة . كذلك فإن مفهوم الكفاية Efficiency خضع في العلوم السلوكية الحديثة لتحليل دقيق حيث رفض المفهوم الاقتصادي التقليدي للكفاية ونظر إليه على أنه مفهوم آلي وسلبي وضعيف ، واستبدل علماء اجتماع التنظيم Sociology of organization مفهوم الكفاية الانتاجية ، بالمعنى الاقتصادي - بمفهوم الكفاية الاجتماعية الشاملة الذي يتضمن الكفاية الاقتصادية للمنظمة (مدرسة أو مصنع أو مؤسسة) والكفاية النفسية والاجتماعية للعاملين ، والكفاية التربوية للتلاميذ في حالة المنظمات التربوية .

ويمكن القول أن الإدارة الناجحة هي التي تستطيع استثارة تعاون اختياري Voluntary co-operation وليس تعاوناً إجبارياً Compulsory بين العاملين ، وتهتم بأهداف المنظمة كما تهتم بإدارة العاملين كبشر لهم شخصياتهم ويوجد بينهم فروق فردية من المشكلات والاحتياجات والميول والاستعدادات والآمال والتطلعات والمخاوف ومستويات الذكاء والقدرات الخاصة والطاقة على العطاء . . . الخ . والإدارة الناجحة هي القادرة على استثمار هذه الطاقات بأحسن شكل ممكن وتوظيفها

في خدمة أهداف المؤسسة أو المنظمة بشكل يشعر العاملين بالتقدير والانتماء والقدرة على التعبير الحر عن أنفسهم . وهذه هي في جوهرها أسس الإدارة التي تتسم بالرشد Rationality وهي من أساسها إدارة أفراد أو إدارة بشر.

ويعرف « دوايت والدو » D .Waldo الإدارة بأنها نوع من الجهد البشري المتعاون الذي يتسم بدرجة عالية من الرشد.(١٢)

والعملية الإدارية لها طرفان أساسيان هما : المدير وجماعة العمل . فالمدير هو الذي يقوم باتخاذ القرارات على أساس تقديرات دقيقة للنتائج ، ويقوم بتوفير المصادر المادية والبشرية ويوزعها على الأقسام ويحدد السلطات والمسئوليات ويقوم بتحقيق التعاون والتنسيق بين الجهود البشرية وحفزها من أجل الوصول إلى أهداف التنظيم ، وعليه أن يعمل كمعلم للجماعة وحكما بينها ، وهذا يتطلب مجموعة من السمات الشخصية للمدير أهمها المعرفة الفنية باللوائح والعمل الذي يديره وبسلطاته وعلاقاته برؤسائه ومرؤوسيه إلى جانب المهارة الادراكية العالية أي القدرة على النظرة الشاملة للموضوعات التي تعرض عليه ، إلى جانب النضج الانفعالي والمبادأة والابتكارية والمهارة الاجتماعية من حيث مهارات إقامة علاقات طيبة مع الآخرين وتجميعهم وحفزهم للعمل والتعاون الاختياري . . . الخ. أما جماعة العمل ، فهم مجموعة من الأفراد المختلفين ـ نفسياً وتخصصياً ومن حيث شخصياتهم وظروفهم ومشكلاتهم ، لكنهم يتفقون ـ أو من المفروض كذلك ـ في العمل من أجل هدف واحد ، وينتج من تفاعلهم داخل التنظيم ظاهرة جديدة أكبر من محصلة جهودهم فرادى. وفي هذا المعنى يقول « برنارد » Bernard : « عندما تنسق جهود خمسة من الرجال في منظمة ما ، تنشأ حالة جديدة أو شيء جديد ، يختلف من حيث الكم والكيف عن مجموع جهود هؤلاء الخمسة ، وهذه الظاهرة هي التي تجعل العملية الادارية ترتبط بمواقف معينة أكثر من ارتباطها بأفراد معينين.

تتضمن العملية الإدارية عدة مراحل تستهدف تحقيق مجموعة من الأهداف المخططة . والواقع أنه لا يوجد اتفاق بين العلماء على تحديد هذه العمليات بشكل واضح ، هذا إلى جانب استحالة الفصل بين مراحل العملية الادارية نظراً لتداخلها . ويمكن القول أن هناك اتفاقاً عاماً بين العلماء على أن العملية الإدارية تتضمن التخطيط والتنظيم ، ولكنهم اختلفوا فيما عدا ذلك . فهناك من يذهب إلى أنه إلى جانب عمليتي التخطيط والتنظيم فإن العملية الادارية تتضمن التوجيه والرقابة ، ومنهم من يضيف التنسيق والتقرير والتمويل ، والبعض يذهب إلى أن العملية الادارية تتضمن التخطيط والتنظيم والتوجيه وتنمية الاداريين وتدريبهم والرقابة ، ويضيف آخرون على ذلك العلاقات العامة . وقد قدم « لوثر جيليك » L.Gulick كلمة تركيبية تجمع في حروفها كافة بدايات حروف العمليات المتضمنة في الإدارة وهي كلمة POSDCORB :

التخطيط P Planing	التنسيق Co Co - Ordinating
التنظيم O Organization	التقرير R Reporting
التوظيف وتعيين الهيئة S Staffing	التمويل B Budgeting
التوجيه D Directing	

ويذهب بعض الباحثين إلى أن التوظيف Staffing ليس من عناصر العملية الإدارية وإنما وضع حرف S لتحسين النطق. ومن هذا العرض نخلص إلى أن التنظيم هو أحد وظائف الادارة ، وأن الإدارة الماهرة ضرورة لنجاح التنظيم في تحقيق أهدافه المخططة ، لأن الإدارة هي التي تحرك البناء التنظيمي نحو أهدافه ، وهي بذلك ـ بعد تخطيط البناء التنظيمي ـ تختص بادارة العاملين داخل التنظيم مسترشدة بأساسيات علوم الاجتماع والنفس والإدارة . وبناء على هذا نستطيع تشبيه التنظيم بعلم التشريح حيث يخطط البناء النظري للمنظمة تشريحياً ، أما الإدارة فانها تشبه علم الحياة أو وظائف الأعضاء ، حيث أنها هي المسئولة عن تحريك البناء

التنظيمي نحو أهدافه بشكل يأخذ في الاعتبار أهداف التنظيم وحاجات الأفراد وخصائصهم الشخصية وطبيعة المجتمع المحلي والمجتمع العام وأهدافهما العليا. ونستطيع - اعتماداً على هذا التحليل القول بأن العلاقة بين التنظيم والإدارة علاقة تفاعلية.

ومنظمة العمل هي المحصلة الإيجابية للتفاعل بين ثلاثة عوامل أساسية وهي:

(١) حاجات الفرد - العاملين - الإجتماعية والنفسية (الحاجة إلى الأمن والتقدير والحب والانتماء والحرية والتعبير عن الذات)، ويمكن الرجوع في هذا الصدد الى تصور ماسلاو للحاجات).

(٢) حاجات وأهداف ومتطلبات التنظيم (السلوك التنظيمي) كما يحددها البناء الهيكلي للتنظيم (أقسام ووظائف واختصاصات وسلطات ومسئوليات وأساليب اتصال وتنسيق ولجان... الخ)

(٣) النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع المحلي والعام والأهداف العليا للمجتمع - وهي على سبيل المثال: تطبيق الشريعة الإسلامية بمبادئها السمحة المستمدة من الكتاب والسنة داخل المجتمع الإسلامي.

مبادىء التنظيم الاداري

تعد هذه المبادىء مسألة استرشادية ليست صادقة صدقاً مطلقاً ذلك لأنها تعد مبادىء نظرية صورية إلى حد كبير، وقد ظهرت أغلب هذه المبادىء مع ظهور النظرية التقليدية للتنظيمات والفكر الكلاسيكي في الادارة العلمية (وأهم روادها تايلور Tylor وفايول H.Fayol ، ولوثر جوليك L.Gulick ، وإرويك L.Urwick وموني Moony) .[١٤] وعلى الرغم من اعتراض « هربرت سيمون H.Simon وأنصار الاتجاه السلوكي Behavioral trend في دراسة السلوك الاداري على هذه المبادىء على أساس أنها تنبثق عن تصور مثالي صوري يفترض العقلانية الكاملة للإنسان Total Rationalization وخضوعه المطلق بشكل آلي مع متطلبات وقواعد وتعليمات التنظيم، وهو ما ثبت خطؤه وعدم انطباقه على كل الحالات والمواقف التنظيمية، تلك المواقف التي لا تحددها حاجات التنظيم الرسمي

فحسب ، وإنما يحددها تفاعل متطلبات التنظيم الرسمي (القواعد والتعليمات الموضوعة داخل التنظيم كالمدرسة مثلاً) مع متطلبات أعضاء التنظيم (كبشر لكل منهم حاجاته المشتركة مع غيره وحاجاته ومشكلاته ومخاوفه وتطلعاته الشخصية) وتفاعل هذين العاملين مع المؤثرات الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع المحلي والمجتمع العام معاً ، أقول إنه على الرغم من صدق اعتراضات أنصار الاتجاه السلوكي ، إلا أنه بقي لهذه المبادىء فائدة كموجه لمخططي التنظيمات لا بد من الاسترشاد بها عند محاولة بناء تنظيمات فعالة سواء على المستوى الحكومي أو على مستوى المؤسسات الخاصة ، مع ضرورة الاسترشاد بمحصلة الدراسات الاجتماعية والسلوكية التي كشفت عن وجود علاقات ومعايير وقيادات غير رسمية داخل وحدات العمل الكبرى (مدرسة أو مؤسسة تجارية أو مصنع أو إدارة . .) وهي ما يطلق عليه « إلتون مايو » E. Mayo وزملاؤه من أنصار حركة العلاقات الانسانية في أمريكا « التنظيم غير الرسمي Informal organization » . ونستطيع إيجاز أهم مبادىء التنظيم الاداري فيما يلي (١٥) :

أولاً : مبدأ ضرورة وأهمية التنظيم Principle of organization importance :

يعد التنظيم ـ كتقسيم للعمل وتحديد للمسئوليات وتوضيح للرئاسات والسلطات ضرورة في أي عمل يتضمن أكثر من فرد واحد ، ضماناً لحسن أداء العمل وتحقيق الهدف من خلال التعاون . قال عليه السلام : إذا خرج اثنان فليؤمر أحدهما الآخر .

ثانياً : مبدأ الهدف Principle of the objective :

يدرك دارس التنظيمات أن كل منظمة تنشأ أساساً لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف المرسومة ، وهذه الأهداف هي التي تحكم سلوك المنظمين في بناء الهيكل التنظيمي للمنظمة وتحديد التخصصات المطلوبة وإذا كانت هناك أهداف فرعية لكل قسم من أقسام التنظيم ، فإنه يجب أن يكون هناك تنسيق بين هذه الأهداف من أجل تحقيق الهدف العام . وعلى سبيل المثال فإن تنظيم المصنع يختلف عن تنظيم المدرسة نظراً لاختلاف الهدف فهو الإنتاج المادي بكم وكيف معين لسلعة

محددة في الحالة الأولى ، وإنتاج اجتماعي وتنشئة إجتماعية وثقافية لتلاميذ في مرحلة عمرية محددة وتنمية شخصيتهم بشكل مخطط تربوياً وتهيئتهم لمتابعة دراسة أعلى أو ممارسة مهنة أو حرفة في الحالة الثانية . ولعل هذا الهدف هو الـذي يحكم تقسيم المصنـع إلى إدارات للانتـاج والصيانـة والمشتـريات والمبيعـات والتسـويق والدعاية . . . . الخ. وتحديد طبيعة المؤهلات العلمية والشخصية المطلوبة داخل كل إدارة . . . . الخ. وهو الذي يحكم تقسيم المدرسة إلى إدارة - مدير ووكيل مع تحديد اختصـاص كل منهما وهيئة لتـدريس اللغـة العـربية ، العلـوم الـدينية ، المواد الاجتماعية . . . الخ . حسب طبيعة المدرسة ، وقسم للسكرتارية والحسابات وأمناء مختبرات ومكتبات ومخازن ومسئول عن الوسائل التعليمية . . . الخ . وكل قسم له هدف يسهم في تحقيق الهدف الكلي للمنظمة وهو ما يطلق عليه وحدة الهدف .

ثالثاً : مبدأ الوظيفة وسيادة علاقات العمل والأدوار
Principle of position and Role relations

يقسم أي تنظيم - مدرسي أو صناعي أو صحي أو تجاري - على أساس تحديد مجموعة الوظائف والأدوار المطلوبة ، وتوصيف كل وظيفة Job description من أجل اختيار الشخصيات التـي تتوافـر فيهـا الشروط اللازمـة ، فالوظيفـة هي الوحـدة الأساسية التي يتألف منها التنظيم ويجب ألا تتأثر الوظيفة بشاغلهـا . فالقواعـد التنظيمية هي التي تحدد واجبات ومسئوليات وحقوق شاغل الوظيفة ، وهي أمور ثابتة على الرغم من اختلاف الموظفين . وهذا هو جوهر التمييز بين الدور Role وشاغل الدور Role occupant في علم الاجتماع ويجب أن تكون العلاقات بـين العاملين علاقات أدوار Role relations وليسـت علاقـات شخصية Personal relations .

رابعاً : مبدأ التخصص وتقسيم العمل Specialization and devision of Labor :

إذا كان التنظيم هو نوع من التكنولوجيا الاجتماعية التي تعتمد على أعلى درجة من الرشد ، فإن متطلبات الكفاية الانتاجية تتطلب التخصص الدقيق ، غـير أن هناك آثاراً اجتماعية سيئة لهذا التخصص المفرط وهو تفتيت العمل وفقدان الإرتباط بين

الجزء والكل مما يؤثر على الروح المعنوية للعاملين ويفقدهم المشاركة والشعور بالانتماء إلى المنظمة التي يعملون فيها . ومن هنا يجب التوفيق بين متطلبات الكفاية الانتاجية للمنظمة ومتطلبات الكفاية الاجتماعية والنفسية للعاملين من خلال عدة أساليب من الاجتماعات واللجان والأخذ بأسلوب الشورى في الإدارة وتحسين أساليب الاشراف الفني . . . الخ .

خامساً : مبدأ وحدة القيادة أو وحدة إعطاء الأمر Unity of command :

يتمثل هذا المبدأ في ضرورة وجود رئيس واحد لكل موظف يتلقى منه الأوامر والتعليمات منعاً من التعارض الممكن بين الأوامر ، وحتى ينال المشرف أو الرئيس في العمل احترامه بين العاملين ، ومنعاً من الصراع بين المشرفين أو رؤساء العمل . ومثال هذا يجب أن يترك تحديد أسلوب التحضير للدروس في المدرسة للموجه الفني ويجب ألا تتعارض تعليمات الموجه الفني مع توجيهات مشرف المادة أو المدرس الأول أو وكيل المدرسة أو مديرها.

سادساً : مبدأ تكافؤ السلطة مع المسئولية
Parity of responsibility and authority

إذا كان كل عامل له مجموعة من الواجبات المحددة والحقوق الواضحة فهو يقوم بعملية اتخاذ قرارات من أجل تنفيذ الواجبات في إطار ما يخول له من الصلاحيات . وهو يحاسب عن إداء واجباته بالكم والكيف المحدد . وحتى تكون المحاسبة على حق يجب أن يخول من الصلاحيات ما يكفل حسن أداء واجباته بالشكل المطلوب ، فلا يمكن محاسبة موظف عن واجبات ليس له حق اتخاذ اللازم نحو تنفيذها . ويجب أن نميز هنا بين السلطة والنفوذ أو التأثير Influence . فيجب أن يتحول الرئيس الإداري الناجح إلى قائد للجماعة أو للمرؤوسين . فالسلطة لها الحق في اتخاذ القرارات المنظمة للعمل والتي تجبر المرؤوسين على اتخاذ أنماط سلوكية معينة إلزاماً ، أما النفوذ فهو التأثير على سلوك الآخرين التزاماً وليس إلزاماً (وهو ما يطلق عليه السلطة غير الرسمية) والرئيس الناجح هو الذي يجعل مرؤوسيه ينفذون التعليمات التزاماً وليس إلزاماً.

سابعاً: مبدأ تدرج السلطة Hierarchy of authority
ومبـدأ تفويض السلطة Deligation of authority

في التنظيم التربوي والتعليمي في أي مجتمع تبدأ السلطة من وزارة التعليم التي تصنع السياسة التعليمية وتعتمدها من مجلس الوزراء وتعد الجهة الرئاسية المتخصصة لكافة المدارس ، ثم تتدرج السلطة منها إلى الإدارات أو المديريات التعليمية ثم تتدرج حتى تصل الى مستوى المدارس . ولا شك أن السلطات تتدرج من أعلى إلى أسفل بشكل يحقق تكافؤ السلطة مع المسئولية ومبدأ نقل وتحويل الصلاحيات من القمة إلى القاعدة (مواقع العمل الميداني كالمدارس والمستشفيات والوحدات الزراعية . . . الخ) هو ما يعبر عنه بمبدأ تدرج السلطة . وعلى مستوى الوحدة الميدانية كالمدرسة أو المصنع أو المستشفى . . . يجب أن يكون هناك تخويل سلطات للمتخصصين ، وهذا التخويل يأخذ صورة نقل السلطة (إذا كان للموظف الحق في اتخاذ قرارات معينة لصالح العمل بناء على القانون المنظم للمنظمة) مثل سلطات مدير المدرسة المحددة بالقانون في كثير من الدول ، أو يأخذ صورة تفويض السلطات (وهو نقل حق التصرف واتخاذ القرارات إلى المرؤوسين تحقيقاً لمبدأ تدرج السلطة والتعادل بين السلطة والمسئولية كما هو الحال بالنسبة لوكيل المدرسة فسلطته في أغلب الأحيان تتم بتفويض من مدير المدرسة) وهذا التفويض لا يعني انتقال المسئولية إلى المرؤوس الذي فوضه الرئيس في جزء من سلطاته ، إذ تستمر مسئوليات هذا الرئيس ويكون مسئولاً عن أخطاء المرؤوسين أمام رؤسائه على أساس أنه لم يحسن تفويض سلطاته ولم يحسن الإشراف ومتابعة مرؤوسيه . ولا يحق للمرؤوس الذي تنتقل إليه السلطة بالتفويض في أن يفوض غيره فيما فوض هو فيه ، ويجوز لرئيس العمل أن يسحب تفويض سلطاته عند اللزوم . والواقع أن تفويض السلطة داخل تنظيم العمل Work organization له العديد من الآثار الاجتماعية والنفسية الحسنة إذا أحسن استخدامه ، لأنه يشعر المرؤوسين بأهميتهم ويمنحهم القدرة على الابتكار ومواجهة المواقف الواقعية بفعالية ولا شك أن مدير المدرسة هو الرئيس الميداني الذي يواجه مواقف واقعية وهو المسئول عن المدرسة فيجب أن يترك له قدر من الصلاحيات في مواجهتها ، وإذا كان معه وكيل يجب أن

يفوض له جزء من سلطاته و يجب عليه إشراك أقدم المدرسين معه في مسئولية الاشراف للاستفادة من خبراتهم التربوية الطويلة وتحقيق حاجاتهم إلى التقدير والتعبير عن الذات والأمن والحرية . . ، هذا إلى جانب أن تفويض السلطات للمرؤوسين هو أحد أساليب تربيتهم وتدريبهم على تحمل المسئولية واكتساب الخبرات بالممارسة والعمل .

ثامناً : مبدأ نطاق الاشراف أو التمكن Span of control :

لكل رئيس عمل أو مشرف على مجموعة من الناس ، قدرة محددة على الاشراف ومتابعة مرؤوسيه بكفاءة . ولهذا فإن عدد العاملين الذين يكلف شخص ما بالاشراف عليهم ، يجب أن يكون محدوداً حتى يتم الاشراف بصورة فعالة . ولا شك أن هذا العدد يختلف باختلاف عدة متغيرات مثل طبيعة العمل (يدوي أم عقلي ، روتيني أم ابتكاري ، ماهر أم غير ماهر . . . الخ.) وقدرة الرئيس أو المشرف (مؤهل تأهيلاً عالياً أم متوسطاً أو بالخبرة وما قدرات الشخص الإشرافية وسمات شخصيته)وقدرة المرؤوسين (درجة تأهيلهم وسماتهم الشخصية) وقرب أو بعد الموظفين عن المشرف المباشر على عملهم . . . الخ. كما يتوقف على مدى توافر العوامل المساعدة لتجميع وتحليل البيانات ومعاونة المشرف أو الرئيس في تحليل البيانات واتخاذ القرارات ومتابعة مرؤوسيه . والعامل الهام في تحديد عدد المرؤوسين لكل مشرف أو رئيس عمل هو المدى الذي يستطيع فيه الرئيس الاستمرار في الإشراف على مرؤوسيه دون أن يفقد القدرة على متابعتهم في أداء أعمالهم .

ويرتبط نطاق التمكن بعدد الاتصالات الرأسية (بين رئيس العمل ومرؤوسيه) والأفقية (بين المرؤوسين بعضهم البعض) . فإذا ما أشرف شخص على موظفين ، فإن عدد الاتصالات بين الجماعة يكون عددها (٦) اتصالات (رأسية مباشرة م ، ب م وأفقية مباشرة ب ، جـ - رأسية غير مباشرة م، جـ عن طريق ب - وم، ب عن طريق جـ) . فإذا ارتفع عدد المرؤوسين إلى ثلاثة بدلاً من إثنين يرتفع عدد الاتصالات إلى (١٨) بدلاً من (٦). ويمكن التعبير عن عدد حركات الاتصال داخل جماعة العمل بالمعادلة التالية[١٦] :

عدد حركات الاتصال = $ن \left[\frac{٢^{ن}}{٢} + (ن - ١) \right]$

و (ن) هنا تعبر عن عدد المرؤوسين .

وفي حالة وجود (٢) مرؤوسين ، فإن عدد الاتصالات =

$$٢ \left[\frac{٢^{٢}}{٢} + (٢ - ١) \right] = ٦$$

وفي حالة وجود أربعة مرؤوسين فإن عدد الاتصالات =

$$٤ \left[\frac{٢^{٤}}{٢} + (٤ - ١) \right] = ٢٨$$

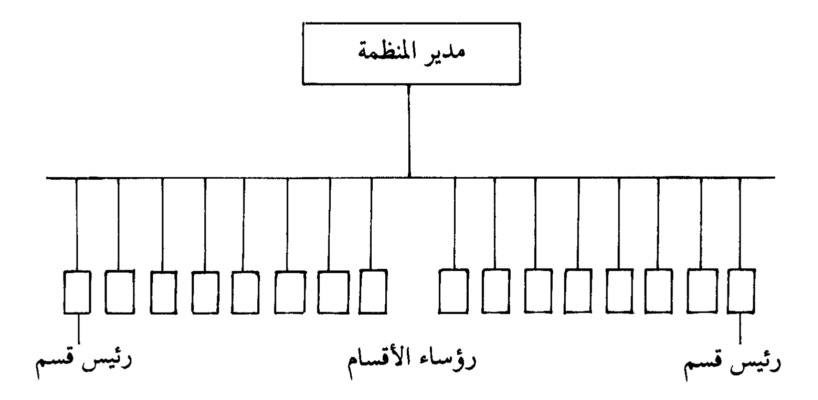
وقد توصل العلماء من خلال التجريب والأبحاث الميدانية إلى أن الحد المناسب بالنسبة للإشراف على الأعمال الذهنية (٦) مرؤوسين) ، وأن الحد المناسب للإشراف على الأعمال الروتينية يتراوح من ٢٥ ـ ٣٠ مرؤوساً . ويمكن زيادة هذه الأعداد من خلال دعم قدرات المشرفين بأجهزة استشارية ومساعدين فنيين وأجهزة لتحليل المعلومات . . . الخ .

تاسعاً : مبدأ قصر سلسلة الأمر أو سلسلة إصدار الأوامر

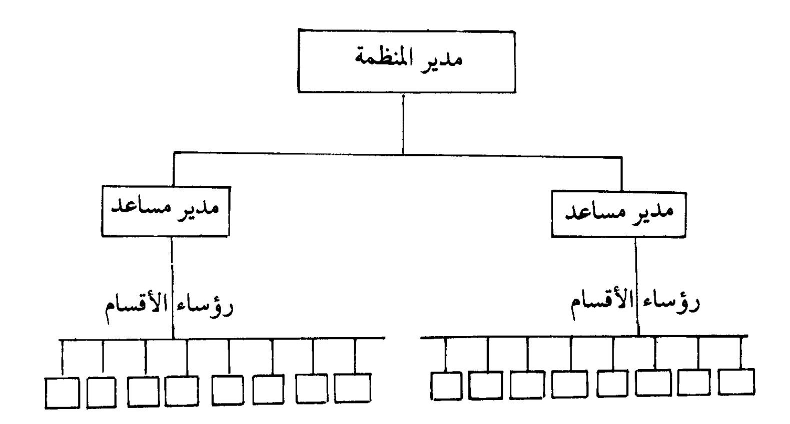
Short Chain of Command

تتوقف فعالية إنجاز الأعمال على قصر خط السلطة أي اختصار المراحل التي يجب أن تمر فيها الأمور حتى يصدر القرار النهائي بشأنها داخل تنظيم العمل ـ ويعني تقصير خط السلطة أي اختصار المراحل أو الرئاسات الوسيطة بين مدير عام التنظيم وأصغر مستويات التنظيم الإدارية ، حتى يكون الاتصال شبه مباشر بقدر الإمكان ، وحتى لا ينجم عن طول خطوط الاتصال تحريف غير متعمد للمعلومات والتعليمات . غير أن «هربرت سايمون» لاحظ بحق أن قصر خط السلطة يتعارض مع مبدأ نطاق الاشراف أو التمكن ، حيث لو زاد نطاق التمكن (وهذا لا يحقق كفاءة الاشراف الفني) يقل خط السلطة . وبالعكس فإنه لو قل نطاق التمكن طال خط السلطة ، أي أن العلاقة بينهما عكسية ويمكن أن يتضح هذا من الشكل الآتي :

شكل يمثل إتساع نطاق الاشراف مع تقليل المستويات الادارية (نطاق الاشراف (١٦) وعدد المستويات الادارية (٢))



شكل يمثل ضيق نطاق الإشراف مع كثرة المستويات الإدارية أو خطوط السلطة (نطاق الاشراف (٨) وعدد المستويات الادارية (٣)).



وبوجه عام نستطيع القول أنه يجب الملاءمة دائماً بين نطاق الإشراف الفعال الذي يكفل كفاءة الإشراف والرقابة والمتابعة ، وبين طول خط السلطة المناسب الذي يكفل سهولة الاجراءات وانسيابها وسهولة الاتصال بين الادارة العليا والمستويات الدنيا للادارة . وتتجه المنظمات الحديثة إلى تجاوز هذا التعارض بعدة أساليب من أهمها الاستعانة بالعناصر الاستشارية ووسائل الاتصال الفعالة وبأساليب تجميع وتحليل البيانات الحديثة . . . الخ .

عاشراً : مبدأ التوازن والمرونة Balance and Flexbility

تحتاج المنظمات باستمرار الى تحقيق التوازن بين عدة أمور خلال بناء هيكلها التنظيمي وتحديد المسئوليات والتخصصات . . ، فهي في حاجة إلى تحقيق التوازن بين السلطات والمسئوليات ، وبين نطاق التمكن وقصر خط السلطة تحقيقاً لفعالية الاتصال وفعالية إنجاز الأعمال ، وبين مبدأ المركزية واللامركزية ، وبين أهداف المنظمة وبين حاجات العاملين النفسية والاجتماعية ، وبين أهداف المنظمة وأهداف المجتمع المحلي والأهداف العليا للمجتمع العام .

حادي عشر : مبدأ الكفاية Efficiency

يشير مبدأ الكفاية إلى إمكان التوصل لتحقيق أهداف التنظيم (أهداف تربوية في المدارس والمعاهد والجامعات ، وأهداف اقتصادية في المصانع والمتاجر . . . وأهداف خدمة عامة في البلديات . . . الخ.) بأقل ما يمكن من التكاليف والوقت، وبأعلى جودة وبأقل ما يمكن من التكاليف أو النتائج غير المتوقعة .

ثاني عشر : مبادىء العلاقات الانسانية Human relations principles

وتتمثل أساساً في مبادىء الأخلاق الإسلامية التي تقوم على أساس الشريعة السمحة مثل حسن الاختيار والتوجيه بشكل لا يجرح إحساس العاملين ، وتنمية الموظفين وتوعيتهم دينياً لتحمل المسئولية التزاماً وليس إلزاماً، إلى جانب الأخذ بأسلوب الشورى في إصدار القرارات داخل العمل .

كيف يمكن تصميم الهيكل التنظيمي لمؤسسة ما ؟

هناك عدة خطوات يجب الاسترشاد بها عند تصميم الهيكل التنظيمي لمنظمة ما وهي[١٧]:

أولاً : تحديد الأهداف بوضوح ، ثم تحديد أوجه النشاط الذي يجب أن ينفذ حتى تتحقق هذه الأهداف بأقل تكلفة ممكنة . وهدف وزارة التربية والتعليم أو وزارة المعارف توفير التعليم المجاني لجميع أبناء البلاد وهو هدف يتحقق من خلال تحقيق مناشط فرعية هي توفير التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي العام والمهني والجامعي لأبناء الدولة.

ثانياً : تقسيم وتجميع أوجه النشاط في وحدات إدارية (مثل إدارة التعليم الابتدائي ، أو إدارة التعليم الثانوي، أو المهني . . . الخ.ويراعى عدة اعتبارات عند بناء الوحدات الإدارية الفرعية للمنظمة ، أهمها استفادة من التخصص وضمان تحقيق التنسيق والبدء بالأهم فالمهم وتسهيل الرقابة وتخفيض التكاليف.

ثالثاً : ضمان تحقيق التنسيق بين جميع الأقسام الفرعية بشكل يحقق الهدف الكلي للمنظمة.

رابعاً : بعض المنظمات تبنى من أعلى إلى أسفل ، مثل إنشاء منظمة بقرار من الادارة العليا في المجتمع (مرسوم ملكي أو قرار من مجلس الوزراء) يقرر إنشاء منظمة ـ مثل وزارة معينة أو ديوان الموظفين ويعين له رئيس ثم يتولى الرئيس تشكيل الادارات والأقسام . . . الخ.وقد تبنى المنظمة من أسفل لأعلى . فقد يكون هناك قسم يتولى أداء أنشطة معينة داخل منظمة (مثل إدارة الشباب وإدارة العمل وإدارة التعاون . . داخل وزارة الشئون الاجتماعية في مصر في الماضي) ثم ما تلبث هذه الإدارات الفرعية إلى التضخم لتصبح وزارات قائمة بذاتها.

خامساً : تتكون الوحدات الإدارية (مصالح ـ وزارات ـ إدارات . . الخ.) من عدة وحدات في شكل هرمي أقلها الوظيفة وهي الوحدة الأساسية لأية منظمة (وتتمثل من واجبات ومسئوليات وأنشطة محددة) . ومجموعة وظائف متماثلة في

هدفها تشكل قسماً ، ومجموعة أقسام تشكل الإدارة ، ومجموعة الإدارات تشكل الوزارة أو المصلحة . وتختلف المسميات باختلاف الدول ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً تبدأ الوحدات الإدارية الكبرى بالادارة Department وهي تعادل الوزارة ، ثم المكاتب Bureaus ، ثم الشُعَبْ Devisions ثم الأقسام Sections ، ثم الوظائف Positions وفي انجلترا هناك Department ثم الجناح Wing ، ثم الشعبة Devision ، ثم الفرع Branch ، ثم القسم Section ، ثم الوظيفة Position . وفي المملكة العربية السعودية لا يوجد توحيد من المسميات والتقسيمات الإدارية وبوجه عام هناك الوزارات والرئاسات ، والمصالح ، والمديريات ، والإدارات ، ثم الأقسام وأخيراً الوظائف.

طرق تجميع أوجه الأنشطة داخل المنظمات

هناك عدة طرق لتجميع الأنشطة داخل المنظمات أهمها ما يلي :

أولاً: التنظيم على أساس الهدف الأساسي أو الوظيفة . فكل وظيفة أو هدف كبير تؤسس له منظمة لتحقيقه ، مثل إنشاء وزارة للتعليم ووزارة للزراعة ووزارة للدفاع . . . الخ.وهذا هو المبدأ المأخوذ به في دول العالم .

ثانياً : التنظيم على أساس المهنة ، ويتمثل في تجميع ذوي الاختصاص في منظمة واحدة تقوم على أساس مهني ، مثل إنشاء مصلحة للأشغال العامة تضم المهندسين ، الذين يقدمون خدماتهم لمختلف الوزارات ، وتلجأ الكثير من الدول إلى إنشاء إدارات فرعية متخصصة في الهندسة ـ مثلاً ـ داخل الوزارات والإدارات التي تقام على أساس الوظيفة ـ مثل الإدارة الهندسية في وزارة التعليم وإداراته بدلاً من الاعتماد على تنظيم هندسي مستقل تحقيقاً لسرعة الاتصالات وكفاءة أداء الخدمة .

ثالثاً : التنظيم على أساس جمهور المنتفعين ، مثل إنشاء إدارات لرعاية الشباب مثلاً لتقديم خدمات متخصصة لتوعية معينة هم الشباب .

رابعاً : التنظيم على أساس الموقع الجغرافي ، كما يحدث أن توجد وزارة المعارف أو التعليم إدارات تعليمية في مختلف المناطق ، ونفس الشيء بالنسبة

لإدارات الزراعة والصحة . . . الخ . بهدف تيسير تقديم الخدمة وسرعة البت في الأمور وتخفيف عبء العمل عن الوزارة . وتنقسم الأجهـزة الإدارية ، من حيث طبيعة العمل الذي تقوم به ، ومن حيث السلطة التي تتمتع بها إلى ثلاثـة أقسـام وهي :

(١) الأجهزة الخطية أو التنفيذية Line agencies ، وهي أجهـزة السلطـة التنفيذية ، وهي المسئولة عن تقديم الخدمات للجمهور وتتمتع بسلطـات تنفيذية وإصدار القرارات الملزمة مثل كافة الوزارات المختلفة .

(٢) الأجهزة المساعدة Auxiliary agencies ، وهي الأجهزة العامـة التـي تقوم بتقديم الخدمات التخصصية للأجهزة التنفيذية (كالمصالح والوزارات) ومن أمثلة الأجهزة المساعدة جهاز الموظفين أو الخدمة المدنية الذي يقوم بمهام تعيين وترقية الموظفين في كافة الوزارات ، ومثل الجهاز المركزي للمحاسبات (بمصر مثلاً) والذي يتولى الرقابة المالية على جميع الوزارات والمصالح .

٣ ـ الأجهزة الاستشـارية Slaff agencies ووظيفـة هذه الأجهـزة تقـديم الدراسات والأبحاث وتحليل البيانات والنصح للأجهزة التنفيذية التي تقوم بإصدار القرارات ، ومن أهم نماذجها مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، والإدارة المركزية للتنظيم والادارة التابعة لوزارة المالية بالمملكة العربية السعودية .

النظرية التقليدية في التنظيم

ترجع هذه النظرية إلى رواد الفكر الاداري والتنظيمي الأول مثل « مـاكس فيبر » M.Weber وتايلور Tylor وهنري فايول H.Fayol وتنبثق النظرية التقليدية من افتراض أن بناء التنظيم بناء رشيد ، وأن سلوك أعضاء التنظيم سلوك رشيد Rational ، وأن القواعد والتعليمات التي توضع من قبل مخططي التنظيم سوف تنفذ بشكل دقيق من قبل أعضاء التنظيم ، بشرط تحقق حسن اختيار العاملين ـ بالطرق العلمية ، وإعداد برامج فعالة للتدريب (وتوصيف الوظائف واختيار الأفراد طبقاً لمعايير موضوعية دقيقة . فالمخططون يضعون البرامـج ويحـددون الهـدف ، أمـا

العاملون فهم مجرد وسائل لتحقيق هذه الغايات . والتنظيم بناء على رأي أنصار المذهب التقليدي هو التجميع الرتيب للأجزاء المرتبطة بهدف تكوين بناء موحد يمكن من ممارسة السلطة والتنسيق والرقابة من أجل تحقيق هدف محدد. وهكذا يعكس البناء التنظيمي نموذجاً جامداً تسوده العلاقات الرسمية بين الأدوار والمستويات وخطوط رسمية للاتصال ، الأمر الذي يتجاهل كلية طبيعة التفاعلات الانسانية الاجتماعية وحاجات أعضاء التنظيم وما أطلق عليه فيما بعد التنظيم غير الرسمي (القيادة والمعايير والعلاقات التلقائية الشخصية وهو ما كشفت عنه نظريات التنظيم اللاحقة لفيبر » .

وترتبط النظرية التقليدية للتنظيمات بنظرية « ماكس فيبر » عن البيروقراطية Bureaucracy * . ويذهب « ماكس فيبر » إلى أن هناك نموذجاً مثالياً للبيروقراطية Ideal type of Bureaucracy ، وأن هناك عدة خصائص مشتركة للتنظيم البيروقراطي يمكن إيجادها في النقاط التالية : (١٩)

أولاً : مجموعة من الوظائف الرسمية تحكمها مجموعة من القواعد الرسمية .

ثانياً : وجود نطاق معين للتنافس بين التنظيمات بهذا المعنى .

---

* تتألف كلمة البيروقراطية من كلمتين Bureau أو مكتب ، Cracy أو حكم ، أي سلطة المكاتب أو الإدارة السلطوية للمكاتب . ويتعدد مفهوم البيروقراطية حيث يشير لدى البعض إلى ضخامة النظام الإداري ، وقد يشير إلى مجموع الاجراءات التي يجب اتباعها من مباشرة العمل الحكومي ، كما قد تشير إلى القوة Power مفسرة على أساس السلطة Authority بمعنى النفوذ أو السيطرة ، وتعني ذلك القدر من السلطة الذي يمارسه الموظف العام أو التنظيم الإداري ، وقد يشير مصطلح البيروقراطية إلى الدور الذي يمارسه الموظفون العموميون في إطار النظام السياسي للدولة ، ويشير « فيبر » إلى البيروقراطية على أنه يعني التنظيم الضخم ، كما يشير مفهوم البيروقراطية عند البعض إلى مفهوم مرضي مثل التعقيد الروتيني وبطء الاجراءات وتحول الوسائل إلى أهداف والتخوف من البت في الأمور وضياع الهدف النهائي من التنظيم والتحجر الوظيفي والفوضى وعدم الانضباط وسوء التنظيم ، وهذا يعني ارتباط البيروقراطية بانخفاض مستوى كفاءة التنظيم وسوء الخدمة المدنية وارتفاع تكلفة اداء الخدمة ، الأمر الذي جعل البعض يرى أن البيروقراطية هي المعوق الأساسي لبرامج التنمية من الدول النامية لارتباطها ـ في نظر بعض الباحثين ـ بالمركزية الشديدة والروتين وطول الاجراءات وصعوبة اتخاذ القرار وغياب الخلق الاداري الإسلامي الإنساني . . والواقع أن هذه الجوانب المرضية لا ترتبط بمفهوم البيروقراطية ، وإنما ترتبط بأمراض البيروقراطية Bureau pathology .

ثالثاً : وجود نطاق اختصاصات معين لكل مكتب وهذا يتضمن :

أ ـ وجود التزامات وظيفية محددة لكل مكتب قائمة على أساس مبدأ تقسيم العمل.

ب ـ وجود سلطة لشاغل المكتب تقابل الواجبات والمسئوليات الملقاة على هذا المكتب.

جـ ـ وجود وسائل للضبط والإلزام محددة بجلاء ، ولا تستعمل هذه الوسائل إلا في الحالات المنصوص عليها .

رابعاً : يقوم تنظيم المكاتب على أساس التدرج الهرمي ، فالمكتب (أو الإدارة أو القسم) الأعلى يراقب ويوجه ويشرف على ما دونه ، ويوجد نظام لاستئناف القرارات ، والمكتب الأعلى يستطيع إلغاء قرارات المكاتب التابعة له.

خامساً: القواعد التي تحكم العمل داخل المكاتب (أقسام التنظيم المختلفة) هي قواعد فنية ، والموظفون بها على درجة كبيرة من العلم والتدريب على كيفية أدائه.

سادساً : فصل الادارة عن الملكية (نظراً لاتساع نطاق التنظيمات وحاجة الادارة إلى درجة عالية من التخصص) فالعاملون في المنظمة لا يمتلكون وسائل العمل والإنتاج ، وإنما توضع تحت أيديهم ميزانية وأدوات ، يحاسبون على كيفية إنفاقها واستخدامها (ويفترض هنا أن الاستخدام لا بد وأن يتسم بالرشد والعقلانية Rationalization) ويرتب على هذا الفصل التام بين ممتلكات المنظمة والممتلكات أو المتعلقات الشخصية لشاغل الوظيفة.

سابعاً : لا يوجد أي حق في تملك المنصب الرسمي أو تملك المكتب وما فيه لأن تولي الوظائف يقوم على أساس التعيين استناداً إلى مؤهلات موضوعية فنية بحتة .

ثامناً : جميع الإجراءات الإدارية والقرارات والقواعد توضع وتثبت من خلال وثائق مكتوبة ، ومن مجموع المستندات والقواعد المكتوبة وتنظيم الوظائف الرسمية القائمة يتكون المكتب (أو الإدارة أو القسم . . .) كشخص معنوي ، وهو محور العمل في العصر الحديث.

تاسعاً : وجود السلطة القانونية ، وتقنين القوانين والقواعد الادارية وإقامة نظام للانضباط والترقي.

ويذهب « فيبر » أن هذا الشكل من التنظيمات هو الذي يجب أن يسود في كافة التنظيمات ـ الحكومية أو الخاصة ـ وقد أسس « فيبر » نموذجه هذا استناداً إلى دراسة النظم البيروقراطية في الحضارات القديمة (مصر والصين والهند وروما) والنظم البيروقراطية في غرب أوربا، وعلى الرغم من كافة الاعتراضات والنقد التي وجهت إلى هذا النموذج المثالي ، فإنه يعد ـ في نظر الكثير من الباحثين ـ أداة صالحة لدراسة النظم البيروقراطية وتقويمها .

ولعل أهم العوامل التي أثرت على الفكر الاجتماعي « لماكس فيبر* » عند صياغته لنموذجه المثالي وما ترتب عليها من ألوان من النقد الذي تعرض له تتلخص فيما يلي :

أولاً : التضخم الذي حدث للمؤسسات الصناعية الالمانية والذي عاصره « فيبر » ، الأمر الذي زاد من اقتناع «فيبر » بأهمية إحكام التنظيم الرسمي كأداة للوصول إلى أعلى حد ممكن من الكفاية الانتاجية ، الأمر الذي جعله يتجاهل البعد البشري داخل التنظيمات ، وتجاهل الكفاية الاجتماعية والصحة النفسية للعاملين وحاجاتهم إلى الأمن والتقدير والتعبير عن الذات والمكانة . . . الخ. ولعل التركيز على المرشد والكفاية الإنتاجية هي التي دفعت فيبر إلى الاعتقاد في أن نجاح التنظيمات يتوقف ـ فقط ـ على إحكام التنظيم القانوني الرسمي للمنظمة (قواعد وتسلسل وتعليمات وسلطات . . . الخ.) .

ثانياً : خبرة « فيبر » بالتنظيمات العسكرية الجامدة ، حيث كان ضابطاً بالجيش الألماني ، وخبر أسلوب الادارة بالأوامر الصارمة والمحددة والمفروضة على العاملين بشكل قاس ، فاعتقد أن هذا الأسلوب من الإدارة هو الأسلوب الأمثل

* يعد ماكس فيبر من ألد أعداء ماركس حيث فند فكرة «الحتمية الاقتصادية» وأبرز أهمية القيم والمعتقدات الدينية كأساس أول لكل النظم الاجتماعية الأخرى. وفيها النظام الاقتصادي.

لكل أنـواع الإدارات ، وفي كل المجـالات ، دون تمييز بـين الادارة العسـكرية والمدنية ، وهذا هو ما أحال نموذجه المثالي إلى آلة صماء تعمـل بانتظـام من خلال أسلوب ميكانيكي خالص.

ثالثاً : دراساته ـ كباحث في علم الاجتماع ـ في تاريخ المجتمعات والتنظيمات والعلاقات الانسانية ، جعلته يدرك عوامل الضعف البشري ، وعدم نجاح التنظيمات إذا تركت لأهواء البشر وآرائهم الذاتية وتقديراتهـم الشـخصية ، وضرورة وضـع قواعد دقيقة لتنظيم سير العمل وترشيد اتخاذ القرارات داخل تنظيمات العمل ، الأمر الذي جعله يتجاهل الاتجاهات الابتكارية للموظفين ويحرمهم من حقهم في التعبير عن ذاتهم ، وتجاهل أبسط مبـادىء دينـاميات الجراعـة والأسـاليب النفسية لحفـز العاملين وتحقيق التوازن بين حاجات الفرد والتنظيم ، الأمـر الـذي يكفـل تحقيق الكفاية الانتاجية للتنظيم والكفاية الاجتماعية والنفسية للعاملين.

رابعاً : استمد « فيبر » نموذجه المثالي من الدراسات التاريخية والمعاصرة له ـ في المانيا ـ بشكل نظري،ولم يقم بدراسات واقعية لاختباره . فقد كان تفكيره فلسفياً ـ حيث تحدث عما ينبغي أن يكون ـ حسب وجهة نظره ـ لا ما هو كائن فعلاً . ولعل هذه العوامل وغيرها هي التي أدت، بالباحثين اللاحقين في مجال علم اجتماع التنظيم وعلوم الادارة والنفس إلى مراجعة نظرية « فيبر » خاصة بالنسبة لعدة أبعـاد مثـل المركزية الشديدة ، والتركيز على الرقابة ونـوع الاشراف الجيد ، وطبيعـة السلطـة البيروقراطية ، وارتباطها بالروح المعنوية للعاملين ، وكيفية التـوفيق بـين الضبـط والابتكار وأساليب الترقية ، وهل الأقدمية المطلقة هي أحسن معيار للترقي داخل تنظيمات العمل ، وأهـم أسـاليب الاختيار والتعيين ، والعلاقـة بـين السلطـة والانتاجية ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية غير الرسمية داخـل المنظمات ، وأنمـاط الادارة . . . الخ .

النظريات الحديثة في التنظيمات

لقد ظهر بعد الدراسات التي قدمها « ماكس فيبر » Weber ، مجموعة أخرى من الدراسات السوسيولوجية تتسم بعدة خصائص نوجزها فيما يلي :

أولاً : انها قد انطلقت في دراساتها لقضية التنظيم والإدارة من نظرية « ماكس فيبر » سواء من خلال نقد هذه النظرية أو الاستناد إلى بعض جوانبها من أجل تفسير التنظيم والسلوك التنظيمي.

ثانياً : اتسمت أغلب النظريات اللاحقة على « فيبر » بطابع تطبيقي حيث استندت إلى دراسات واقعية للتنظيمات (المدارس والمصانع والادارات) الأمر الذي كشف عن أفكار جديدة غابت عن « فيبر » عند صياغته لنموذجه المثالي ، ومن أبرز هذه الدراسات ، دراسة « إلتون مايو » E.Mayo و« روثلسبرجر » والتي تعرف بدراسة « هاوثورن » أو دراسات « وسترن الكتريك »HowthornOr-western Electric Studies التي أجريت في مصانع هاوثورن بمدينة « شيكاجو » بأمريكا ، والتي كشفت عن طبيعة السلوك الانساني داخل وحدات العمل ، وأثر حاجات الأفراد وأثر الجماعات الصغيرة Small groups على الإدارة والانتاج(٢٠) . وقد أكدت هذه الدراسة على أهمية إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية للعاملين ، وأن الأجر والحوافز المادية ليست هي العامل الوحيد للكفاية الانتاجية وتحقيق رضاء العاملين وتفانيهم في العمل والعطاء ، وقد كشفت عن وجود علاقة إيجابية عالية بين ارتفاع الروح المعنوية وبين الانتاجية. وقد حاولت هذه الدراسة اختيار أثر عدة عوامل مادية على الإنتاجية ـ مثل الاضاءة ، والاجازات ومددها ، والأجور وطريقة دفعها . ولقد كشفت عن أهمية الحاجات المعنوية للعاملين وأهمية أسلوب معاملة العاملين ونوعية الإشراف وإشعار العاملين بأن لهم رأي في الادارة . . . . الخ. على الكفاية الانتاجية ، كما كشفت عن خطأ نظرية الادارة العلمية التي ذهبت الى أن العامل الوحيد المؤثر على الإنسان داخل العمل هو الأجر ، وأن الأمر لا يتطلب سوى حسن الاختيار (على أساس التخصص) وصرامة الإشراف فحسب (تايلور وفايول) . وكشفت كذلك عن وجود جماعات أو تنظيم غير رسمي داخل أي تنظيم رسمي ، ويقصد بهذا التنظيم ما ينشأ ـ داخل التنظيم ـ كالمدرسة والمصنع ـ من

علاقات شخصية بين العاملين خارج العمل ، ينجم عنها قيادات ومعايير إجتماعية ، وتظهر أدوار غير رسمية كالمتعاون والمهرج والشخص الذي يستطيع التأثير على الآخرين . . . الخ.، وأنه قد تختلف أهداف العاملين عن أهداف المؤسسة التي يعملون فيها ، فقد يهدف المدير إلى الترقي إلى وظيفة أعلى ، وقد يهدف أحد العمال إلى إكمال دراسته للالتحاق بشركة أخرى . . . وعلى الرغم من اختلاف أهداف العاملين ، واختلافها عن أهداف المنظمة ، إلا أنه يجب أن يتحقق حد أدنى من التنسيق والتعاون حتى تتحقق أهداف المنظمة[٢١] . ويمكن تحقيق التطابق بين التنظيمين الرسمي (القائم على القواعد والوظائف والسلطات الرسمية) وغير الرسمي (القائم على العلاقات الشخصية) بتحسين أنماط الإشراف وتطبيق الأساليب الإسلامية في الادارة تلك التي تقوم على أساس الشورى وروح الجماعة والاعتراف بقيمة الفرد الذي كرمه الله سبحانه وتعالى مع تطبيق نظام عادل للمكافآت والجزاءات .

ثالثاً : أغلب الأفكار والتصورات أو النظريات الغربية التي قيلت حول البيروقراطية تنصب في الأغلب على التنظيمات الغربية ، ومستمدة من دراسات واقعية أجريت في العالم الغربي ، ومن هنا فنحن في الدول العربية والإسلامية والنامية في حاجة إلى دراسات تطبيقية تدور حول التنظيمات تستمد من واقعنا الإسلامي والعربي .

نظرية « روبرت ميرتون » **R.Merton** :

انتقد « ميرتون » وهو عالم اجتماع أمريكي نظرية « فيبر » ، حيث ذهب إلى أن التركيز على الرقابة الحرفية وتقييد أنشطة الموظفين بشكل حرفي - حسب تعليمات تفصيلية دقيقة - يؤدي إلى جمود المنظمة وتحول الوسائل إلى غايات والتقيد بالشكليات على حساب الأهداف الموضوعة للمنظمة ، وهذا هو أحد أشكال الانحراف Deviance في نظر « ميرتون » ، ذلك لأن الموظف من شدة تقديسه للتعليمات (خوفاً من العقاب) سوف يفتقد الغاية والهدف من هذه التعليمات والتي قد تكون - تقديم خدمة عامة كالتعليم أو الصحة أو شق طرق أو توعية . . . الخ . ولعل هذا هو ما

يؤدي بالناس الى الشكوى المستمرة من المنظمات والمؤسسات على أساس الجمود والروتين وطول الإجراءات . . . الأمر الذي يؤدي الى تفشي كافة أمراض التنظيمات أو البيروقراطية المرضية Bureau pathology (الروتين وصعوبة الاتصالات والمركزية الشديدة في السلطات وسوء التنظيم والتضخم وتعارض المصالح . . . الخ) .

ـ ويؤكد « ميرتون » على ضرورة سيادة الإدارة الانسانية القائمة على تقدير الموظف وترك قدر من الحرية له لتقرير سير عمله في ضوء وضوح الهدف.

ـ كذلك ينتقد « ميرتون » الآثار السلبية لما أطلق عليه « التعليم التنظيمي » Organizational Learning والذي يتمثل في صب الموظفين في قالب موحد ، حيث يسلكون نفس السلوك على الرغم من تغير المواقف ـ بسبب التركيز على القواعد والاجراءات ونسيان الهدف. وهذا هو ما جعله يؤيد فكرة منح الموظفين ، قدراً من الحرية في تحديد أسلوب عملهم . كذلك يجب تغيير أنماط الرئاسة والاشراف في التنظيمات حتى تتخذ شكلاً أكثر مرونة مع إشراك المرؤوسين في تفهم الأعمال واتخاذ القرارات . غير أن هذا لا يعني إلغاء القواعد ، فهي أمر لا بد منه ، ولكن يجب ترشيدها ويجب أن يكون الموظفون وطالبو الخدمة على دراية واضحة بها ، ويشير ميرتون أنه بهذه الأساليب تتقلص أنماط التنظيم غير الرسمي ويقل التعارض بين العلاقات التنظيمية (علاقات الدور Role relations) والعلاقات الشخصية Personal relations ، هذا إلى جانب سهولة تحقيق الهدف التنظيمي بكفاءة . وهو يؤكد أن تحقيق الرقابة الفعالة على الموظفين لا يتحقق من خلال الاجراءات الصارمة وإنما من خلال تحديد السلوك الوظيفي وترشيده وإشراك العاملين في الادارة (وقد سبق الاسلام من أربعة عشر قرناً إلى تأكيد مبدأ الشورى) ونستطيع القول بأن جوهر نظرية « ميرتون » تقوم على فكرة إحلال ما أطلق عليه السلوك الرشيد بين الموظفين بدلاً من السلوك غير الرشيد وهو يتيح فرصة للموظف لأن يدافع عن سلوكه الوظيفي والمواقف المعينة التي أدت به إلى التصرفات التي أقدم عليها إذا ما تعرض للرقابة والمساءلة.

نظرية « فيليب سلزنيك » P.Selznick

« سلزنيك » هو أحد علماء الاجتماع الذين اهتموا بموضوع التنظيمات البيروقراطية . وحاول دراسة أثر الرقابة الصارمة داخل التنظيمات والنتائج غير المتوقعة لها - على عكس المقصود منها . وهو يتفق في هذا مع « ميلتون » ، كما يتفق معه في التأكيد على تطبيق المبادىء الانسانية (الاهتمام بالموظف وبالعلاقات الطيبة بين الرؤساء والمرؤوسين . . . الخ.) .

ويذهب « سلزنيك » إلى أهمية تفويض السلطات Deligation of authorities كأحد الميكانزمات التي تحقق فعالية الرقابة داخل التنظيم ، بشرط أن يدرب من تفوض إليهم السلطات وتنمى قدراتهم بحيث يتمكنوا من مواجهة المشكلات وترشد قراراتهم . وهو يرى أن تفويض السلطة - بالشرط السابق - يؤدي إلى تضييق الفجوة بين المطلوب إنجازه وما هو منجز فعلاً ، الأمر الذي يشجع المسئولين على زيادة حجم السلطات المفوضة . وعلى الرغم من بعض مساوىء التفويض - والذي يتمثل في تجزئة المنظمة حيث يحاول رئيس كل قسم - استناداً إلى السلطات المفوضة إليه الدفاع عن مصالح قسمه في مواجهة الأقسام الأخرى -، إلا أنه يسهم في إكساب الموظفين - الوكلاء ورؤ ساء الأقسام والمدرسين الأول أو مشرفي المواد في المدارس مثلاً - المزيد من الخبرات ويزيد قدراتهم على مواجهة المشكلات التي يتعرض لها التنظيم ، ويجب الاحتفاظ وتحقيق الاستقرار الوظيفي لأولئك المشرفين والموظفين الذين اكتسبوا خبرات مثمرة من خلال التفويض

غير أن تفويض سلطات لرؤساء الأقسام قد يؤدي إلى التركيز على أهداف الأقسام (الجزئية) مما يتناقض مع أهداف التنظيم ككل . ويشير الباحث المذكور إلى أن تفويض السلطات - كوسيلة فعالة للرقابة وتحقيق الأهداف العامة للتنظيم - يمكن أن يؤدي إلى نوعين من النتائج .

أ - نتائج متوقعة تتمثل في زيادة خبرات الموظفين وتنمية قدراتهم على مواجهة المشكلات .

ب - نتائج غير متوقعة تتمثل في حدوث تنازع بين الأقسام وتركيز على الأهداف الفرعية للأقسام وتجاهل أهداف التنظيم ككل(٢٣) .

نظرية: الفين جولدنر « A.Gouldner » :

يشترك « جولدنر » عالم الاجتماع النقدي الأمريكي مع ميرتون وسلزنيك حيث يحاول تحليل النتائج المتوقعة وغير المتوقعة للتنظيم البيروقراطي ، ويركز « جولدنر » على دراسة أثر القواعد واللوائح والتعليمات على بناء التنظيم ، وخاصة التنظيمات الصناعية التي تخصص في دراستها وهو يرى أن سيادة قواعد عامة تحكم سلوك الموظفين داخل تنظيمات العمل ، يحقق الضبط والالتزام التنظيمي وهو ما تحرص عليه الادارة ، إلى جانب ما يترتب عليها من آثار حسنة تتمثل في التخفيف من الشعور بعلاقات السلطة بين الرؤساء والمرؤوسين ، وعدم حدوث تمايز في علاقات القوة ـ متمثلة في شكل السلطة ـ بين الأعضاء مختلفي المستويات الوظيفية ، بسبب خضوع الجميع لنفس القواعد ، الأمر الذي يخفف من حدة التوترات الداخلية ، ويحقق إلى تضاعف العمل بين العاملين نظراً لما يشعرون به من سيادة القواعد في ضوء عدالة الادارة مما يضفي على القواعد صفة الشرعية والرضا الاجتماعي .

غير أن الأمر له جانبه السلبي غير المقصود ـ حسب نظرية « جولدنر » ذلك أن تطبيق اللوائح والقواعد والتعليمات الاجرائية تؤدي إلى وضع حواجز وقيود أمام سلوك أعضاء التنظيمات ، فقد يرفض أعضاء التنظيم الأهداف المقررة أو اتخاذ موقف سلبي إزاءها لأنهم لم يسهموا في رسمها أو تقرير القواعد السائدة ، هذا إلى جانب قتل روح المبادأة والابتكار لديهم وانخفاض الروح المعنوية الأمر الذي ينعكس على الإنتاجية وعدم وجود حوافز كافية لبذل المزيد من الجهد ، الذي يكتفون منه بالحد الأدنى فقط . وهناك حلقة مفرغة سيئة داخل التنظيمات ، تتمثل في أن شعور الادارة العليا بانخفاض الانتاجية يؤدي بها إلى تشديد الرقابة على أعضاء التنظيم وإضافة تعليمات جديدة وتشديد الاشراف ، وهذه العمليات الأخيرة بدورها تؤدي إلى المزيد من تحجر سلوك أعضاء التنظيم والاهتمام بالقواعد وإهمال الغايات الأمر الذي يزيد الانتاجية انخفاضاً . . . الخ . هذا إلى جانب أن المزيد من القواعد الضابطة تزيد شعور الأعضاء بسلطة الادارة العليا ، الأمر الذي يزيد من حدة التوتر وصراعات العمل وظهور مشكلات متعددة داخل التنظيم .(٢٤)

نستطيع أن نخلص مما سبق إلى عدة حقائق أساسية وهي :

أولاً : أن أغلب الدراسات التي تمت في مجال التنظيمات صدرت عن العالم الغربي ، الذي يختلف ـ جوهرياً سواء من جانب العقيدة أو البناء الاجتماعي ـ عن واقع المجتمعات الإسلامية والعربية والنامية ، وباستثناء دراسات قليلة ـ مثل دراسات «رجز» و« شارب » و« برجر » و. . . فإن أغلب الدراسات طبقت على التنظيمات البيروقراطية الغربية ، وخلصت إلى نتائج عممتها ـ خطأ ـ استناداً إلى هذه الدراسات.

ثانياً : أن ما أجري من دراسات ـ قليلة ـ على تنظيمات العمل البيروقراطية في الدول الساعية للنمو الاقتصادي والاجتماعي ، مثل دراسات « شارب » و«برجر » على البيروقراطية المصرية ـ كانت دراسات متحيزة ، ولأغراض معينة ليس من بينها خدمة الدول الإسلامية أو النامية.

ثالثاً : وقد وضع التحيز للفكر الغربي عند محاولة تشخيص أمراض البيروقراطية داخل الدول النامية ، حيث أرجعوها إلى عوامل ثقافية وسيكولوجية واجتماعية داخل هذه المجتمعات ذاتها ، والى طبيعة نموذج الشخصية السائد في هذه الدول (شخصية غير منجزة ، طموحها بسيط. . . . حسب تعبيراتهم) وقد تجاهلوا الأثر المدمر الذي خلقه الاستعمار الغربي والشرقي ـ وما يزال ـ داخل هذه البلدان ومحاولة تخريبها من الداخل باستمرار ـ من خلال فرض شروط مجحفة لتقديم العون الفني أو المالي لهذه الدول وحجب الخبرات المطلوبة عنها ، ويتضح هذا ، من المؤتمرات العالمية ـ مثل المؤتمر الثالث للتجارة والتنمية الذي عقد في شيلي في أبريل سنة ١٩٧٢ م ، وفي المؤتمر الرابع للتجارة والتنمية الذي عقد في نيروبي في مايو سنة ١٩٧٦ م.

رابعاً : أن الحل الإسلامي متمثلاً في التمسك بالعقيدة الإسلامية وترجمتها سلوكياً هو الكفيل بحل كافة مشكلات الادارة والتنظيم ، فقد قامت الدولة

الإسلامية والإدارة الإسلامية ـ في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفي عهد الخلفاء الراشدين ـ على تقوى الله ، وطبقت ثلاثة أسس استمدت من الشريعة الاسلامية السمحة وهي :

آ ـ المساواة ، فالمسلمون سواسية كأسنان المشط ، « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . . . الخ.» إخراج أحمد ٥/ ٤١١

ب ـ الشورى ، يقول تعالى « وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ » (آل عمران ١٥٩) ، ويقول تعالى « وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ » (الشورى ٣٨) .

جـ ـ سيادة القانون وتطبيق العدالة بين الجميع دون مراعاة للفروق الاقتصادية أو اللونية . . . والتمييز يقوم على أساس التقوى ، والعلم ، والعمل الصالح وأداء الواجب الشرعي ، يقول تعالى « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم » (الحجرات ١٣) ويقول تعالى « هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ » (الزمر ٩) ويقول تعالى « يَرْفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَات » . . . (المجادلة ١١) ويقول تعالى « وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ » (التوبة ١٠٥) ويوجهنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .

هذا وقد توحدت الأمة الإسلامية في عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مؤسس هذه الأمة بفضل وتوجيه الله سبحانه وتعالى ، فما كان عليه الصلاة والسلام ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، كذلك توحدت في ظل الخلفاء الراشدين وظلت تتوسع حتى انتشر الإسلام في جل بقاع العالم . وعلى الرغم من كافة الظروف المختلفة التي مرت بها الأمة الإسلامية ، فقد كان جهازها الاداري من أكفأ الأجهزة الادارية التي عرفتها النظم الادارية قاطبة ، حيث قامت على أساس معايير الحق والعدل والعلم والعمل الصالح وأداء الواجب ومبادىء الشريعة الإسلامية السمحة ، التي توجه سلوك المسلم التزاماً وليس إلزاماً ، عن اعتقاد قلبي ، وليس خوفاً من عقاب خارجي ، إرضاء لضمير المسلم ورغبة في نيل رضوان الله سبحانه وتعالى والفوز بالجنة والعتق من النار ، ولهذا فقد تحمل المسلم المسئولية ـ

إدارية أو اجتماعية أو سياسية أو حربية... الخ.بكفاءة كاملة، وقامت الإدارة الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية وعلى أساس أن كافة الأعمال والوظائف يجب أن تكون موجهة فيما يرضي الله وابتغاء المصلحة العامة. وقد تمثل ما تقدم في نظام الولاة والعمال والقضاة، حيث كان تعيينهم يتم حسب معيار التقوى والكفاءة والصلاحية والتمسك بمبادىء الشريعة الإسلامية، تطبيقاً لقوله تعالى «إنَّ خَيْرَ من ٱسْتَئْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ» (سورة القصص آية ٢٦). وقد وضع عليه الصلاة والسلام معايير لاختيار القائمين على الإدارة الإسلامية والموظفين العموميين، حيث يقول الرسول ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم... الخ.» أخرجه أحمد ١/ ٦. وقوله عليه الصلاة والسلام:« من ولاه الله عز وجل من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره». (رواه أبو داود ٢/ ١٢٢) وقد توصلت الإدارية الإسلامية إلى كل مفاهيم ومبادىء الادارة الحديثة، خاصة في مجال الوظيفة العامة التي هي محور ظاهرة البيروقراطية الإسلامية، فقد عرفت الإدارة الإسلامية مفاهيم ـ ترتيب الوظائف العامة وتوصيفها Job description، والأسس السليمة للخدمة المدنية أو العامة ومبدأ تكافؤ الفرص في طلب الوظيفة العامة ووسائل التدريب وتنمية الاداريين، واعتبار الفترة الأولى من التعيين في الخدمة العامة فترة تجربة لتحديد صلاحية الموظف، كما عرفت الإدارة الإسلامية كذلك مبدأ الكفاية في اختيار الموظفين ونظام الحوافز وأساليب تحديد المسئولية والحساب وربطهما بالوظيفة العامة.

ويركز الإسلام على جانب يعد من أهم جوانب التنظيم والادارة، وهي الأخلاق العامة وفن معاملة الغير، يقول تعالى «وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (الشعراء ٢١٥) وقال تعالى «إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (النحل ـ ٩٠)... وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»... الخ. (أخرجه مسلم ٣/ ١٤٥٩)، وعن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد

يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنـة » (أخرجه مسلم ٣/ ١٤٦٠) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به » (رواه مسلم ٣/ ١٤٥٨) . وعن ضرورة العدل وتحقيق المساواة بين الجميع على مستوى الأسرة والتنظيم والمجتمع المحلى والعام وعلى مستوى العالم كله يقول تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية (النحل ٩٠) ويقول تعالى «وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ » (الحجرات ٩) وضمن السبعة الذين أخبرنا رسول الله ﷺ أن الله سوف يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل . . إلى آخر الحديث (متفق عليه) . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « إن المقسطين عند الله على منابر من نور: عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُوا » (رواه مسلم ٣/ ١٤٥٨) وأوجب عليه السلام إطاعة أولي الأمر حتى ولو كان عبداً حبشياً ـ طالما لم يأمر بمعصية ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم حبشي كأن رأسه زبيبة » (رواه أحمد ٣/ ١١٤) وأوجب الإسلام ملازمة الجماعة وعدم الخروج عنها ، قال عليه السلام « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية » (رواه مسلم ٣/ ١٤٧٦) وينهي الإسلام عن التسلط والتكبر من الرؤساء وأولي الأمر يقول تعالى « تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (القصص ٨٣) .

ويحرص الإسلام على أن يتولى مسئولية العمل أو الإمارة أحق النـاس بهـا وأقدرهم على تحملها بشرط ألا يطلبها وألا يكون حريصاً عليها ـ حتى لا يكون وراء التكالب عليها والحرص عليها هدف شخصي . عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحـدهما : يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولاك الله عزَّ وجلَّ ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال عليه السلام : إنا والله لا نولِّ على هذا العمـل أحـداً سألـه ولا أحـداً حرص عليه (أخرجه مسلم ٣/ ١٤٥٦). ويحرص الإسلام على الوفاء بالعهود فإذا ما تولى أحد

مهمة (وظيفة أو مركزاً إشرافياً في منظمة أو في المجتمع أو حتى في أسرته) يقول تعالى: « وَأَوْفُوْا بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً » (الاسراء ٣٤) وقال تعالى : « يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْا أَوْفُوْا بِالْعُقُودِ » (المائدة ١) . ويحرص الإسلام على عدم التناقض بين الأقوال والأعمال ـ وهو ما يحتاجه المسلم وما يجب أن يتحلى به السلوك التنظيمي ـ يقول تعالى « يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللهِ أَن تَقُولُوْا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » (الصف ٢ ـ ٣) .

وهناك مجموعة من الملاحظات الختامية بصدد ظاهرة التنظيم الاداري في ظل الدولة الإسلامية ، وتتمثل فيما يلي : ـ

أولاً : سيادة الأخلاق ومبادىء الشريعة الإسلامية السمحة في اختيار الموظفين طبقاً لمعايير التقوى والكفاية في إطار من الالتزام الداخلي والضبط الخارجي الفعال ، ولهذا فلم تظهر التعقيدات الروتينية ولا بقية أمراض البيروقراطية .

ثانياً : لم تظهر التنظيمات الضخمة ، خلال الصدر الأول من الإسلام ، حيث توزعت المسؤولية ونهض بها الولاة والعمال فلم يحدث تركيز لها في شكل سلطة مركزية .

ثالثاً : كانت وظيفة الدولة الاسلامية أساساً ـ خاصة في عهد الخلفاء الراشدين ـ نشر الدعوة الإسلامية مع تطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية السمحة ، وكان الإسلام ينتشر في كل بقاع الأرض.

رابعاً : يمكن القول أن هناك مجموعة من العوامل حالت دون ظهور جوانب البيروقراطية المرضية داخل الإدارة الإسلامية ـ أولها حسن تطبيق الشريعة الإسلامية ـ حسن اختيار الموظفين ، وحسن مراقبتهم وتوجيههم والاتصال بهم ، والشعور بالمسئولية أمام الله أولا قبل الرؤساء على الأرض. . .الخ. وثانيهما بساطة وظيفة الإدارة العامة الأمر الذي أضفى بدوره بساطة على النظام الإداري والتنظيمي وإدارة الخدمة المدنية .

خامساً : تمثل التنظيم الإداري الإسلامي الذي يحقق الكفاءةوالضبط بأحسن

ما تمثل من التنظيم المدني ، والتنظيم العسكري في عهد الرسول عليه السلام وعهد الخلفاء الراشدين من بعده.

سادساً : لو سادت مبادىء الشريعة الإسلامية المجتمعات الحديثة لقضت على ظاهرة الأمراض البيروقراطية التي تعاني منها التنظيمات الحديثة والقول إن سر نجاح التنظيمات الإدارية الإسلامية في الصدر الأول من الإسلام هو بساطتها فحسب ، قول خاطىء ، ذلك أن السر يكمن في العقيدة والأخلاق الإسلامية التي يكفل التمسك بها مواجهة جميع أمراض الأسرة والتنظيمات والمجتمع .

مصادر الفصل الأول

١) د. نبيل السمالوطي : التنمية والتحديث الحضاري ـ الجزء الأول
« الأبعاد الاجتماعية والنفسية للتنمية الاقتصادية : الجبلاوي ـ القاهرة ـ ١٩٧٥
٢) د. علي سامي النشار
٣) نبيل السمالوطي ـ المصدر السابق

4(White, L: Introduction to the study of public administration: N.Y — The Macmillan Co. 1965 pp. 25-27.

5) Simon. H.: Administrative behavior: N.Y. The Macmillan Co. 1957 pp. 100-104.

٦) مارشال ديموك وآخرون : الادارة العامة ـ الترجمة العربية ـ ترجمة ابراهيم البرسلي ـ مؤسسة الحلبي بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ القاهرة ١٩٦٧ ص ١٥٠ ـ ١٥٥

7) Brown A.: Organization, A Formulation of Principles: London 1958 P. 41

8) Waldo, D. Ideas and Issues in Public administration. N.Y. Mc Graw Hill BookCo. Inc. 1953 P.P. 83-84.

9) Allan L. Management and Organization — London — 1958 p.4

10) Urwick: The Elements of Administration — London: Pitmans and Sons 1965 p.36

11) Simon, H. op.cit. p. 87 وارجع أيضاً إلى

Gouldner A.: Patterns of Industrial Bureaucracy: Glencoe Illinois. The Free Press 1954.

Litterer, Joseph: Organization: Structure and Behavior: N.Y. John Willy and Sons 1963.

12) Waldo, Dwight: The study of public administration N.Y.-Doublday and Co 1965 — pp. 10-12.

13) Gulick L. and Urwick L. (ed) papers on the science of administration: N.Y. 1937.

وانظر أيضاً : Davis, Ralph C.: The Fundamentals of Top management: Harper and Row N.Y. 1951.

14) Tylor, F. The principles of scientific management. N.Y.: Harper and Brothers 1911 — Gulick L. and Urwick (ed) op.cit — Fayol, H. General and industrial administration. London-Isaac Pitman and Sons Ltd 1949.

١٥) لمعرفة المزيد حول مبادىء التنظيم الاداري يمكن الرجوع إلى

Mackenzie, W.J.M. Science in the study of administration. The Manchester school of Economics and social studies — Vol. XX NO -1- Jan 1952 pp. 7 - 22
March, James G. and Simon H.A.: Organizations N.Y. 1958. Urwick: op.cit.

16) Craicunas, A.V. Relationship in organization, in Gulick and Urwick: op.cit — Urwick, Lyndall F.: The manager's span of control — Harvard Business Review June 1956.

١٧) د. سيد الهواري ـ الادارة ـ المطبعة الرابعة ـ مكتبة عين شمس القاهرة سنة ١٩٧٠ م
وارجع الى دراسة لنفس المؤلف بعنوان « المدير الفعال »

18) Merton, Robert and others - Reader in Bureaucracy — Glencoe — The Free press 1960 — p.p. 9 - 15 — See also — Plau, Peter: Bureaucracy in modern Society — N.Y. Random House — 1956 p.14.

19) Weber, Max: The theory of social and Economic Organization-- Trans. By Parsons, T and Henderson A.M. — N.Y. Oxford University Press 1957 pp. 150-160.

20) Mayo, Elton: The Social problems of an Industrial Civilization: Graduate School of Business Administration 1945 — pp. 30-35.

21) Mouzelis, Nicos: Organization and Bureaucracy: Routledge and Kagan Paul London — 1967 pp. 12-20.

22) Merton, R-: The unanticipated consequences of purposive social action: American Sociological Review 1936 pp. 894-904.

23) Selznick, P.: An approach to a theory of Bureaucracy — American Sociological Review — VIII 1943 pp. 47-54.

24(Gouldner, Alvin: Patterns of industrial Bureau cracy. The Free Press - Glencoe 1954.

٢٥) الإمام المحدث الحافظ فخر الدين أبو زكريا بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧١ هـ : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: طبعة جديدة مصححة تحت إشراف لجنة من العلماء ـ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣

٢٦) المصدر السابق ص ٢٨١

٢٧) المصدر السابق ص ٢٨٢

٢٨) المصدر السابق ص ٢٨٣

٢٩) المصدر السابق ص ٢٨٥

٣٠) المصدر السابق ص ٢٨٩

الفصل الثاني

المدرسة كتنظيم

١ ـ مقدمة
٢ ـ الخبرات التي يستهدف التنظيم المدرسي إكسابها للتلاميذ.
٣ ـ العلاقات الاجتماعية الادارية داخل التنظيم المدرسي الحديث.
٤ ـ المهارات الأساسية لمدير المدرسة الناجح.
أ - المهارة الفنية
ب ـ المهارة الادراكية
حـ ـ المهارة الاجتماعية
د ـ المهارة التربوية
٥ ـ الادارة المدرسية ودورها في تطوير المنهج
٦ ـ المدرس وعملية التدريس
٧ ـ أهم خصائص المدرس الناجح
٨ ـ نماذج من الدراسات الواقعية حول خصائص المدرس الناجح وحول ظاهرة الرضا عن العمل بين المدرسين.

ينطبق على المدرسة خصائص التنظيم البيروقراطي الصحي بالمفهوم الذي أشرنا اليه في الفصل الأول ، حيث تتألف من مدير ووكيل أو عدة وكلاء ومشرفي مواد أو مدرسين أوائل ومدرسين في تخصصات متعددة هذا إلى جانب أمناء المختبرات وأمناء المكتبات وأمناء المخازن وأعضاء للشئون المالية (صراف أو أمين صندوق) وسكرتير إلى جانب الكتبة والعمال . وهذا التنظيم يسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف التربوية المحددة حسب طبيعة المرحلة ونوعية المدرسة . وهذه الأهداف تحدد في ضوء المنهج (ويقصد بالمنهج كافة الأنشطة التي تستهدف تعليم الطلاب معرفياً ولغوياً وحركيّاً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً وتربيتهم قيمياً وعقدياً وسلوكياً . . والتي تنبثق عن سياسة تعليمية واضحة في إطار نظام المجتمع ، سواء مُورِسَت تلك الأنشطة داخل الفصل أو خارجه ، داخل المدرسة أم خارجها . وهذا هو المفهوم الحديث للمنهج المدرسي الذي يهتم بمختلف جوانب النمو عند التلاميذ ـ جسمي ـ عقلي ـ اجتماعي ـ انفعالي[1] ، كما يهتم باكتساب الخبرات السلوكية إلى جانب الخبرات المعرفية ، ومساعدة الطلبة على تكوين المهارات اللازمة لمواجهة مواقف الحياة مثل التدريب على الأساليب الصحيحة للتفكير وحل المشكلات وتنمية القدرة على الابتكار والابداع . وينبذ المنهج الحديث فكرة الفصل التام بين ما هو نظري وما هو عملي ، حيث يحاول أن يدرب التلاميذ على ممارسة ما يدرسونه عملياً ، كما يهتم المنهج ـ بالمفهوم الحديث ـ على تحويل التلاميذ إلى عنصر دينامي خلال عملية التعلم لأن التعلم في جوهره جهد ذاتي يبذله المتعلم من أجل اكتساب الخبرات وتحصيل المعلومات ، إما عن طريق الفرد نفسه كلية وإما بمساعدة المعلم الذي يقوم بعملية

التعليم (وهو جهد يبذله شخص لإكساب آخر معلومات أو مهارات)* [٢]. يضاف إلى هذا أن المنهج يجب أن يراعي قضية الفروق الفردية بين التلاميذ . وإذا كانت المدرسة إفرازاً اجتماعياً فإنها تستهدف تنمية المجتمع وتطويره ، فهي إذا كانت تعكس ملامح المجتمع الثقافية فإنها تسعى إلى تطوير بعض جوانب الثقافة من أجل تنمية المجتمع وإمداده بالقوى البشرية المدربة ، ويجب على المدرسة أن تقدم لطلابها مجموعة من المعلومات والخبرات والمهارات تساعدهم على تنمية ـ ذاتهم وأسرهم ومجتمعهم المحلي والعام.

الخبرات التي يستهدف التنظيم المدرسي إكسابها للتلاميذ

وإذا ما تساءلنا عن مجموعة الخبرات التي يستهدف التنظيم المدرسي إكسابها للتلاميذ ـ من خلال المناهج الدراسية ، فإننا نستطيع إيجازها فيما يلي:

أولاً : صياغة الشخصية المتكاملة التي تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والذي يتحول هذا الإيمان لديها إلى سلوك وتوجهات سلوكية توجه الإنسان في كل مجالات الحياة .

ثانياً : الاستفادة من التراث الثقافي ـ الوطني والقومي والعالمي ـ وتلخيصه للطلبة حتى ينطلقوا من فهم علمي لإنجازاتنا وإنجازات غيرنا ـ خاصة في مجالات

---

* صدرت عدة تعريفات للتعلم ـ منها تعريف «جلفورد»«Guilford» وهو أن التعلم هو أي تغير في السلوك ناجم عن استثارة، وقد يكون هذا التغير في السلوك نتيجة لأثر منبهات بسيطة كما قد يكون نتيجة لمواقف معقدة» ويعرف «وودورث»Woodworth التعلم بأنه «نشاط من قبل الفرد يؤثر في نشاطه المقبل » والمقصود هنا زيادة قدرة الفرد على التعامل مع الآخرين والتكيف مع بيئته . ويذهب « من » Munn ببساطة الى أن التعلم هو عملية تعديل في السلوك أو الخبرة ، أما ماكونيل McConel فانه يذهب الى أن التعلم هو التغير المطرد في السلوك والذي يرتبط من جهة بالمواقف المتغيرة التي يوجد فيها الفرد كما يرتبط من جهة أخرى بمحاولات الفرد المستمرة والاستجابة لها بنجاح ، وهناك العديد من التعريفات الأخرى للتعلم ونستطيع القول ان الانسان يتعلم عندما يتمكن من القيام بعمل لم يكن يستطيع القيام به من قبل ، ويتأكد التعلم من خلال السلوك وما يحدث فيه من تغيرات .

انظر: د. زيدان ، وآخرين ـ التعلم نفسياً وتربوياً ـ دار اللواء ـ الرياض ١٩٧٩. ص ٢٩ ـ ٣١ وانظر كذلك فاخر عاقل: علم النفس التربوي ـ بيروت ١٩٧٦ ص ١٤٣ ـ ١٤٥ .

العلوم والتكنولوجيا ، من أجل مواجهة مشكلاتنا الاجتماعية وتحقيق التنمية الشاملة لمجتمعاتنا ـ اقتصادياً واجتماعياً ـ وملاحقة التطور العلمي والحضاري العالمي . ويجب فحص هذا التراث وانتقاء ما يتناسب منه لمواجهة مشكلات مجتمعاتنا وما يتناسب مع طبيعة المرحلة الدراسية وقدرة الطلبة على الاستيعاب ، مع محاولة تطوير هذا التراث والاضافة عليه ، خاصة في مراحل التعليم العليا.

ثالثاً : ضرورة الاستجابة لحاجات مجتمعاتنا ، فلكل مجتمع ظروفه وبناؤه ونظمه ومشكلاته ، ويجب أن توظف المدارس ودور العلم في خدمة نمو هذه المجتمعات ومواجهة مشكلاتها المتغيرة ، ولعل هذا يبرز في التركيز على موادالفيزياء والكيمياء والتعليم الفني والمهني والعلوم الحديثة جنباً إلى جنب مع التركيز على المواد الدينية واللغوية والرياضيات الصورية.

رابعاً : انتقاء المواد والموضوعات التي تدرس طبقاً لمعيار الفائدة الاجتماعية فإذا ما درسنا مادة من المواد نجد أمامنا العديد من الموضوعات . يجب انتقاء ما يحقق فائدة للمتعلم ولمجتمعه.

خامساً : انتقال أثر التدريب Transfer of training ـ ويشير (٣) إلى التعميم أو اشتقاق المبادىء العامة من خبرة تعليمية معينة ونقل هذه المبادىء العامة وتطبيقها على أوضاع تعليمية جديدة . ويستحيل تقدم العلم بدون انتقال أثر التدريب . ولهذا يجب تنظيم الامكانات التعليمية بحيث يهيء التعلم السابق لتعلم لاحق . ويجب أن يهتم المنهج الجيد بالفهم والمعنى والعلاقة بين المفاهيم وتنمية القدرة على الاستقراء بين الطلبة وكيفية تطبيق المبادىء العامة المتعلمة على مواقف وخبرات جديدة . ولعل أهم هدف للتعليم هو تنمية القدرة على التعلم والتفكير المنظم لدى التلميذ خاصة في المراحل المتقدمة من التعليم .

سادساً : تنمية القدرات العقلية وسمات الشخصية المرغوبة من الطلبة . وعلى المعلم والمدرسة ـ بكل أنشطتها تنمية هذه القدرات وتطويرها من خلال إكساب الطلاب المهارات والمعارف وتطبيق مبدأ التعلم بالعمل Learning by doing ، وتنمية مهارات الطلبة العقلية في مجال مواجهة المشكلات.

سابعاً : ضرورة ربط المنهج بالبيئة المحلية للمدرسة ، وذلك بعدم الاقتصار على الفصول الدراسية ، والخروج إلى المجتمع المحلي والتعرف على معالمه ومحاولة تنميته واستخدام الخامات المحلية عن طريق دروس التربية الفنية وتحويل المدرسة إلى مركز إشعاع للبيئة.

ثامناً : إعطاء الخبرات والمعلومات للطلاب ـ حسب طبيعة المرحلة العمرية لكل منهم ، مع ضرورة مراعاة الفروق الفردية وتطبيق أنسب أساليب التوجيه التربوي.

تاسعاً : يجب أن يكون المنهج من النوع المتمركز حول ـ الطفل أو التلميذ وحاجاته ، والموضوع ومتطلباته ، والمجتمع ومشكلاته ، فالمنهج الصالح هو الذي يهتم بتنمية شخصية الطالب وإشباع حاجاته وإكسابه الخبرات والمعلومات المتقدمة ـ حسب قدرته على الاستيعاب ، والاسهام في مواجهة مشكلات المجتمع المحلي والمجتمع العام.

عاشراً : تحقيق التنمية المتكاملة للطالب وتمكينه من تحقيق ذاته وإمكانياته التي أودعها الله سبحانه وتعالى داخله ـ عقلياً ـ بالقدرة على التساؤل وحل المشكلات والفهم ، واتصالياً ـ من خلال تنمية اللغة ، وتنمية القدرة على تكوين علاقات اجتماعية راضية مرضية مع الآخرين ـ في نطاق الأسرة والمدرسة وخارج المدرسة وفي نطاق الأصدقاء ورفاق الأنشطة وفي مجال العمل . . .

حادي عشر : تنمية اتجاهات إيجابية نحو الذات والآخرين ونحو العمل ، والايمان بالعمل كقيمة في حياة الفرد وهي من القيم الكبرى في الإسلام الحنيف ، وتنمية الايمان بكافة القيم الفاضلة التي يؤكدها الدين الإسلامي كالإخلاص لله.قال تعالى « وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ . . . الآية » (البينة ٥) والتوبة « وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ». (النور ٣١) والصبر « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ » (آل عمران ٢٠٠) . والصدق « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (التوبة ١١٩) ودوام مراقبة الله سبحانه وتعالى يقول تعالى: « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ » (الحديد ٤)

وسبحانه « يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ »(٦) (غافر ١٩) والتقوى « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ » (آل عمران ١٠٢) وقال تعالى « وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا » (الطلاق ٣٢) واليقين الكامل بالله سبحانه والتوكل عليه قال تعالى « عَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ » (ابراهيم ١١) والاستقامة قال تعالى « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ » (فصلت ٣٠ - ٣٢) والمبادرة الى الخيرات « فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ » (البقرة ١٤٨) والمجاهدة « وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ » (العنكبوت ٦٩) . . . الخ

ثاني عشر : ومن خلال القيم الإسلامية السامية يتحقق إشباع الحاجات النفسية للطلبة ، الحاجة إلى الأمن وإلى الحب وإلى الحرية وإلى تقدير الذات والتعبير عن النفس . . . الخ ، حيث أن الإيمان بالله - وهو ما يجب التركيز عليه بشكل مكثف في المدرسة - يجنب الإنسان الخوف من الموت ومن المستقبل ويجنبه القلق على الرزق ، فالله سبحانه هو الذي يتوفى الأنفس ولن تموت نفس حتى توفى أجلها والله هو الرازق وهو المعطي والمنّاح . ويواجه المؤمن المشكلات والمحن بشجاعة لأنه يعلم أنها نوع من الابتلاء والاختبار ويجب الصمود قال تعالى « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ » (البقرة ١٥٥)

ثالث عشر: يجب أن توجه المدرسة الطلاب التوجيه المهني المناسب - حسب طبيعة المرحلة التعليمية وطبيعة التعليم والدراسة بما يتلاءم مع قدرات الطالب واستعداداته وميوله .

العلاقات الاجتماعية الإدارية داخل التنظيم المدرسي الحديث

هناك مجموعة من الاعتبارات يجب على المسئولين عن الإدارة المدرسية مراعاتها من أجل إنجاز الأهداف التربوية السابقة بالكفاءة الواجبة أوجزها فيما يلي :

أولاً : توفير المناخ الصالح لممارسة العمل التربوي الناجح وإشعار العاملين -

مدرسين وإداريين وكتابيين وأمناء مختبرات ومكتبات . . . الخ بالانتماء إلى المدرسة وحب العمل داخلها والرضا عن عملهم Job Satisfaction وهو أحد الشروط الهامة للانتاج الجيد كماً ونوعاً . فالمدير الناجح إدارياً وتربوياً هو القادر على إشاعة جو من الألفة داخل المدرسة والذي يهتم بالعاملين ومشكلاتهم ويوفر جواً صالحاً للعمل حيث يشجع المعلمين والفنيين والكتابيين على التعبير الحر عن مشكلاتهم في العمل وعن آرائهم واقتراحاتهم، مع محاولة مواجهة مشكلاتهم مواجهة جادة من خلال إشراكهم وتوفير جو يستند إلى علاقات سوية صحية واحترام شخصية المدرسين والعاملين والتلاميذ وتوافر الثقة المتبادلة بين الجميع وإشباع الحاجات النفسية للعاملين إلى الأمن والحب والحرية والتقدير والتعبير عن الذات والانتماء والرضا عن العمل . . . الخ .

ثانياً : مراعاة إشراك العاملين ـ مدرسين وفنيين وكتابيين ـ والتلاميذ في عمليات إتخاذ القرارات Decision making داخل التنظيم المدرسي من أجل ترشيدها Rationalization وحتى تصدر معبرة عن وجهة نظر الأسرة المدرسية كجماعة تربوية تتوافر لها التخصصات المطلوبة ، ومعبرة عن الرأي العلمي والخبرة والممارسة الميدانية . والقرار الجماعي Group Decision ـ الناجم عن الحوار البناء والهادف والموجه ـ بين مدير المدرسة والعاملين يفرض تنفيذه على جميع أعضاء الأسرة المدرسية التزاماً وليس إلزاماً ، حيث يشعر الجميع أن هذا القرار صادر عنهم وليس مفروضاً عليهم ، وهو تطبيق إسلامي كريم لمبدأ الشورى وهو أحد المبادىء الأساسية في بناء العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة الإسلامية . ومن أهم شروط تطبيق مبدأ الشورى وممارسة أسلوب القرار الجماعي تمكين كل مدرس وعامل من إبداء رأيه بحرية ، مع توافر المعلومات والبيانات والتعليمات للجميع ، وعدم احتكارها في مكتب المدير (والاحتكار ـ في السلع أو المعلومات أو أي أمر من أمور الدنيا مبدأ مرفوض في الإسلام) حتى تصدر القرارات على أساس سليم ، وحتى يكون الولاء لله سبحانه وللمبادىء والقيم وليس للأشخاص مهما علت مناصبهم .
وقد كشفت دراسات ديناميات الجماعة ان درجة رضاء الفرد عن عمله والاهتمام به تتناسب طردياً مع إحساسه بالإسهام الفعلي في تخطيط هذا العمل وتحديد أهدافه

وإمكانية إبداء رأيه والتعبير عن ذاته بحرية داخله ، وعدم اقتصار دوره في التنفيذ فحسب .

ثالثاً : وانطلاقاً من مبدأ إشراك العاملين في اتخاذ القرارات وما تقابلها من مسئوليات ، تأتي أهمية تفويض السلطات Deligation of Authorities ، فمدير المدرسة الناجح هو الذي لا يتدخل في كل صغيرة وكبيرة من أعمال المدرسة وإنما يجب أن يفوض جزءاً من سلطاته لوكيل المدرسة ولمشرفي المواد وللمدرسين وللفنيين ، وأن يحدد الاختصاصات بوضوح وينفذ مبدأ وحدة الأمر حتى لا يتعدد الرؤساء وبالتالي تتضارب الأوامر ، ويراعى - في تفويض السلطات - نطاق التمكن حيث لا يطلب الى شخص واحد الإشراف على عدد أكثر من طاقته الإشرافية ، ويجب أن يعرف كل موظف المطلوب منه بدقة وأن تتوازن السلطات مع المسئوليات ، فلا يحاسب موظف على ما لا يقع في دائرة اختصاصه .

رابعاً : من أهم واجبات مدير المدرسة الناجح تنمية البرنامج التربوي والتعليمي وتطويره ، ويقصد بالبرنامج مجموعة المناهج والأنشطة التي تمارس بشكل نظامي من خلال المدرسة والتي تستهدف إكساب التلميذ خبرات مخططة في كافة المجالات المعرفية والسلوكية والعقلية والاجتماعية والانفعالية حسب طبيعة المرحلة الدراسية التي يديرها(٧) ، وقد اتسع مفهوم المنهج المدرسي Curriculum حيث أصبح يشير إلى جميع أنواع النشاط التي يقوم بها التلاميذ ، أو جميع الخبرات التي يمرون بها تحت إشراف المدرسة وبتوجيه منها ، سواء أكان ذلك داخل أبنية المدرسة أم في خارجها ، وبعبارة أخرى أصبح المنهج المدرسي هو حياة التلاميذ التي توجهها المدرسة وتشرف عليها(٨) . وبناء على هذه النظرة الحديثة للمنهج (بدلاً من اقتصاره على مواد الدراسة فحسب) فقد تعدل الدور الاجتماعي والتربوي للمدرس ، حيث أصبح يقوم بدور الموجه والمرشد والمربي ولا يهدد بالعقاب ويحرص على ألا يستخدمه حتى يجعل التلاميذ يقبلون عليه ويتفاعلون معه تفاعلاً إيجابياً صحياً يستشيرونه في أمورهم وعلى المدرس تشجيع التلاميذ على الأسئلة وإبداء الآراء والاقتراحات ويجب على مدير المدرسة أن يغير أسس تقييمه للمدرس ، حيث يجب ألا يقيم المدير المدرس على أساس نتائج تلاميذه في امتحان المواد الدراسية

فحسب ، بل يجب أن ينظر إلى عمل المدرس على أساس مدى إسهامه في التنمية الشاملة للتلاميذ في اتجاه الأهداف التربوية المخططة حسب سياسة التعليم في المجتمع . ويعنى المنهج الحديث بتنمية جوانب العلاقات الاجتماعية الإسلامية السليمة بين التلاميذ ، وذلك بإشراك التلاميذ في الإشراف على النظام المدرسي - طبقاً لضوابط يضعها المدير ، حيث ينظم التلاميذ بأنفسهم تحت إشراف مدرسيهم ، ما يحتاجونه من برامج زيارات ورحلات ومعسكرات ، كما يعنى المنهج الحديث - وهذا ما يجب أن يركز عليه مدير المدرسة - بتنمية المواطن الذي يؤمن بالله ويراعيه في كل أعماله ويحترم القانون وأولي الأمر ويخلص لمجتمعه إخلاصاً مستنيراً ويسهم في حل مشكلاته ويفضل المصلحة العامة على مصلحته الخاصة ويدرك حقوقه وواجباته ويؤديها في انتظام . .

خامساً : من أجل نجاح مهمة الإدارة المدرسية في تنمية وتطوير المناهج والبرامج التربوية يجب إحكام الصلة وتقوية الروابط بين المدرسة وأسر التلاميذ من خلال الاهتمام بمجالس الآباء والمعلمين وإشراك الآباء في برامج المدرسة وإطلاعهم على أهدافها وسياستها وأساليبها في تنفيذ هذه الأهداف ، ومن خلال الانفتاح على البيئة المحلية عن طريق المحاضرات العامة والندوات وإصدار الكتيبات والإسهام في حل المشكلات التعليمية والتربوية داخل المجتمع المحلي وتطبيق شعار « المدرسة مركز إشعاع ثقافي واجتماعي داخل البيئة »[٩] .

سادساً : من أجل نجاح السياسة التعليمية Educational Policy في تحقيق أهدافها المتمثلة في تهيئة جو المدرسة ومواقف التعليم ومختلف الأنشطة التربوية على نحو يكفل النمو المتكامل لشخصيات التلاميذ طبقاً للنموذج الإسلامي الفريد الذي يقوم على تقوى الله والإيمان المطلق به سبحانه والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، هذا إلى جانب تأمين سيادة العلاقات الإسلامية الصحيحة التي تستند إلى الإيمان بقيمة الإنسان وكرامته وعزته وتكريم الله سبحانه وتعالى له والتعامل معه على أساس سلامة الفطرة والحفاظ عليها وتنمية سمات الشخصية الإسلامية الصحيحة كالاخلاص والتوبة والاستغفار والصبر والصدق واستمرار مراقبة الله سبحانه والإيثار والتعاون مع الغير في البر والتقوى والاستقامة

والمبادرة إلى الخيرات والتأدب بالادب القرآني الكريم وبأدب السنة النبوية المطهرة. . . (١٠) أقول إنه من أجل تحقيق أهداف هذه السياسة التربوية الإسلامية الصحيحة Policy True Islamic Educational يجب أن تكون البرامج التربوية متمركزة حول التلميذ والمنهج والمجتمع العام والمحلي ، والمقصود بالتلميذ مراعاة حاجاته وإمكانياته وطبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها وخصائصها والحفاظ على الفطرة السليمة وتغذيتها بالقيم الدينية والأخلاقيات وجوانب السلوك الإسلامي. والمقصود بالمنهج هنا الأنشطة المخططة التي تستهدف صياغة الشخصية الإسلامية المتكاملة القادرة على استيعاب أحدث منجزات العصر العلمية والتكنولوجية (ولهذا يجب أن تتضمن المقررات الدراسية أحدث علوم العصر وتقنياته بشكل يتناسب مع القدرة الاستيعابية للتلميذ) والقادرة على تكوين أسر صالحة وممارسة العضوية الرشيدة في المجتمع ، أي القادرة على العمل والعطاء المثمر وعلى تكوين علاقات راضية مرضية مع الآخرين ، وهذه هي في جوهرها أسس الصحة النفسية والاستواء الاجتماعي بالمفهوم الإسلامي الصحيح . أما المقصود بالمجتمع هنا تلبية حاجاته وتحقيق تنميته بشكل يحقق تقدمه الاقتصادي والاجتماعي المتكامل والقضاء على مختلف جوانب تخلفه حتى يحقق قوله تعالى : « . . . وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ . . . الآية » وبذلك يستطيع المجتمع المسلم أن ينشر دين الله في الأرض وأن يقف ـ بقوة ـ أمام كل محاولات النيل منه من جانب الدول غير الإسلامية . وعلى هذا يجب أن توظف البرامج التعليمية في خدمة دين الله وخدمة تنمية المجتمع المسلم إقتصادياً واجتماعياً .

سابعاً : يجب أن تدرك الادارة المدرسية أن مهمة المدرسة ليست مجرد تلقين المعلومات والإعداد للامتحانات ، وإنما مهمتها تنمية الشخصية الإسلامية بالمفهوم السابق تحديده ، وقد كان الهدف الأسمى للمدارس في الماضي تحقيق النظام، ولكن ما لبث أن أدرك الباحثون أن النظام ليس هدفاً في حد ذاته ، بل قد يكون النظام المفرط على حساب حاجات الطالب النفسية والجسمية والاجتماعية كما يتعارض مع مبدأ الاعتدال وعدم التطرف والوسطية ، وهو مبدأ إسلامي أصيل ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « ألا هلك المُتَنَطِّعُونْ » ثلاث مرات ـ رواه أحمد

١/ ٣٨٦ - والمتنطعون هم المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » رواه البخاري ١/ ١٧ . ومن أهم صفات الرحمن كما وردت في القرآن الكريم الاعتدال قال عز شأنه « وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوْا لَمْ يُسْرِفُوْا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً » (سورة الفرقان آية ٦٧)

ثامناً : يجب على الإدارة التعليمية الاهتمام باختيار المعلمين وتأهيلهم علمياً وتربوياً واجتماعياً ونفسياً وتزويدهم بمبادىء الصحة النفسية ذلك لأن أمسّ ما تحتاج إليه المدارس من أجل حسن أداء رسالتها التربوية معلمون مؤمنون تتيح لهم شخصياتهم وتدريبهم خلق الجو المناسب لنمو شخصيات التلاميذ بشكل سوي. ولا نغالي إذا قلنا إنه ليس هناك مهنة إذا امتهنها ذو شخصية مختلة معتلة كانت أجلب للضرر على غيره وعلى نفسه من مهنة التدريس . فالمدرس العصابي Neorotic ينشر الاضطرابات النفسية بين طلابه تماماً كالمصاب بالجدري أو بالحمى. وسلوكه نحو طلابه يتسم بنفس صفات الوالد العصابي نحو أولاده . وترجع خطورة المعلم إلى أنه يتعامل مع بشر ويقوم بعدة أدوار في وقت واحد فهو بديل الأب وهو رئيس وقدوة ومشرف وموجه وخبير وعالم . والواقع أن المعلم لا تغنيه ثقافته أو مهارته في التدريس أو حبه للعمل أو إلمامه الواسع بمشكلات مهنته . . لا يكفيه هذا كله للنجاح في مهنته إن لم يكن مؤمناً بالله ، ويسلك السلوك المسلم القويم ، وإن لم تكن له القدرة على الفهم والعطف والاستبصار الوجداني Emotional insight في نفوس تلاميذه . والمدير الناجح هو الذي سبق له ممارسة مهنة التدريس وتدرج في السلم التعليمي والتربوي ، والذي يتمتع بسمات المدرس الكفء والذي يتابع سلوك المدرسين للتأكد من خلوهم من الاضطرابات النفسية الخطيرة ، وحسن علاقاته مع زملائه وتلاميذه . ومن البديهي أن يخلو المدير من المشكلات النفسية الحادة وأن يتمتع بالحد الأدنى من الصحة النفسية (الايمان بالله والخلو من الصراعات والقدرة على التوافق السوي مع نفسه ومع الآخرين ومع مهنته ومجتمعه ، والقدرة على العمل والعطاء والتفاعل السوي الايجابي مع الآخرين بمعنى تكوين

علاقات مع الآخرين قوامها المودة والالفة ، والرضى عن الذات والعمل والآخرين) .

تاسعاً : ويجب على الإدارة المدرسية حل الخلافات التي تظهر بين أعضاء الأسرة المدرسية ، كذلك يجب أن تهتم بمواجهة المشكلات السلوكية للتلاميذ ومواجهتها في مراحل مبكرة . وهذا لن يتحقق إلا بالتعاون الكامل بين البيت والمدرسة والعيادات النفسية . ومن أهم أمثلة الانحرافات النفسية والسلوكية للتلاميذ الخوف المرضي من الامتحانات والقلق المفرط على الصحة وصعوبة تركيز الانتباه والعجز عن تنظيم أوقات الاستذكار ووقت الفراغ والإعراض عن بذل الجهد والتبرم بالدراسة والعجز عن التعامل السليم مع الآخرين وضعف الحساسية الاجتماعية وعدم اتباع أصول السلوك الإسلامي والعزوف عن الأنشطة الاجتماعية والمتاعب المالية والانحرافات الجنسية والمخاوف الشاذة . ويجب على المدرسة أن تتخذ مختلف الإجراءات الإنشائية والوقائية والعلاجية في مواجهة المشكلات في علاقات أسرة المدرسة ومواجهة الانحرافات السلوكية للتلاميذ ومنع وقوعها أصلاً .

المهارات الأساسية لمدير المدرسة الناجح

هناك مجموعة من السمات التي يجب أن يتسم بها مدير المدرسة الناجح ، كما أن هناك مجموعة من المهارات التي يجب أن يجيدها حتى تحقق المدرسة أهدافها بكفاءة . ومدير المدرسة هو راعي المدرسة وهو مسئول عن رعيته أمام الله أولا ، ثم أمام رؤسائه وأمام المجتمع وأمام نفسه ويجب على المسلم أن يحاسب نفسه قبل أن يُحاسَب وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه . ومدير المدرسة كدور إجتماعي قائد يجب أن يتسم مشاعله بالايمان بالله والقدوة الحسنة والسلوك الإسلامي ـ الصدق والصبر والعدل ومراقبة الله سبحانه ـ والنضج الانفعالي Emotional Maturity والفهم التربوي Educational insight والإستواء النفسي Psychological Sanity والتواضع وأن يكون من النوع الذي يألف ويؤلف والقادر على الحزم واتخاذ القرارات العادلة بعد الفهم والتقصي واستشارة ذوي الشأن والخبرة والعلم ، والمعاملة العادلة لجميع أعضاء الأسرة المدرسية .يقول تعالى« إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . »الآية

(النحل ٩٠) ويقول تعالى « وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » (الحجرات ٩) وعن عياض بن حمارٍ رضي الله عنه قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيالٍ » رواه مسلم ٢١٩٨/٤ . وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له : أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن شرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَة ، فإياك أن تكون منهم » أخرجه مسلم ١٤٦١/٣ . (الرعاء بكسر الراء جمع راع ، والحُطَمَة العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والاصدار وضربه ﷺ مثلاً للراعي القاسي الذي يظلم رعيته ولا يرق لهم ولا يرحمهم)[١١] ويقال أيضاً حطم بلا هاء.وأهم المهارات الأساسية التي يجب أن تتوافر للمدير الناجح هي:

أولاً : المهارة الفنية Technical Skill وتتمثل في فهم نظم ولوائح التعليم وقوانينه وإدراك المدير لحقوقه واختصاصاته ومسئولياته حتى لا يصدر قراراً ليس من حقه ، وحتى لا يتوانى عن إصدار قرار يقع في نطاق اختصاصاته ومسئولياتـه ، وهذه المهارة تكتسب بالخبرة الطويلة في ممارسة المهنة التربوية ومـن خلال برامـج التدريب المهني أثناء العمل In service training ومختلف أشكال وأنواع التدريب المهني المتخصص.

ثانياً : المهارة الإدراكية Perceptive Skill وتتمثل في اتساع منظور الـرؤية عنـد المدير وقدرتـه على النظـرة الشمـولية Holistic للقضـايا والموضوعـات والمشكلات التي تعرض عليه ، في اتصالها بالمنهـج والأنشطـة التربـوية وأهـداف المدرسة وصالح الطلبة وصالح أعضاء أسرة المدرسة واتفاقها مع السياسة التعليمية والأهداف العليا للمجتمع . . . الـخ. وهـذه القـدرة على الفهـم للأمـور التربـوية والقضايا المدرسية تعتمد على عاملين أساسيين هما الخبرة السابقة والذكاء، فالمدير الناجح هو القادر على اتخاذ القرار الرشيد Rational decision making في الوقت المناسب وبالسرعة اللازمة وبالكفاءة الواجبة مع أخذ جميع المتغيرات في الاعتبار.

ثالثاً : المهارة الاجتماعية Social Skill وهي التي تتصـل بالفهـم الصـادق للذات وللآخرين ولمطالبهم وحاجاتهم النفسية والاجتماعية والقدرة على التعامل مع

الآخرين بشكل يحبب العاملين في عملهم وفي المدرسة وفي الادارة ، ويتيح لهم فرصة التعبير الحر عن آرائهم ومشكلاتهم وإشراكهم في عملية اتخاذ القرار ، وتطبيق أسلوب الشورى والقرار الجماعي Group Decision حيث يشعر العاملون أنهم هم أصحاب الفكرة والرأي وليس مفروضاً عليهم من المدير وقد أثبتت دراسات ديناميات الجماعة Group Dynamics أن درجة حماس العاملين وحرصهم على تنفيذ القرارات بكفاءة ودقة تتناسب طردياً مع درجة شعورهم بالمشاركة في اتخاذها ، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يشرك معه الصحابة في اتخاذ القرارات ويفتح أمامهم باب الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص أو وحي . وهذه المهارة الاجتماعية يمكن إكسابها للمديرين من خلال عدة أساليب تدريبية كالمحاضرة والجلسات أو الجماعات النقاشية Discussion Groups وتمثيل الأدوار Role Playing وتبادل الأدوار Role Reversal . . . الخ .مع التقييم المستمر للتقدم في برامج التدريب ، سواء من خلال اختبارات مقننة Standerdized Tests أو خلال الممارسة الميدانية الواقعية Real Field Practice.

رابعاً : **المهارة التربوية** Educational Skill من أهم المهارات التي يجب أن يتسم بها المدير الناجح في المدرسة،القدرة على معالجة قضايا المدرسة بأسلوب تربوي ، وهنا لا يكفي أن يكون ملماً بأصول علوم النفس والاجتماع والتربية والإنسان ، بشكل نظري ، وإنما يجب أن تكون لديه القدرة على تحويل هذا الفهم النظري إلى ممارسة في الواقع العملي . وتبرز هذه المهارة في تعامل المدير مع المدرسين ومع الطلبة ومع أولياء الأمور ، وفي تخطيط برامج النشاط المدرسي ، وفي علاج المشكلات التي تعرض عليه ، وفي توزيعه لوقته في المدرسة حيث يجب ألا يستغرق كلية في أعمال إدارية وإنما يجب أن يوزع العمل على مساعديه وأن يمنح الجزء الأكبر من عمله في متابعة العملية التربوية وتنفيذ وتقييم المناهج الدراسية بالمفهوم الواسع الذي سبق أن أشرنا إليه .

الإدارة المدرسية ودورها في تطوير المنهج

إذا كان التعليم اليوم ينظر إليه على أنه نوع من الاستثمار طويل المدى Long Term Investment وهو يمثل أعلى أنواع الاستثمار عائداً من المنظور

الاقتصادي والاجتماعي معاً ، وقد أجريت العديد من الدراسات حول اقتصاديات التعليم Economics of Education ، وقد كشفت عن أن العائد الاقتصادي من التعليم أعلى من عائد أي نوع آخر من الاستثمار فقد أثبتت إحدى الدراسات الأمريكية أن العائد من التعليم يغطي ما ينفق عليه خلال تسع سنوات فقط ، وقدر العائد من التعليم الإلزامي (لمدة أربع سنوات فقط) في الاتحاد السوفيتي بثلاث وأربعين ضعفاً لما ينفق عليه(١٢) . وحتى تحقق العملية التربوية ـ كاستثمار إجتماعي واقتصادي ـ الكفاءة الواجبة يجب تحقيق الكفاية في القائمين على الإشراف عليها وتوجيهها.

وإذا ما تساءلنا عن أهم مهام مدير المدرسة الناجح والأبحاث التي أجريت في هذا المصدر ، نجد أنه جاء في تقرير لجنة قومية لدراسة مستويات تدريب مديري المدارس في أمريكا وتحديد مسؤولياتهم ما يلي « يقع على مدير المدرسة الثانوية كل المسئوليات الملقاة على عواتق المعلم والعاملين الإداريين والطبيب وعمال النظافة وجميع موظفي المدرسة » . وهو بالاضافة الى ذلك تقع عليه ثلاث مسئوليات تفوق ما يسند الى العاملين الآخرين من مسئوليات وهي .(١٣)

أولاً: مسئولية قيادة هيئة التدريس جميعاً من أجل تحقيق أهداف المدرسة .

ثانياً : مسئولية التنسيق بين جميع الأنشطة المدرسية التي تنبثق عن برنامج دينامي .

ثالثاً : مسئولية اتخاذ القرارات.

وقد أجرت الهيئة القومية لمديري المدارس الثانوية في أمريكا NASSP دراسة من أجل تحديد أهم واجبات مدير المدرسة الثانوية ، جمعت خلالها آراء أكثر من ألفين من المدرسين ورجال الادارة وأولياء الأمور والطلاب ، وكشفت هذه الدراسة عن أن أهم واجبات المدير القيادة المهنية لأسرة المدرسة وتحسين التعليم ورفع كفاءته . وقد عبر الكثير من المديرين أنهم كثيراً ما يهملون هذا الواجب الأخير على الرغم من أهميته الفائقة .(١٤)

وتشير أغلب الدراسات الأجنبية عن واجبات مدير المدرسة إلى أنها تتمثل فيما يلي[١٥] : (١) تحسين المنهج والعملية التعليمية . (٢) تنظيم وإدارة وتنسيق النشاط المدرسي . (٣) الإشراف على برنامج النشاط المدرسي وتحسينه . (٤) القيادة المهنية للمدرسين لنجاح العمل . (٥) توجيه التلاميذ ومساعدتهم على التكيف . (٦) العمل الكتابي والمراسلات. (٧) العلاقات العامة والعمل مع الهيئة. (٨) وضع السياسة واتخاذ القرارات وتنفيذها. (٩) تفويض السلطة والمسئولية . (١٠) النمو الشخصي والنمو المهني. (١١) تقويم العملية التعليمية .

ولنا على هذه المهام مجموعة من الملاحظات،أهمها أن مدير المدرسة ليس من شأنه وضع السياسة التعليمية ، لأنها تتعلق بالأجهزة العليا للمجتمع ولكنه ينفذها وله أن يرسل اقتراحاته في هذه الصدد ، يضاف إلى هذا أن من أساسيات مدير المدرسة في المجتمع المسلم الحفاظ على فطرة التلاميذ وصياغة الشخصية الإسلامية عقيدة وسلوكاً وأخلاقاً .

وقد أجريت عدة دراسات ميدانية حول مهام الادارة المدرسية منها دراسة أندرسون Anderson وفلنت Flint تحت إشراف البرنامج التعاوني للادارة المدرسية في ولايات الأطلنطي الوسطى[١٦] ،وحاولت الكشف عن ما ينبغي أن يعرفه مدير المدرسة ويفعله بصدد تحسين المنهج واشترك في هذه الدراسة فريق مكون من أساتذة الجامعات والادارة المدرسية وطلبة الدراسات العليا في سبع كليات وتم إجراء الدراسة في ثلاثين قسماً تعليمياً . وقد أعد فريق البحث نحو ثمانية عشر فرضاً عما يجب أن يعرفه ويفعله مدير المدرسة ، واستخدم البحث أسلوب المقابلة الشخصية ، التي طبقت على المعلمين والمديرين والمشرفين الفنيين ومديري التعليم وبعض المواطنين في المجتمعات التي تم فيها إجراء الدراسة وكانت أهم نتائج الدراسة هي كما يلي : -

أولاً : العمليات الادارية : برزت مهارات العمل الجمعي والعلاقات الإنسانية كأهم مهارات يجب توافرها لمدير المدرسة حتى يؤدي واجبه في تحسين التعليم إلى جانب سمات ومهارات أخرى.

ثانياً : الصفات الشخصية : كشف البحث عن ضرورة توافر مجموعة من الصفات الشخصية لمدير المدرسة كالكرم والاهتمام بالآخرين والأمانة والصدق والثقة بالزملاء . . .

ثالثاً : القيم التربوية : كشفت الدراسة عن ضرورة توافر مجموعة من القيم التربوية والخلقية لدى المدير والتي يجب تنميتها عن طريق البرنامج التعليمي (حب الاطلاع ، تفتح العقل ـ اتساع الأفق ـ استغلال البيئة في تحسين البرنامج التعليمي . . . . إلخ) .

رابعاً : معرفة كيفية تطوير المنهج والاستبصار : ـ الفهم العميق للعملية التعليمية والنمو الإنساني ، وفهم كيفية تحسين المنهج في الفصل وخارج الفصل والمدرسة . . .

كذلك فقد قام أوستن Austin و« كولينز » Collins ۱۹۵۲م بدراسة للكشف عن اتجاهات مديري المدارس الثانوية نحو اثنين وثلاثين نشاطاً من أهم أنشطة الادارة المدرسية[۱۷] (توصل إليها الباحثان عن طريق مجموعة من المحكمين) وقد أرسل الاستفتاء الى أثني عشر ألف مفحوص منهم مديري مدارس ومديري تعليم وأولياء أمور . . . . وطلب إلى كل مفحوص تقدير النشاط حسب مقياس من خمس درجات ، إذا كان النشاط عظيم الأهمية أو قليل الأهمية وإذا ما كان يعتبر هاماً أو غير هام بالنسبة لأهل البيئة ، أو ما إذا كان المفحوص لا يدري شيئاً عن الموضوع . وقد كشفت الإجابات عن اتفاق مديري المدارس وأهل البيئة في بعض الأنشطة التي يعتبرونها معاً هامة جداً ، ودعمت آراء أهل المجتمع المحلي بعض أنشطة المديرين بشكل أقوى مما توقع المديرون أنفسهم .

المدرس وعملية التدريس

يعد التعليم أو التدريس أشرف رسالة فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول إنه بعث معلماً وقد علم الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم وكانت أول آية نزلت هي « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ » (العلق ۱) ويقسم سبحانه وتعالى بالقلم في سورة

القلم «نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» (القلم ١) وقد كان عليه السلام معلماً للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . وقد كان المسجد في المدينة المنورة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الناس كافة صغاراً وكباراً ، وذكوراً وإناثاً . . . وكان لهذه المدرسة فرع ليلي ينام فيه من يأوي إليه من الأرياف أو من الفقراء (كأهل الصفة) فيجمعون بين التعليم الديني والدنيوي ، حتى إذا أتقنوا حرفة أو وجدوا عملاً ذهبوا يطلبون الرزق ، وبقوا يترددون على مدرستهم لطلب العلم وأداء العبادة ، وكانت الألعاب والتمارين الحربية تقام في ساحته أحياناً كما فعل الأحباش ورسول الله ﷺ ينظر إليهم من حجرته ويقول لهم « دونكم يا بني أرفدة » والسيدة عائشة تنظر إليهم مع النبي عليه الصلاة والسلام[١٨] . وظل المسجد يؤدي وظيفة العبادة والتعليم (إلى جانب الوظائف الأخرى) حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث ظهر إلى جانب المسجد مجموعة من الكتاتيب لتعليم الأطفال وتربيتهم .

والمدرس - في المدرسة الحديثة - عليه مساعدة التلاميذ على اكتساب المعرفة ، وعليه أن يسهم في إكسابهم القيم والتقديرات والميول والاتجاهات والسلوك الإسلامي القويم ، كذلك فإن المدرس هو ومسئول عن مساعدة التلاميذ على اكتساب المهارات الضرورية مثل القدرة على التفكير السليم وحل المشكلات . وكل هدف من هذه الأهداف يتطلب جهداً كبيراً . فمحاولة إكساب التلاميذ المعرفة والمعلومات تتطلب ستة مستويات -كما يحددها المشتغلون بالتربية- وهي تذكر المعلومات والفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم[١٩] . . . . وقل مثل هذا عن عملية إكساب القيم والمبادىء والاتجاهات المرغوبة . . .

ويعد المدرس العمود الفقري في العملية التربوية ، وعلى الرغم من تعقد عملية التدريس وصعوبة وصفها وتحديدها فإن المدرس مطالب بالقيام بعدة أدوار ، قام « كيني Kinney» بتلخيصها فيما يلي :

(١) المدرس مسئول عن التعلم .
(٢) المدرس موجه ومرشد للتلاميذ . .
(٣) المدرس وسيط للثقافة .

(٤) المدرس عضو في جماعة المدرسة

(٥) المدرس حلقة اتصال بين المدرسة والبيئة .

(٦) المدرس عضو في النقابة التعليمية .

نضيف إلى هذا أن المدرس قدوة حسنة ومسئول عن غرس المبادىء والقيم الإسلامية القويمة ومراقبة سلوك التلاميذ وتوجيهه بما يتفق مع العقيدة الإسلامية السمحة .

أولاً : المدرس مسئول عن عملية التعلم

من أهم واجبات المدرس كدور اجتماعي تربوي مخطط Planned Educational Social Role تخطيط المواقف التعليمية المختلفة - داخل الفصل وخارجه سواء داخل المدرسة أو خارجها - في إطار السياسة التعليمية العليا في المجتمع ، بحيث تشتمل على خبرات تعليمية هادفة طبقاً لأهداف المجتمع العليا - وهي الأهداف والقيم الإسلامية في المجتمع المسلم - . ويجب أن ترتبط هذه الخبرات التربوية والتعليمية التي يهيئها المدرس لتلاميذه بعضها ببعض من جهة ، وبميول التلاميذ واهتماماتهم (سواء الطبيعية أو المستثارة) من جهة ثانية وبمطالب العصر العلمية والتكنولوجية من ناحية ثالثة وبحاجات المجتمع ومتطلبات نموه وتنميته من جهة رابعة . ومن المهم أن يكون المدرس علاقات طيبة تقوم على التقدير والاحترام والثقة المتبادلة بينه وبين تلاميذه Rapport حتى يشعر التلاميذ بالألفة والثقة والأمن وهو ما يسهل عملية الاستيعاب والتفاعل التربوي المثمر داخل الفصل . كذلك فإنه يجب أن يحافظ المدرس على النظام داخل الفصل الدراسي ، فالنظام أمر يسهل القيام بعملية التعليم والتعلم . ومن واجب المدرس استخدام طرق فعالة في التدريس مع استخدام أنسب الوسائل التعليمية من أجل تحقيق الأهداف التربوية . والمدرس الناجح هو الذي يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ وأن يوجه العملية التربوية بما يتناسب مع نوعية التلاميذ وما بينهم من فروق فردية ، وأن يقيس باستمرار أثر العملية التعليمية من إكساب التلاميذ الخبرات المخططة - معرفياً أو عقلياً أو لغوياً أو انفعالياً أو اجتماعياً ، نظرياً أم سلوكياً . . . الخ - وذلك من خلال مختلف أساليب التقويم Evaluation التي كشفت عنها العلوم الاجتماعية الحديثة .

ثانياً : المدرس كموجه ومرشد للتلاميذ

من واجبات المدرس ألا يقتصر على عملية التعليم بالمفهوم الاصطلاحي ، لكنه مربٍ قبل أن يكون معلماً ، وعليه أن يتعرف على حاجات تلاميذه ومشكلاتهم وتطلعاتهم وأن يساعدهم على إشباع حاجاتهم بشكل سويّ كما يساعدهم على تعلم كيفية تأجيل رغباتهم وحل مشكلاتهم وتنظيم تطلعاتهم حتى تتفق في مستواها Level of Aspiration مع مستويات تحقيقهم وإمكاناتهم Level of achievement ، وعلى المدرس أن يستخدم معلوماته النفسية والاجتماعية والتربوية في ممارسة الارشاد النفسي Counselling لمن يحتاج من الطلبة مع تحويل الحالات التي تستدعي التخصص إلى المتخصصين.

ثالثاً : المدرس كوسيط للثقافة

إذا كانت التربية هي في جوهرها صياغة ثقافية للفرد طبقاً لأسس الثقافة السائدة داخل المجتمع - كالثقافة الإسلامية التي تنطلق من الكتاب والسنة وتشجع الأنشطة العلمية والأدبية والفنية الهادفة في المجتمع المسلم - فإن إحدى وظائف المدرسة الحديثة هو إعداد التلاميذ للمشاركة بفاعلية وإيجابية في الثقافة التي يعيشون فيها يستدمجون Internalization معتقداتها وقيمها وموجهاتها السلوكية وآدابها ، ويسهمون في الاضافة إليها في مجال العلوم النظرية والتطبيقية والآداب والفنون . . . وهذه هي وظيفة المدرسة من خلال المدرسين الذين لا تقتصر مهامهم على التلقين وإنما تمتد لإعداد التلاميذ للحياة واكتساب القيم العليا لمجتمعهم ، ويستطيع المدرس أن يستخدم عدة أساليب لتحقيق هذا الهدف مثل الكتب والصحافة والبرامج الموجهة والتربوية الهادفة في أجهزة الإعلام والأنشطة المختلفة داخل المدرسة والرحلات ، وعلى المدرس أن يحيط طلابه علماً بأهم مشكلات المجتمع - حسب طبيعة المرحلة وقدرتهم على الاستيعاب - وليس الهدف هو أن يقوم الطلبة بحل المشكلات ، وإنما الهدف أن يدركوا جوانب المشكلة وخطورتها والطرق التي يمكن أن تساهم في حلها وأن يساعدوا المجتمع على حلها - مثل المشكلات الصحية (تعلم النظافة وطرق الوقاية من الأمراض . .).

رابعاً : المدرس كعضو داخل أسرة المدرسة

الواقع أن دور المدرس من أخطر الأدوار الاجتماعية داخل المجتمع وداخل المدرسة ومن مهام دوره - إلى جانب ما ذكرناه - أن يتعاون مع زملائه ومع الادارة المدرسية ، ومع أولياء أمور التلاميذ . ولا يتحقق له النجاح في مهمته التربوية إن اقتصرعلى تكوين علاقة طيبة بالطلبة فحسب ، وإنما يجب أن يكون علاقات إيجابية مثمرة تقوم على الاحترام والثقة المتبادلة مع مختلف الجماعات التي ذكرت بعضها لصالح العملية التربوية ذاتها .

خامساً : المدرس كحلقة اتصال بين المدرسة والبيئة

وقد كان الدور التقليدي للمدرس يتم داخل الفصل الدراسي ، لكن امتداد واتساع دور المدرس كمربي إلى جانب كونه معلماً يقتضي منه توسيع دائرة اتصالاته واتصالات تلاميذه من أجل إتاحة الفرصة أمامهم للنزول للمجتمع والتعرف على ثقافته المادية والمعنوية ويجب على المدرس متابعة طلابه أو تلاميذه داخل وخارج المدرسة من أجل التعرف على أساليب قضاء أوقات فراغهم وأسلوب استذكارهم وتوجيههم بما يفيد في تحقيق أهداف السياسة التربوية للمجتمع والمدرسة . ومن خلال الاتصال بالبيئة أو المجتمع المحلي والعام يقوم المدرس بعمليتين أساسيتين هما :

أ - تعريف أبناء المجتمع بالدور التربوي والتعليمي الهام الذي تقوم به المدرسة في خدمة التلاميذ وإعدادهم جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً واجتذاب معاونة الأجهزة المحلية من أجل دعم العملية التربوية .

ب - استخدام المصادر المختلفة في البيئة في دعم واستخدام الخبرات التعليمية التي يكتسبها التلاميذ في المدرسة . فمن خلال الرحلات العلمية المنظمة مثلاً يستطيع المدرس أن يوضح للتلاميذ - على الطبيعة بعض الحقائق العلمية - في التاريخ أو الجغرافيا أو الطبيعة . . . الخ - ومن خلال زيارة المعالم الأساسية في المجتمع - يستطيع التلاميذ التعرف مباشرة على مجتمعهم المحلي والعام ، كما يمكن الاستفادة

بالخبرات ـ خارج المجال التعليمي ـ في شرح بعض الموضوعات ـ ذات الصلة بالمنهج ـ للتلاميذ ـ مثل النشاط الزراعي أو الصناعي أو التعاوني . . . في المجتمع . يضاف إلى هذا كله أن المدرس يمكن أن يفيد أبناء المجتمع المحلي من خلال برامج هادفة تنظمها المدرسة خدمة للبيئة مثل برامج محو أمية ، أو برامج توعية ، أو برامج تدريب مهني مبسطة لربات البيوت أو للرجال .

سادساً في بعض الدول هناك نقابات للمعلمين وظيفتها الارتقاء بالمهنة من خلال الدراسات والأبحاث والمؤتمرات ، إلى جانب أداء خدمات لأبناء المهنة . ومن مهام المدرسين المشاركة الايجابية في مثل هذه الجماعات المهيئة بما يحقق التقدم المهني وتقدم أبناء المهنة .

سابعاً : قبل هذا كله وبعد هذا كله المدرس كقدوة ، فقد أثبتت مختلف الدراسات الواقعية Emperical Studies أن المدرس يؤثر بشكل كبير في تفكير وسلوك تلاميذه من خلال أساليب سلوكه وتفكيره هو كقدوة ، هذا إلى جانب أنه من أهم العوامل المؤثرة في تشكيل قيم التلاميذ ومثلهم ـ سواء من خلال ـ بشكل السلوك المقصور أو من خلال السلوك التلقائي العفوي للمدرس . ويزداد تأثر التلاميذ في المدارس بالمدرس كلما زادت مدة التفاعل بين المدرس وطلابه ، أي أن درجة تأثر الطالب بالمدرس تتناسب طردياً مع طول مدة التفاعل ومن أهم الأبحاث التي أثبتت تأثر التلاميذ بشخصية المدرس ، ذلك البحث الذي أجراه « أندرسون » Anderson سنة **١٩٤٥** حيث قام بدراسة العلاقة بين مظاهر سلوك المدرس في الفصل وبين سلوك التلاميذ ، وكانت أهم النتائج التي كشف عنها أنه كلما كانت شخصيات التلاميذ متكاملة ، إتّسم سلوك التلاميذ بالتعاون Co-operation والتلقائية Spontaniety والمبادأة Iniciative ، أما المدرس الذي يتسم سلوكه وشخصيته بالسيطرة Authoritarian فإنه يؤدي إلى ظهور العديد من الاضطرابات السلوكية الناجمة عن الكبت عند التلاميذ(٢٠) . وقد كشفت الكثير من الدراسات الأخرى في دول كثيرة أن التلاميذ يستدمجون اتجاهات المدرس ويعكسون قيمه ومعتقداته .

ولعل هذه الحقائق هي التي تستوجب توجيه اهتمام خاص عند اختيار المعلمين أو ممارسي المهنة التربوية وتزويدهم بمبادىء الصحة النفسية ، ذلك لأن أمسّ ما تحتاجه العملية التعليمية ومدارسنا المعاصرة - من منظور الصحة النفسية ، معلمون تتيح لهم شخصياتهم ومعتقداتهم وتدريبهم خلق الجو المناسب لنمو شخصيات التلاميذ بأسلوب سويّ . ولا نغلو إذا قلنا إنه ليس هناك مهنة إذا امتهنها ذو شخصية معتلة كانت أجلب للضرر على غيره وعلى نفسه من مهنة التدريس . فالمعلم العصابي Neorotic ينشر الاضطرابات النفسية بين طلابه كما لو كان مصاباً بالجدري أو الحمى . وسلوكه نحو طلابه يتسم بنفس الصفات التي يتسم بها الوالد العصابي نحو أولاده . وترجع خطورة المعلم إلى أنه يقوم بعدة أدوار في وقت واحد ، فهو بديل الأب وهو رئيس ومشرف وموجه وخبير وعالم . والواقع أن المعلم لا تغنيه ثقافته أو مهارته في التدريس أو حبه للعمل أو إلمامه الواسع بمشكلات مهنته ، لا يكفيه هذا كله للنجاح في مهنته إذا لم تكن له القدرة على الفهم والعطف والاستبصار الوجداني في نفوس طلابه .

وبهذا الشكل تتضح لنا خطورة مهنة المدرس كقدوة ولهذا يجب أن يكون لديه الحد الأدنى من الصحة النفسية حتى يكون انطباعه سوياً في نفوس طلابه وتفكيرهم وسلوكهم . ونقصد بالصحة النفسية عدة أمور هي :

(أ) الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

(ب) القدرة على تكوين علاقات راضية مرضية مع الآخرين.

(جـ) القدرة على العمل والإنتاج وممارسة دور اجتماعي مفيد وإيجابي داخل الجماعة.

(د) الخلو من الصراعات النفسية والقدرة على التكيف السوي مع الآخرين وعلى أن يسلك السلوك الإسلامي القويم.

هذه هي أهم أبعاد الصحة النفسية التي يجب أن تتوافر لدى المدرس حتى يكون قدوة صالحة لتلاميذه.

أهم خصائص المدرس الناجح

اختلفت الدراسات التربوية ـ سواء النظرية أو الميدانية ـ عند محاولة تحديد أهم خصائص المدرس الناجح ، ويرجع هذا الاختلاف إلى عدة أمور ، نوجز أهمها فيا يلي :

أولاً : كثير من الدراسات حاولت دراسة الخصائص الشخصية للمدرس دون اتفاق واضح ومحدد حول مفهوم الشخصية ، فهناك من يعرف الشخصية على أساس سلوكي بمعنى أنها مجموع ما يقوم به المدرس من سلوك ، والبعض الآخر يعرف الشخصية على أساس أنها نوع من الاستجابة Response التي يقوم بها الآخرون تجاه المدرس على أساس أنه يعد مثيراً Stimulus ، بينما يعرفها فريق ثالث بأنها تنظيم ديناميكي داخل المدرس وهو الذي يحدد سلوكه المتميز (مستمد من تعريف البورت للشخصية) .

ثانياً : إستخدمت الدراسات التي حاولت دراسة الصفات الواجبة للمدرس الناجح وعلاقتها بالعملية التعليمية ، مجموعة مختلفة من المقاييس ، الأمر الذي يحول دون إمكان عقد دراسة مقارنة Comparative Study بين نتائج هذه الدراسات .

ثالثاً : عدم وجود اتفاق حول المعايير Criteria التي يمكن من خلالها الحكم على مدى فاعلية التدريس . فالأساليب التقليدية كانت تحاول الحكم على المدرس من خلال التقدير الشخصي لمدير المدرسة والموجهين الفنيين ، وهناك من الدراسات من تتخذ من تحصيل التلاميذ أو مستواهم التحصيلي Achievement مقياساً لمدى فاعلية المدرس ، مع العلم أن العلاقة بين نوعية التدريس وتحصيل التلاميذ علاقة بالغة التعقيد يصعب دراستها دراسة تجريبية إلا من خلال محاولة التحكم وتثبيت المتغيرات والعوامل العديدة التي تتصل بالتحصيل الدراسي . والواقع أن مشكلة تقييم المدرس بالغة التعقيد ، فكيف نقيس أثر المدرس في تلاميذه خاصة بعد أن تعقد الدور الاجتماعي التربوي للمدرس ، حيث لم يعد دوره قاصراً على تلقين المعلومات وإنما أصبح دوره يتمثل في بناء شخصية التلميذ معرفياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً ـ فكرياً وسلوكياً،وإعداده كي يكون إنساناً صالحاً يتمتع بأساسيات الصحة

الجسمية والنفسية (الايمان والخلو من الصراعات والقدرة على التعامل السوي مع الآخرين ، والقدرة على العطاء والعمل والانجاز . .) وقد صمّم العديد من الاستمارات لقياس الكفاية الانتاجية للمدرس تتناول عدة جوانب منها ـ درجة إجادة المادة ، وأسلوب التدريس الذي يستخدمه ، وقدرته الاتصالية - Communication ability أي قدرته على توصيل المعلومات إلى التلاميذ ، وقدرته على استثارة إيجابية التلاميذ أثناء الحصة وخارج المدرسة ، ومدى مراعاته للفروق الفردية بين التلاميذ ، وتقييمه المستمر لتلاميذه ودرجة فهمهم وتحصيلهم ، ونوعية العلاقة بين المدرس وتلاميذه (احترام وثقة متبادلة ، أم علاقة خوف ورعب ، وهل يقدم الطلبة على سؤال المدرس عما يبدو لهم ـ سواء ما يتعلق بالدرس أو مشكلاتهم خارج الدرس ، أم تقتصر علاقته بهم على الدروس فقط . .) وما هي علاقة المدرس بالادارة وبزملائه ـ تعاون ـ صراع ـ لا مبالاة . . . ـ وما هي الأنشطة التربوية التي يسهم فيها المدرس خارج الفصل . . . . ومدى التزامه بواجباته ومدى إخلاصه في العمل . . ثم ما مدى رضائه عن عمله Job Satisfaction وما مدى تقديره لمهنة التدريس وإتجاهاته نحو المهنة ونظرته اليها . . . الخ. مثل هذه الأسئلة وغيرها تتطلب الإجابة عليها معرفة آراء المدرس نفسه وتلاميذه ورؤسائه الإداريين والفنيين . . . ومن هذا يتضح مدى تعقد عملية تقييم المدرس .

نماذج من الدراسات الواقعية حول خصائص المدرس الناجح

أجريت دراسة ـ في أمريكا ـ على مجموعة من الطلبة الذين يدرسون مادة التربية وطرق التدريس ـ والذين يتم تأهيلهم تربوياً لممارسة مهنة التدريس ـ وقد سُئِل كل طالب أن يتذكر المدرسين الذين درسوا له في مراحل التعليم السابقة ، وأن يكتب الصفات المميزة لأنجح هؤلاء المدرسين . وقد أسفرت الدراسة عن أن أهم هذه الصفات تتمثل فيما يلي : ـ(٢١)

أولاً : الميل إلى التدريس وحب المهنة التربوية .

ثانياً : الالمام التام بالمادة التي يدرسها وإجادتها .

ثالثاً : كيفية تبسيط المادة ونقلها إلى التلاميذ ـ وهي مهارة مهنية تتعلق بإجادة طرق التدريس.

رابعاً : حب المدرس للتلاميذ وتعاطفه معهم واهتمامه بهم وبذل الجهد من أجل معاونتهم.

خامساً : جاذبية الشخصية وتتمثل في قوة الشخصية والتواضع والقدرة على تكوين علاقات قوامها الألفة والاحترام والثقة المتبادلة مع الآخرين .

وقد قام الدكتور أحمد زكي صالح بدراسة للصفات المختلفة اللازم توافرها في شخصية المدرس سنة **١٩٦٥**، (٢٢) وأجرى تحليلاً لمعالم شخصية المدرس المهنية ، وخلص من هذا البحث الى تعميم بطاقة تتضمن صفات المدرس في جوانب مختلفة من شخصيته ، ويمكن ـ من خلال استخدام هذه البطاقة ـ تقييم المدرس سواء في جوانبه الشخصية أو المهنية . وتتضمن هذه البطاقة (٤٠) صفة ، منها (٢٠) صفة شخصية ، (٢٠) صفة مهنية . ومن أمثلة الصفات الشخصية . القدرة على اتباع التعليمات ، نوعية العلاقة بالرؤساء ـ تعاون ـ صراع . . . ـ الاتزان الانفعالي ـ البشاشة وسعة الصدر ـ المظهر العام ومدى مناسبته للوظيفة . . . أما الصفات المهنية فقد تم تصنيفها طبقاً لأربعة مجالات هي:

١ ـ توجيه عملية التعليم (التدريس)
٢ ـ توجيه التلاميذ من الوجهة النفسية والاجتماعية .
٣ ـ المعلم كعضو في جماعة المدرسة .
٤ ـ المعلم كناقل للتراث الثقافي

وقامت الدكتورة رمزية الغريب سنة **١٩٦٠** بدراسة هدفها التعرف على السمات الخلقية والعقلية التي لا بد من توافرها في المعلم حتى ينجح في ترك أثر طيب في نفوس تلاميذه(٢٣) . وقامت بتصميم استفتاء طبق على ١٠٠ معلم ومعلمة جامعيين يتابعون دراساتهم للتأهيل التربوي بكلية تربية عين شمس ، و١٠٠ طالبة بكلية بنات عين شمس إلى جانب ١٠٠ تلميذة من تلميذات المدارس المتوسطة .وقد كشفت الدراسة عن مجموعة من الصفات أو الخصائص أمكن تصنيفها في ست فئات هي:

١ ـ صفات إنسانية
٢ ـ صفات خلقية
٣ ـ المظهر العام والخلقة
٤ ـ التمكن وفهم المادة
٥ ـ نوع القيادة
٦ ـ احترام اللوائح والقوانين المدرسية

كذلك فقد قامت الباحثة المصرية المذكورة (رمزية الغريب) سنة **١٩٦٣** بدراسة تربوية عن بعض العوامل غير العقلية اللازمة لنجاح معلمة التربية الرياضية[٢٤] . وعلى الرغم من أن هذه الدراسة كانت منصبة على مدرسات مادة محددة ، إلا أنها تفيد وتنطبق إلى حد ما على بقية المواد . وقد أسفر التحليل العاملي لنتائج هذه الدراسة عن عوامل ثلاث أساسية وهي : -

أولاً : عامل التكيف الانفعالي .
ثانياً : عامل يتعلق بقدرة تحصيلية مزاجية .
ثالثاً : عامل الطلاقة اللغوية .

وفي سنة **١٩٦٥** قام أحد الدارسين (عزيز حنا) بدراسة عن الصفات الشخصية اللازمة لنجاح طلبة كليات المعلمين في مهنة التدريس ، وطبقت الدراسة على **٣٠٠** طالب بكلية التربية ـ عين شمس ، وكلية بنات عين شمس[٢٥] . وبعد تطبيق أسلوب التحليل العاملي Factorial Analysis للعشرين متغيراً وهي متغيرات الدراسة ، استخلص الباحث أهم العوامل الأساسية التي تحدد نجاح الطالب في مهنة التدريس وهي :
ـ التكيف المهني . ب ـ عامل إنساني أخلاقي . حـ ـ الكفاءة الفنية .
د ـ التكيف الانفعالي والاجتماعي . هـ ـ الجاذبية الشخصية .

وقد ترجم الباحث المذكور هذه العوامل إلى صفات شخصية لازمة للنجاح في مهنة التدريس نوجزها فيما يلي : -

١ ـ سعة الأفق

٢ ـ الابتكار
٣ ـ المشاركة الوجدانية
٤ ـ الالتزام بأخلاقيات المهنة
٥ ـ القيادة
٦ ـ التفاؤل
٧ ـ المظهر الجذاب

وقد قام المجلس القومي للتربية في أمريكا سنة ١٩٤٤ بدراسة عن أهم صفات المدرس الناجح أسفرت عن النتائج التالية: (٢٦)

١ ـ احترام شخصية التلاميذ
٢ ـ سعة الأفق بالنسبة للعوامل البيئية
٣ ـ السلوك القائم على التفكير
٤ ـ التعاون
٥ ـ كثرة المعلومات
٦ ـ القدرة على نقل المعلومات للتلاميذ
٧ ـ الفهم والسلوك الاجتماعي
٨ ـ المواطنة الصالحة في المدرسة والمجتمع معاً.
٩ ـ القدرة على اكتساب صداقة التلاميذ.
١٠ ـ القدرة على فهم التلاميذ.
١١ ـ القدرة على التقويم والقياس
١٢ ـ الايمان بأهمية التدريس أو أهمية المهنة التربوية Education Profession

وقد حاولت بعض الدراسات استطلاع آراء التلاميذ نحو مدرسيهم من أجل الوقوف على أهم الخصائص التي تقربهم إلى التلاميذ. ويعرض لنا « وينتروب » Weintraub أهم نتائج هذه الدراسات التي أجريت على بعض تلاميذ المرحلتين المتوسطة والثانوية، فقد وجد أن التلاميذ يحبون المدرسين الذين يتسمون بعدة سمات أهمها الروح المرحة والتعاطف مع التلاميذ ومحبتهم لهم، والفهم لحاجات التلاميذ ومشكلاتهم، والقدرة على الشرح الجيد والمبسط. (٢٧)

وقد أوضح « ريان » D.G. Ryan أن هناك ارتباطاً واضحاً بين النجاح في التدريس كمهنة وبين مجموعة من الخصائص أهمها ما يلي : -

١ - الذكاء.
٢ - القدرة على التحصيل المدرسي.
٣ - القدرة على التكيف الانفعالي.
٤ - اتجاهات إيجابية نحو التلاميذ وتكوين علاقات طيبة معهم .
٥ - تقوية دوافع التلاميذ نحو التعلم.
٦ - القيام بأنشطة ثقافية مختلفة .
٧ - المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والبيئية .
٨ - الخبرة السابقة في مجال العناية بالأطفال والتدريس.
٩ - تشجيع العائلة لمهنة التدريس.
١٠ - الميل القوي لأداء خدمات اجتماعية.

هذا وقد أجريت مجموعة من الدراسات حول الرضا عن المهنة أو العمل بين المدرسين Job Satisfaction نظراً لأهمية هذا الموضوع وخطورته خاصة بالنسبة للمهنة التربوية التي تقوم على التفاعل بين المدرس وتلاميذه ، فالسخط المهني تنعكس آثاره المدمرة على نفوس التلاميذ بشكل مباشر. والواقع أن رضا المدرس عن مهنته له أهميته في حسن أدائها وتقدير أهميتها وخطورتها وقد أجري عدد كبير من الأبحاث للتعرف عن مدى رضا المدرسين عن عملهم سواء في العالم العربي أو في الخارج ، ومثال هذا دراسة عدلي كامل فرج عن الرضا عن العمل بين مدرسي العلوم بالتعليم الثانوي في الاقليم الجنوبي[٢٨] سنة ١٩٦٢.

وقد كشفت هذه الدراسة عن أن ٧٩,٠٥ من مدرسي ومدرسات العلوم بالمرحلة الثانوية في مصر راضون عن المهنة ، وأن ٢٠,٩٥٪ غير راضين عنها ، وعند محاولة الوقوف على أهم أسباب أو عوامل أو مصادر الشعور بالرضا ظهرت عدة عوامل أهمها ما يلي :

١ - إحساس المدرس بقيمة عمله للمجتمع.

٢ ـ المعاونة التي يقدمها لتلاميذه لحل مشاكلهم .
٣ ـ ما تتيحه مهنة التدريس من فرص للاطلاع والاتصال بالمادة العلمية .

أما عن عوامل الشعور بعدم الرضا بين المدرسين فكانت أهمها ما يلي :

١ ـ عدم التقدير المادي .
٢ ـ شدة الإرهاق في العمل .
٣ ـ نوعية التفتيش على المدرسين .
٤ ـ معاملة الرؤساء ونظرة المجتمع للمدرس .

وقد قام أحد الباحثين (ناصر) بدراسة قضية الرضا عن العمل بين بعض مدرسي المرحلة الأولى ـ الابتدائية ـ في بغداد بالعراق سنة ١٩٧٢ ، كشف البحث عن رضا ٥٥٪ من العينة (الذكور) وأن غير الراضين عن المهنة لا تتجاوز نسبتهم ٧٪ أما بالنسبة للمعلمات فقد بلغت نسبة الراضيات عن عملهن ٦٨,٤٪ أما غير الراضيات فلم تتجاوز نسبتهن ٣٪ فقط . وبعد تحليل أسباب الرضا عن العمل بين مدرسي ومدرسات المدارس الابتدائية اتضح أن أهم هذه الأسباب هي : ـ

١ ـ إشباع الحاجة إلى الارتباط بالآخرين .
٢ ـ إشباع الحاجة إلى النجاح والحصول على خبرات جديدة .
٣ ـ إشباع بعض النزعات التي تنسجم وطبيعة المهنة ذاتها .

وقد كشف البحث عن أن أهم عوامل انعدام الرضا عن العمل تتمثل فيما يلي : ـ

١ ـ نظام التفتيش ونقص المواد التعليمية .
٢ ـ نقص الأبنية المدرسية الملائمة .
٣ ـ نظام الفترتين في المدارس .
٤ ـ إهمال التلاميذ أداء واجباتهم المنزلية .

وقد لاحظ الباحث أن هذه الأسباب ـ سواء للرضا أو عدم الرضا عن العمل ـ مشتركة بين الذكور والإناث معاً .

وفي سنة ١٩٦٥ قام كل من أحمد زكي صالح ورمزية الغريب وعماد الدين إسماعيل بإجراء دراسة بهدف تصميم مقياس يصلح لتوجيه الطلبة إلى كليات إعداد المعلمين ، ويتألف المقياس من اختبارين نوجز التعريف بهما فيما يلي : [٣٠]

- الاختبار الأول يقيس المعلومات التربوية عند الطالب ويتألف من (١١١) عبارة بعضها صحيح أو مقبول وبعضها خطأ أو مرفوض ، وعلى المفحوص أن يقرر ما إذا كانت العبارة صحيحة أم خاطئة . وقد شملت عبارات الاختبار معلومات عامة سواء بالنسبة لمواقف التعليم بالمدرسة أو بالنسبة للمواقف التربوية بالمنزل . ومن أمثلة هذه العبارات العبارة (١٥) التي تقول « يجب ألا يتصل المدرس بأولياء الأمور » والعبارة (٣٠) التي تقول « يجب أن يقود المدرس دائماً المناقشة في الفصل » وقد طبق هذا الاختبار على ٢٠٠ طالب ، ولقياس صدق الاختبار Validity اعتبرت درجات الطالب في التربية العملية محل خارجي Crilerion يقاس عليه الصدق ، كما طبق الباحثون أسلوب تقسيم الاختبار إلى نصفين متكافئين Split Half Method وحساب معامل الإرتباط بين النصفين .

- أما الاختبار الثاني فإنه تضمن عدداً من المواقف التربوية (٥٤ موقفاً) وكان كل منها مقروناً بعدد من التصرفات التي يمكن للمعلم أن يسلكها إزاء هذا الموقف . وعلى المفحوص أن يختار التصرف الذي يعتبره صحيحاً . وروعي أن تكون هذه المواقف ممثلة - بقدر الإمكان بأكبر عدد ممكن من المواقف التي تصادف المعلم في حياته التعليمية وقد بني هذا الاختبار على افتراض مسبق Presupposition مؤداه ان المفحوص الذي يتمتع باتجاه تربوي سليم بمادة ما يختار التصرف الذي يفيد من الناحية التربوية ولا يترتب عليه أي ضرر . وعند حساب الصدق والثبات طبق نفس الأسلوب السابق ، حيث اعتبرت درجات المفحوص في التربية العملية محكاً خارجياً ، كما حسب الثبات Reliability باستخدام طريقة التجزئة النصفية .

وفي بحث آخر قامت عنايات يوسف زكي بدراسة واقعية عن اتجاهات طلبة كليات إعداد المدرسين نحو مهنة التدريس بهدف التعرف على اتجاهات طلاب كليات إعداد المعلمين (كليات التربية والأقسام التربوية بكلية البنات) نحو مهنة التدريس

عند التحاقهم بهذه الكليات ، ثم التعرف على هذه الاتجاهات عند طلاب السنوات النهائية للوقوف على التغير في الاتجاهات نحو المهنة - إن وجد - وذلك بهدف التعرف على ما إذا كانت هناك مجهودات تبذلها تلك الكليات لتحسين نظرة الطلاب للمهنة التي يؤهلون لامتهانها طوال حياتهم[٣١] . كما أن الفروق إيجابياً أو سلباً تكون بمثابة مؤشرات إلى أثر سني الدراسة الأكاديمية والمهنية بهذه الكليات وتفاعل الطلاب مع أساتذتهم في الكلية ومع تلاميذهم أثناء التدريب على التدريس إلى جانب خبراتهم في الجو المدرسي والمجتمع . وقد رأت الباحثة تصميم مقياس لهذا الهدف باستخدام أسلوب ليكرت المتدرج ، حيث تصمم عبارات جدلية تختلف بصددها وجهات النظر وتتدرج من الموافقة الشديدة إلى عدم الموافقة الشديدة وقامت الباحثة بوضع ثلاث درجات هي - موافق - غير متأكد - لا أوافق . وبالنسبة للعبارات التي تدل الاجابة بالموافقة على اتجاه موجب تعطى (٣ درجات) وتعطى لإجابة بغير متأكد (٢ درجة) أما إجابة لا أوافق تعطى (درجة واحدة) . أما العبارات التي تدل الاجابة بلا أوافق على اتجاه إيجابي كانت تعطى (٣) درجات وغير متأكد درجتين وأوافق درجة واحدة فقط . وتضمن المقياس ٤٢ عبارة تقيس الأبعاد الآتية :

١ - النظرة الشخصية نحو المهنة ، هل يحب التدريس ويسبب له سعادة أم أنها مهنة مفروضة ؟
٢ - النظرة نحو السمات الشخصية للمدرس .
٣ - التقييم الشخصي لقدراته المهنية سواء في التدريس أو في التعامل مع الرؤساء .
٤ - مستقبل المهنة ومدى توافر فرص الترقي أمامه .
٥ - نظرة المجتمع للمهنة - هل ينظر إليها على أنها مهنة فنية رئيسة لبناء المجتمع أم لا ؟

وقد تم اختبار المقياس للتأكد من قدرة العبارات على التمييز أو التأكد من أن عبارات المقياس جدلية بمعنى أنها تؤدي إلى اختلاف في الاستجابات ، وأنها واقعية بمعنى أنها تتضمن موقفاً واقعياً بالنسبة للمفحوصين كما يتضح من عدد إجابات (غير متأكد) وسلامة صياغتها (عرضت على لجنة من الخبراء) والتأكد من الثبات (طبق

الاختبار على عينة مرتين يفصل بينهما عشرة أيام Test Retest والتأكد من الصدق ، واختبر الصدق السطحي Face validity بعرض المقياس على مجموعة من المتخصصين والصدق التجريبي Emperical validity من خلال طريقة تحليل الوحدات Item Analysis وقد طبق على مجموعة من الطلبة والطالبات (٣٤٠ من السنة الأولى ، ٣٤٠ من السنة الرابعة) من كليات تربية عين شمس وبنات عين شمس (القسم التربوي) وتربية المنصورة وتربية طنطا) . ومن أمثلة عبارات المقياس : أحس بالفخر عندما يعرف الآخرون أنني سأصبح مدرساً ـ أوافق ـ غير متأكد ـ غير موافق .

ـ بيت الشعر الذي يقول

قم للمعلم وفه التبجيلا　　　كاد المعلم أن يكون رسولاً

ما زال يعتقد فيه التلاميذ حتى الآن : أوافق ـ غير متأكد ـ غير موافق .

ـ لا يتأثر مستقبل المدرس كثيراً بمدى الجهد الذي يبذله في مهنته : أوافق ـ غير متأكد ـ لا أوافق .

وقد خرجت الباحثة بعدة نتائج تتعلق بالتغير في الاتجاهات نحو المهنة بصفة عامة ، والتغير في الأبعاد الخمسة للاتجاهات بين مجموعتي السنة الأولى والرابعة ـ لم تجد فروق دالة بالنسبة لثلاثة أبعاد وهي النظرة الشخصية نحو المهنة والنظرة نحو السمات الشخصية للمدرس ومستقبل المهنة ، ووجدت فروق دالة إحصائياً بالنسبة للبعد الخاص بالتقييم الشخصي للقدرات المهنية والبعد الخاص بنظرة المجتمع نحو المهنة ، كذلك خرجت بنتائج تتعلق بالتغير في الاتجاهات التي تتضمنها الأبعاد الخمسة وانتهت بمجموعة من التوصيات والاقتراحات.ونستطيع أن نخرج بأهم الصفات الأساسية التي يجب توافرها في المدرس الناجح ونوجزها فيما يلي:

أولاً : الجانب العقدي : يجب أن يكون المدرس ـ في المجتمع الإسلامي ـ مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وأن يلتزم في سلوكه وعلاقاته بالآخرين المنهج الإسلامي حتى يكون قدوة إنسانية صالحة لتلاميذه . فالتلاميذ يتأثرون بالسلوك المقصود وغير المقصود لأساتذتهم .

ثانياً : الجانب العلمي : يجب أن يجيد المدرس المادة التي يضطلع بتدريسها وأن يكون على اطلاع مستمر بما يستجد فيها.

ثالثاً : الجانب الاتصالي أو الفني في التدريس : يجب أن يكون المدرس ملماً بأهم طرق التدريس وتبسيط المعلومات ونقلها إلى عقول التلاميذ من خلال أساليب التدريس وأن يكون قادراً على ترجمة هذه الطرق أو الأساليب عملياً أو تطبيقياً.

رابعاً : سعة الأفق والثقافة : يجب أن يلم المدرس الناجح بالأحداث الجارية وأهم خصائص مجتمعه وأهدافه العليا وأهداف السياسة التعليمية واسع الاطلاع والثقافة العامة.

خامساً : الميل للعمل مع التلاميذ والرضا عن المهنة التربوية . فالمدرس الذي يحب مهنته ويميل للعمل مع التلاميذ يسهل عليه التأثير إيجابياً في فكر تلاميذه وسلوكهم ، بعكس المدرس الساخط على مهنته الكاره للتلاميذ فإن آثار هذا السخط والتبرم بالمهنة سوف يكون له أوخم العواقب على التلاميذ.

سادساً : المظهر العام اللائق: يجب أن يحافظ المدرس على مظهره وليس معنى هذا شدة التأنق وإنما الاعتدال وسلامة المظهر لأنه قدوة لطلابه.

سابعاً : الذكاء والصحة النفسية : لا بد للمدرس من قدر من الذكاء حتى يستطيع مواجهة مختلف المواقف المتنوعة والغير متوقعة التي يمكن أن يواجهها ، ويجب أن يتمتع بالحد الأدنى من الصحة النفسية والتي تتضمن عدة أبعاد أساسية وهي:

- الإيمان بالله فكراً وسلوكاً وينعكس هذا الإيمان في علاقاته بالآخرين .

ب ـ الخلو من الصراعات النفسية المدمرة .

جـ ـ القدرة على التوافق الاجتماعي السوي مع مجتمعه وتكوين علاقات اجتماعية راضية مرضية مع الآخرين.

د ـ القدرة على العمل والعطاء والانجاز والتوافق المهني السوي مع عمله (وهو ما سبق أن أسميناه الرضا عن المهنة) .

ثامناً : الجوانب التي تتعلق بالصحة الجسمية كسلامة الحواس والجسم وعدم التعب بسرعة والخلو من الأمراض المعدية أو الوبائية، ذلك أن مهنة التدريس مهنة شاقة نسبياً تتطلب بذل جهد بدني وعصبي ونفسي وتتطلب السلامة والصحة الجسمية لممارسها .

مصادر الفصل الثاني

(١) Tapa, Hilda: Carriculum Development: Theory and Practice: Harcourt, Brace and World — Inc — N.Y. 1962 — pp. 18-22.

٢) د. زيدان وآخرون: التعلم نفسياً وتربوياً : دار اللواء - الرياض ١٩٧٩ م ص ٢٩ - ٣٠

٣) د. فاخر عاقل : علم النفس التربوي - دار العلم للملايين ١٩٧٦م ص ٢٠ - ٢٤

٤) رياض الصالحين - المصدر السابق ص ٤

٥) المصدر السابق: ص ٢٤

٦) المصدر السابق : ص ٤١

٧) لمعرفة المزيد من المعلومات حول قضية المناهج المدرسية يمكن الرجوع إلى الدراسات التالية:

-Krug, Edward A: Curriculum Planning (ed) Harper and Brothers 1957.
-Rucker, W. Ray: Curriculum development in the elementary school. N.Y.-Harper 1960.
-Saylor, J.G. and Alexander, W.: Carriculum Planning for modern schools. N.Y. Holt Renhart and Winstons 1967.

ويمكن الرجوع إلى المصادر العربية التالية: د. وهيب سمعان : د. رشدي لبيب : دراسات في المناهج - القاهرة - الانجلو المصرية ١٩٥٩، د. عبد اللطيف فؤاد ابراهيم: المناهج : أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها - مكتبة مصر ١٩٧٢.

٨) عبد اللطيف ابراهيم - المصدر السابق ص ٣٨، ٣٩

٩) د. نبيل السمالوطي : المثالية في الادارة المدرسية - بحث ومحاضرة ألقيت في الدورة التدريبية الثالثة - برنامج تدريب مديري المدارس - قسم البحث والتدريب - إدارة التعليم بمنطقة أبها - المملكة العربية السعودية - صفر وربيع أول ١٤٠٠ هـ.

١٠) رياض الصالحين ص ٨ - ٨٥

١١) المصدر السابق ص ٧٨

١٢) المصدر السابق ص ٢٨٤

١٣) المصدر السابق ص ٢٨٢ ويمكن الرجوع إلى دراسة عباس محمود العقاد بعنوان: الانسان في القرآن - دار نهضة مصر.

١٤) د. وهيب سمعان: الادارة التعليمية بين آثار الماضي ومطالب المستقبل في البلاد العربية - حلقة الادارة التعليمية في البلاد العربية - طرابلس - ليبيا ١٩٧٣.

15) Dan H. Eikenberry: Training and experience standards for Principals of Secondary School: NASSP Bulletin 35 No 181- p. 16.

16) NASSP: A Study of the high school Principalship in Pennsylvania: Bulletin 37 No 198.

17) Burrup Percy: Modern High school administration. N.Y. Harper and Brothers 1962 P.p. 110-115.

١٨) للحصول على المزيد من المعلومات حول دراسة « أندرسون » « وفلنت » ارجع الى:

R.Campbell and R.Gregy: Administrative Behavior in Education N.Y. Harper and Brothers 1957.

وارجع الى فرنسيس عبد النور: تقويم دور الادارة المدرسية في المرحلة الثانوية - كلية تربية - أسيوط ١٩٧٥.

١٩) للحصول على المزيد من المعلومات حول دراسة « أوستن » و« كولينز » إرجع الى:

Austin, David and Collins, I.«A Study of attitudes towards the high school principalship Bulletin of NASSP Vol. 40 No-216 Jan 1956 pp 106-107.

مذكورة في كتاب فرنسيس عبد النور السابق الاشارة اليه.

٢٠) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الاسلامية وأساليبها. دار الفكر - دمشق ١٩٧٩ م ص ١٣٠ - ١٣١.

21) Benjamin, Bloom, et al: Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals Hand-Book I: The cognitive Domain. N.Y. Longmans Green: 1959.

22) Anderson, H.H. et al: Studies of teachers classroom personalities. J. App.Ps. Monog 1945 Vol 6.

23) Frasier, George W.: An Introduction to the Study of Education: Harper and Brothers, N.Y. 1956 pp. 20-25.

٢٤) أحمد زكي صالح: بطاقة تقويم المدرس - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥.

٢٥) رمزية الغريب: أبحاث في علم النفس: القاهرة - النهضة المصرية سنة ١٩٦٠.

٢٦) رمزية الغريب: بعض العوامل غير العقلية اللازمة لنجاح معلمة التربية الرياضية - القاهرة - المطبعة العالمية سنة ١٩٦٣.

٢٧) عزيز حنا داود: الصفات الشخصية اللازمة لنجاح طلبة كلية المعلمين في مهنة التدريس - رسالة دكتوراه غير منشورة كلية تربية عين شمس سنة ١٩٦٥.

28) American Council on Education: Teachers for our times: Washington 1944 pp. 156-173.

29) Weintraub, Samuel: Pupil Conception of the Teacher: What Resarch Sayes to the Reading Teacher, The Reading Teacher - Feb 1967.

٣٠) عدلي كامل فرج: الرضا عن العمل بين مدرس العلوم بالتعليم الثانوي في الاقليم الجنوبي - رسالة ماجستير - غير منشورة - كلية التربية جامعة عين شمس سنة ١٩٦١.

٣١) عنايات يوسف زكي : اتجاهات طلبة كليات إعداد المدرسين نحو مهنة التدريس - الكتاب السنوي للجمعية المصرية للدراسات النفسية ١٩٧٤ ص ٧٦.

٣٢) أحمد زكي صالح، رمزية الغريب، عماد الدين اسماعيل: مقياس الاتجاهات التربوية (الاختبار الأول والاختبار الثاني) القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥.

٣٣) عنايات يوسف زكي : اتجاهات طلبة كليات إعداد المدرسين نحو مهنة التدريس: الكتاب السنوي للجمعية المصرية للدراسات النفسية ١٩٧٤ ص ٧٤ - ١١٩.

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية في الإطار المدرسي

١ ـ الإسلام وقضية التنشئة الاجتماعية
٢ ـ التنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعية.
٣ ـ الذات كنتيجة للتفاعل الاجتماعي.
٤ ـ دور المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية.
٥ ـ الثقافة والشخصية.
٦ ـ أثر الثقافات الفرعية.
٧ ـ أثر كل من عاملي الثقافة والوراثة على مضمون التنشئة الاجتماعية.

الإسلام وقضية التنشئة الاجتماعية

يهتم الدين الإسلامي الحنيف اهتماماً بالغاً بالعملية التربوية شكلاً ومضموناً من أجل صياغة الشخصية الإسلامية المتكاملة والتي تتمتع بالصحة الجسمية (الخلو من الأمراض) والصحة النفسية (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، والخلو من الاضطرابات والصراعات النفسية ، والقدرة على أداء رسالته التي خلق من أجلها وهي العبادة والتعارف وتعمير الأرض والعمل والإنتاج ، والقدرة على تكوين علاقات اجتماعية راضية مرضية مع الآخرين ، وهذه هي أسس الصحة النفسية الحقة) . وقد استوجب الإسلام على الآباء حسن تربية الأبناء - ذكوراً وإناثاً - من أجل إعدادهم كي يكونوا مواطنين صالحين ضماناً لصلاحية الأسرة والمجتمع العام كله . وقد جاء تأكيد الإسلام على كرامة الانسان وعزته ، فللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين في وجه الرذائل التي كانت ترتكب في حق الأبناء في الجاهلية ، من وأد للبنات أو قتل للبنين والبنات معاً - تحت تأثير الفقر أو تخلصاً من عبء التربية أم تحت تأثير معتقدات زائفة - مثل الاعتقاد بأن البنت رجز من خلق الشيطان ، أو من خلق آله غير آلهتهم ، وأن مخلوقاً هذا شأنه يجب التخلص منه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وقد استوجب القرآن الكريم تحريم هذه العادات والمعتقدات الزائفة . . . « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ » (الانعام ١٥١) . وقال تعالى « وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً ءَاخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً . أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً » (الاسراء ٣٩ - ٤٠)

ويشير الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ضرورة الحفاظ على الفطرة

الانسانية النقية ، فقد خلق الله سبحانه وتعالى عباده حنفاء ويجب الحفاظ على الفطرة التي خلق الله الناس عليها. يقول تعالى « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا » الأعراف ١٧٢ .

وينطلق الاهتمام الإسلامي بالتربية إدراكا لأهميتها في تشكيل الشخصية من الحفاظ على الفطرة أو من تشويهها وضياع أثرها . ونستطيع أن ندرك عظمة الإسلام إذا أدركنا أساليب المجتمعات السابقة على الإسلام في التربية فإلى جانب رذائل الجاهلية من وأد للبنات وصياغة الشخصية الماجنة المتغطرسة . فقد كانت نظم إسبرطة ـ في اليونان القديمة ـ توجب على الآباء إعدام أولادهم الضعاف أو المشوهين أو المرضى عقب ولادتهم ، أو تركهم في القفار طعاماً للوحوش ،

التنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعية

يعيش الانسان منذ آدم عليه السلام حتى الآن داخل جماعات تعددت أسماؤها ويرتبط بعلاقات متعددة مع الآخرين حوله ويدخل معهم في تفاعلات . ويطلق على هذا التفاعل الاجتماعي مصطلح العمليات الاجتماعية وتتعدد أشكال التفاعل وبالتالي تتعدد أشكال ونوعية العمليات الاجتماعية . وهناك من العمليات ما يجمع ويطلق عليها العمليات المجمعة Associative Processes كالتعاون والاخاء والزواج . . . ومنها ما يؤدي الى التشتت والتنافر وهي العمليات المفككة Dissociative وتعتبر التنشئة الاجتماعية Socialization من أهم العمليات الاجتماعية وأخطرها شأناً في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات شخصيته ، وتبدأ هذه العملية منذ ولادة الطفل . فهو في بداية وجوده في الحياة لا يعدو أن يكون بناء بيولوجياً يتضمن مجموعة من الدوافع والاستعدادات ، وهنا تقوم الأسرة بدور هام وأساسي في إكسابه خصائص مجتمعه حيث تعلمه لغة الجماعة وعاداتها وعرفها وتقاليدها وعقيدتها وآدابها وتتعاون الجماعات الأخرى (جماعات المدرسة والمسجد واللعب ومختلف الهيئات التي ينتمي إليها الفرد . . .) مع الأسرة حيث تكمل وظيفتها في التنشئة الاجتماعية .

وإذا كان الطفل لا يولد « إنساناً اجتماعياً » فإنه يجب على المجتمع ـ من خلال مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية ـ صقله وترويضه وتعليمه حتى يمكن الحفاظ

على فطرته السليمة وإبراز جوانب إنسانيته الحقة . ويطلق على هذه العملية التي يتم من خلالها تكيف الفرد خاصة الطفل ـ لبيئته الاجتماعية ـ عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي . وهي في جوهرها عملية تربية وتعليم يقوم بها الآباء والمعلمون وغيرهم ممن يمثلون ثقافة المجتمع . وهي عملية تستهدف تعليم الفرد الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته واتباع تقاليده والخضوع لالتزاماته ومجاراة الآخرين بوجه عام . وتعد التربية الاجتماعية والعقائدية والخلقية التي يقوم البيت والمدرسة بأكبر جانب منها ـ هي جوهر هذه العملية .

وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة من المهد إلى اللحد ، فإنها تحتل أهمية كبرى في مرحلة الطفولة . ومما يجب أن يتعلمه الطفل .

(١) المشي والفطام وضبط المثانة والأمعاء في مرحلة الطفولة المبكرة ، والاستحياء الجنسي وكف العدوان عن الأخوة والأبوين والكبار في الكثير من المجتمعات .

(٢) القدرة على كف دوافعه غير المرغوبة أو الحد منها . ومما يجدر ذكره أن القدر الأكبر من عملية التنشئة الاجتماعية يتمثل أساساً في إقامة حواجز وضوابط في مواجهة الاشباع المباشر للدوافع الفطرية كالدافع الجنسي ودافع المقاتلة والعدوان ، وهي ضوابط لا بد منها لقيام المجتمع السوي وبقائه ، ولهذا فإن هذه الضوابط توجد داخل كل المجتمعات حتى أكثرها بدائية .

(٣) تعلم العقيدة والقيم والآداب الاجتماعية والأخلاقية وتكوين الاتجاهات المعترف بها داخل المجتمع نحو الأسرة والمدرسة والدين والسلطة . . . إلى جانب التنميط الجنسي «Sex Typing» حيث إعداد الذكور لممارسة أدوار الرجال وتوجيه الاناث لممارسة أدوار الاناث (طهي وغسل وممارسة دور ربة البيت . . .) على حسب قيم المجتمع ومعتقداته .

(٤) القدرة على التوقيت المنظم أو القيام بأعمال معينة في أوقات محددة . (كالأكل والنوم والذهاب للمدرسة وأداء الواجبات . . . الخ) .

وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية تعلم الطفل كيف يمتنع عن تحقيق بعض دوافعه الفطرية بشكل فج ، فإنها تعينه على تحقيق كثير مما يريد بالأساليب الشرعية التي يرضى عنها الدين والمجتمع . وخلال هذه العملية نمنع الطفل من القيام بأعمال يميل اليها ونوجهه الى ضرورة القيام بأعمال لا يميل إليها بطبعه . فان أراد أن يتجنب عقاب الكبار وأن يظفر برضائهم عنه وما يعدوه له من ثواب ، فعليه الامتثال لأوامرهم . وهكذا يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية إقامة سلطة داخلية في نفس الطفل ، وهي ما تعرف باسم الضمير ، ومتى تكون الضمير أصبح الفرد يحمل داخله مقومات الثقافة الاجتماعية والعقائدية والخلقية للمجتمع الذي يعيش فيه .

ولا تقتصر عملية التنشئة الاجتماعية على الأسرة ، وإنما تمتد لتمارس في المدرسة وخارج المدرسة في المسجد ودور العبادة والملعب والنادي والجمعيات والمنظمات وأثناء التفاعل الاجتماعي بالآخرين في السوق والشارع والاحتفالات والعمل . . . الخ.غير أن التطبيع الاجتماعي يكون أكثر تركيزاً ووضوحاً وقصداً خلال مرحلة الطفولة المبكرة عنه في أية مرحلة أخرى من مراحل النمو .

الطفولة المبكرة ومحور الأسرة خلال مرحلة التنشئة الاجتماعية :

يؤكد علماء النفس والتربية بصفة عامة وأنصار مدرسة التحليل النفسي بصفة خاصة ، على أهمية مرحلة الطفولة المبكرة ـ من لحظة الميلاد حتى سن ست سنوات ، من حيث ثبات الخبرات والتجارب التي يعاينها الطفل وظهورها بجلاء على شخصيات الراشدين ، فبذور الصحة أو المرض النفسي توضع في هذه المرحلة . وقد سبق أن نبهنا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أهمية التربية في الحفاظ على الفطرة السليمة أو في تشويهها وتزييفها وإضعافها . ويؤكد علماء النفس التحليلي ضرورة اتباع أساليب في التربية تؤدي إلى نمو شخصية الطفل نمواً سوياً ، مثل الرضاعة من ثدي الأم ، وعدم الضغط على الرضيع بالتسرع في إجباره على ضبط أمعائه ومثانته ، وعدم فرض مواعيد صارمة للطعام . وعلى الرغم من أن ـ بعض العلماء ـ مثل آورلانسكي يؤكدون أنه لا يوجد دلائل حاسمة تثبت أن الأطفال الذين يرضعون من ثدي أمهاتهم أحسن توافقاً مع غيرهم ممن يرضعون من ألبان

صناعية ، إلا أن الدين الإسلامي الحنيف يؤكد أن الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وسبحان الله إذ جعل لبن الأم أحسن غذاء للطفل يتطور مع نمو الطفل ولا يضارعه أي نوع من الألبان الصناعية . وقد درست إحدى العالمات مسألة القماط وأثره على شخصية الطفل وانتهت إلى القول أن مثل هذه التفصيلات ليس لها أثر واضح على سمات الشخصية ، وأن الذي يحتل أهمية كبرى في هذا الصدد مجموعة المواقف العادية أو الصدمية التي يتعرض لها الطفل وأسلوب إشباع حاجاته أو إعاقتها . وهذا يعني أن استواء شخصية الراشد أو انحرافها يتوقف على نوع المعاملة التي يلقاها الطفل وسط أسرته أولاً ثم خبراته من جماعات الأصدقاء والمدرسة والنادي و ما إذا كان محبوباً يشعر بتقبل الآخرين له أم لا . . . الخ

وقد كشفت مختلف الدراسات عن أهمية العلاقات الأسرية في تنمية شخصية الراشد ـ خلال مرحلة الطفولة ـ وقد قام « بالدوين Baldouine» بدراسة أثر العلاقات الأسرية على شخصية الأطفال وخرج بأن العلاقات الديموقراطية التي تتيح للطفل حرية التعبير عن رأيه والمناقشة والفهم والاقناع والاقتناع تؤدي إلى ظهور أطفال يتسمون بالنشاط والقدرة على اقتحام المواقف بشجاعة تظهر لديهم الميول القيادية ويحبون الاستطلاع وذلك على عكس العلاقات الأسرية الدكتاتورية التسلطية التي تؤدي بالأطفال إلى الهدوء المفرط ـ لغير السوي والانعزال وعدم القدرة على التفاعل الإيجابي مع المواقف والأقسام بالخوف وتشير الدراسات السلوكية أن أغلب مخاوف الأطفال النوعية مكتسبة من الجو الأسري والجماعي الذي يعيش فيه الطفل فالأطفال لا يولدون بمخاوف محددة ، وأن الطفل حديث الولادة لا يظهر الخوف إلا من الأصوات المرتفعة وفقدان السند ، فكل ما يخاف منه الأطفال والراشدون يكتسب من البيئة بالتعلم ـ وخاصة التعلم الشرطي خلال مرحلة الطفولة ـ فالطفل الذي يعاني من خبرة مفزعة أو غير سارة من شيء أو شخص أو موقف أو حيوان . . . فإنه يميل إلى تعميم التجربة واستمرار الخوف من هذه الأشياء والأشخاص والمواقف . . . في المستقبل ويمكن التمثيل لهذا بخوف بعض الأشخاص من الكلاب أو من الامتحانات بشكل مرضي . ويجب التنبيه هنا من الناحية التربوية

ـ الى خطورة تخويف الأطفال بشكل مفزع من بعض الأشياء والأشخاص ، كما أن مضامين القصص التي تروى للأطفال ، يجب، أن تخلو من الخيالات المفرطة أو أساليب الفزع والتخويف ويجب أن تشبع حاجات الأطفال إلى القصص بقصص الأنبياء والرواد الأول من المسلمين وبطولات القواد المسلمين . . . الخ . ويجب التدقيق في اختيار مضامين وأساليب قصص الأطفال لما تمارسه من أثر غير عادي على شخصياتهم مستقبلاً . ويجب على المربين والمعلمين أن يوجهوا اهتماماً كبيراً لمساعدة الأطفال على التخلص من مخاوفهم التي يكونون قد اكتسبوها من أسرهم أو جماعات الرفاق أو نتيجة لبعض الخبرات غير السارة . ويكون ذلك بأن يقترن الموقف المخيف في نظر الطفل بخبرة سارة مناقضة للخبرات السابقة . فالطفل الذي يخاف بشكل مرضي من الامتحان ، يجب أن يمر بتجربة امتحانات في جو أسري أبوي حتى يعرف أن الامتحان شيء لا يخيف . وقل مثل هذا عن المخاوف الشاذة من بعض الحيوانات غير المخيفة والكلاب، وبعض الأشياء غير المخيفة ـ الماء أو بعض الأطعمة . . . الخ.

وعادة ما يكون الطفل محايداً إزاء الأفكار والمعتقدات فالطفل يولد على الفطرة ولا يكون متعصباً لشيء ما . وهو يكتسب مختلف اتجاهاته إزاء المعتقدات والأفكار والأشياء والأشخاص كما يكتسب قيمه من البيئة الاجتماعية المحيطة به ـ خاصة الوالدين-وذلك بطرق مقصودة أو غير مقصودة ، شعورية أو غير شعورية فالطفل الذي ينشأ في وسط إسلامي يكتسب عقيدته الإسلامية من البيئة المحيطة به فهو يصلي كما يصلي والده ، ويكتسب مختلف أركان العقيدة ـ أولاً بالتقليد ثم يستدمجها في نفسه وتصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته . وهكذا تتكون الاتجاهات والقيم والمعتقدات . وقل مثل هذا عن الطفل الذي ينشأ في بيئات منحرفة عقائدياً كالبوذية والهندوسية . . . الخ.

وقد كشفت مختلف البحوث النفسية والاجتماعية أن ضمير الفرد وفكرته عن نفسه وأسلوبه الخاص في معاملة الناس وفي مواجهة المشكلات . . . وما يكتسبه الفرد ـ خلال مرحلة الطفولة من اتجاهات دينية وقومية وسلالية . . تظل عالقة بضميره ويصعب تغييرها في الكبر ـ أقول يصعب ولم أقل يستحيل ، ذلك أن

الانسان الذي ربي على معتقدات زائفة ـ مثل كل المعتقدات غير ـ الإسلامية ـ ثم عرف الإسلام وكان في متناوله كتاب الله وسنة نبيه ، فعليه أن يترك الشرك ويعتنق عقيدة التوحيد . غير أن هذه العملية ليست بالسهولة المتصورة فهي محتاجة الى جهود الدعاة المخلصين .

وقد كشفت الدراسات المختلفة أن اتجاهاتنا نحو الناس وصلاتنا العاطفية بهم ، هي اتجاهات وصلات تعلمناها في محيط الأسرة . وترجع اتجاهاتنا نحو الرؤساء والمرؤوسين والأصدقاء والزملاء والزوجة والأولاد والغرباء . . . جميعاً إلى طبيعة الاتجاهات والصلات التي خبرناها داخل أسرنا . وتؤكد البحوث الكلينيكية أن الأسر التي تسودها علاقات الود والاحترام والثقة والحب تخرج أطفالاً وراشدين أسوياء ، أما الأسر التي يسودها التفكك وانعدام الثقة والصراعات تخرج أطفالاً وراشدين مرضى ومنحرفين . فمن يحرم من الحب والثقة والعطف في الطفولة ، يرفض تقبل العطف والحب من الآخرين ، كما يعجز عن منح أطفاله الحب والعطف والأمن . . ، ومن يشب على الهروب من المشكلات يشب على الخنوع والخوف وعدم القدرة على مواجهة المشكلات . . . وقد كشفت الدراسات الانثروبولوجية عن العلاقة الوثيقة بين عمليات ومضامين التنشئة الاجتماعية خلال مرحلة الطفولة المبكرة ، وبين خصائص شخصية الراشدين.فالذكور في قبيلة « أرابش » ينشأون على الوداعة والمسالمة والتعاون والصداقة ونبذ السيطرة والعدوان والغرور ، نتيجة ما تمنحه الأم للطفل من رعاية ومودة وعطف واضح وإطالة مدة الرضاعة ، وما يمنحه المحيطون بالطفل له من عناية بالغة . ونجد نموذجاً مناقضاً لهذا تماماً بين أعضاء قبيلة « موندجومر» المجاورة للقبيلة السابقة . فمضمون عملية التنشئة الاجتماعية في تلك القبيلة تؤدي إلى تشكيل الشخصية العدوانية المرتابة دائماً التي تفقد الثقة بالنفس والآخرين .

المراحل التي يمر بها الطفل خلال عملية التنشئة الاجتماعية

على الرغم من أن التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة من لحظة الميلاد حتى نهاية الأجل المحتوم إلا أن مرحلة الطفولة المبكرة تحتل أهمية بالغة في هذا الصدد ـ كما

سبق أن أشرت ـ لدرجة أن بعض الباحثين يؤكدون أن بذور الصحة النفسية أو المرض النفسي والانحرافات المختلفة توضع بذورها خلال هذه المرحلة . ويمكننا أن نصنف هذه المرحلة إلى ثلاثة مراحل من منظور عملية التنشئة الاجتماعية .

المرحلة الأولى :

يتعلم الطفل خلالها كيف يتكيف مع مطالب جسمه وحاجاته البيولوجية وظروف البيئة المحيطة به . وهو مضطر في هذه المرحلة إلى قبول المعاني التي حددها الراشدون من حوله للمواقف التي يمر بها كما يظهر ذلك في معاملتهم له .

ومعنى هذا أن الطفل يكيف نفسه لسلوك الكبار وعلى الرغم من أن مقاومة وفاعلية الطفل عادة ما تكون ضعيفة جداً خلال هذه المرحلة فإن هذا لا يعني أنه يقف موقفاً سلبياً تماماً . فالطفل يستجيب للمواقف المختلفة بكل حواسه وتتحدد بالتدريج بعض أنماطه السلوكية نتيجة لما يترتب على استجاباته من نتائج أو نتيجة لسلوك الكبار ازاء استجاباته للمواقف ، فيتعلم بالتدريج أن يستبعد بعض الانماط السلوكية التي تسبب له الأذى أو التي تفشل في إشباع حاجاته البيولوجية المحدودة . وهو يتعود بالتدريج أن يركز نشاطه على جوانب محورية في المواقف التي يتفاعل معها ويتحدد سلوكه ويتركز نحوها . وبذا يمر سلوكه بعملية تمايز مستمرة .

ويحدث هذا نتيجة عملية سلوك إدراكي نحو الجوانب المحورية في المواقف التي يمر بها ، وتصبح هذه الجوانب تمثل إشارات أو دلالات يستجيب لها الطفل في الموقف الكلي ويكرر استجابته لها بتكرار ظهورها . وهو بهذا الشكل يكون اتجاهاته نحو الأشياء المحيطة به ، وبهذا الشكل يبدأ عملية الاستيعاب والاستدماج وتشكيل القيم وتبدأ شخصية الطفل في التكوين والتشكيل وتتحدد ملامحها الأساسية .

ونستطيع القول ان استجابة الطفل للعلامات والارشادات هي في جوهرها استجابات للمعاني التي حددها الكبار لها سلفاً (فثدي الأم يعني الرضاعة وإشباع حاجة بيولوجية ومد الأم يدها نحو الطفل معناه رفعه وحمله ،

و . . . الخ) وهكذا يكتسب الطفل المعاني الاجتماعية التي حددتها له الجماعة . غير أن موقف الطفل ازاء هذه الأمور ليس سلبياً تماماً ، ذلك لأن حساسيته البالغة للمثيرات الداخلية والخارجية تؤدي إلى ظهور استجابات متباينة تساعده على التكيف مع بيئته والتأثير في هذه البيئة من أجل إشباع حاجاته البيولوجية ، فهو مثلاً يحاول استدرار عطف أمه واستقدامها عن طريق الصراخ أو البكاء أو الحركة المستمرة . . . . الخ.والأمهات يعرفن كيف أن سلوكهن يتعدل بدرجات متفاوتة بحسب سلوك الطفل أو بحسب ما يفهمونه من دلالات معينة يضفونها على هذا السلوك.غير أن المثيرات (العلامات) والاستجابات ورد فعل الطفل ازاء هذه العلامات سلوكياً) لا تسير باستمرار في اتساق كامل ، الأمر الذي يؤدي بالطفل إلى محاولة تغيير سلوكه وتغيير توقعاته . ومثال هذا ان اقتراب الأم من الطفل يعني رفعه وإرضاعه ، غير أن هذا لا يحدث فيصاب الطفل بالإحباط وقد يكون رد فعله هو الصراخ والبكاء وقد يفلح بهذه الطريقة في إجبار أمه على حمله وإرضاعه ، وقد لا ينجح . وهذا يعني أن سلوك الطفل يتعدل بتعديل توقعاته بالنسبة للعلامات التي يستجيب لها .

ويمكن القول أنه إذا ما استقرت عادات الطفل بتكرار الاستجابة للعلامات أو المثيرات بشكل ثابت على مدى فترة زمنية طويلة ، فان التغيير المفاجىء يحدث أثراً بالغ السوء في نفس الطفل . ومثال هذا الفطام المفاجىء بأساليب مؤذية مثل وضع مادة لاذعة أو مرة على ثدي الأم فبعد أن كان الثدي مصدر إشباع حاجة بيولوجية، ومصدر أمن وراحة للطفل، يصير مصدر فزع وإحباط وحرمان، ولهذا فإن خبراء التربية وعلم الاجتماع والنفس ينصحون الأمهات بضرورة مراعاة الأسلوب التدريجي في الفطام وتعليم الطفل ضبط الامعاء والمثانة . . . الخ .

وتشير دراسات علم النفس العيادي (الاكلنيكي) إلى خطورة الصراعات النفسية الحادة التي يعانيها الأطفال نتيجة الخبرات الصدمية وتغير التوقعات والاحباطات التي يعانون منها خلال مرحلة الطفولة المبكرة ، ونتيجة لتذبذب الكبار في معاملتهم ، وأن هذه الصراعات والخبرات الصدمية هي التي تضع بذور الانحرافات النفسية والأمراض العصابية . ومما يزيد من حدة وخطورة هذه المسألة

القصور اللغوي للطفل،فالطفل في هذه المرحلة لا يكون قد تعلم بشكل كاف كيف يعبر عن نفسه لغوياً ، ولا كيفية التعبير عن اعتراضاته والتفاهم مع مجتمع الراشدين ، كذلك فإنه لا يعرف كيف يفكر التفكير الذي يحل له مشكلاته لعدم نمو قدراته العقلية بشكل كاف ولعدم تمكنه من اللغة التي هي أداة التفكير .

المرحلة الثانية :

وتعد هذه المرحلة امتداداً للمرحلة الأولى وتبدأ بتعلم الطفل الانتقال في المكان من خلال تعلم الحبو والمشي بتعثر ثم المشي بحرية ثم الجري . وهذه القدرة على الحركة تمنح الطفل قدراً أكبر من الحرية في التعامل مع الأشياء بعيداً عن رقابة مجتمع الكبار . ولعل المشكلة هنا هي أن الطفل ينقل خبراته في المرحلة الأولى الى هذه المرحلة ، فيلقى استجابات مختلفة من الكبار نتيجة لاختلاف المواقف مما لا يفهمه الطفل ، الأمر الذي يعرضه لصراعات تجبره على تغير توقعاته واستجاباته بأنماط سلوكية جديدة حتى يتوافق مع مجتمع الكبار . ومثال هذا : الكبار يقدمون للطفل في المرحلة الأولى أشياء يضعها في فمه (يأكلها) أو يلعب بها فتحدث صوتاً مرتفعاً وفي كلا الأمرين يستجيب لها الكبار (في حالة الأكل أو اللعب) بالفرح والرضا . ومن الطبيعي ألا يقدم الكبار للطفل شيئاً يضره . وعندما يتعلم الطفل الحركة في المكان يمسك بأشياء يضعها في فمه (وقد تكون ضارة له) ويمسك بأشياء ثمينة يكسرها ، وهنا يتوقع - كما كان الحال في المرحلة الأولى - أن يفرح الكبار ويرضوا عنه ، إلا أنه يصاب بصراع عندما يلقى من الكبار الزجر والنهي والسخط والضرب أحياناً خوفاً على الطفل ، ولكنه لا يعلم ذلك . ومعنى هذا أن كثيراً من عادات وأفعال الطفل التلقائية في هذه المرحلة تجد مقاومة من الكبار الذين يتدخلون لمنعه الأمر الذي يحدث صراعاً بين الطفل والكبار من منظور الطفل نفسه . وقد يتحول هذا إلى صراع في نفسية الطفل نتيجة للتناقض الذي يحدث حول معاني الأشياء المستمدة من خبراته السابقة . وهذه الاستجابات الجديدة من قبل الكبار تؤدي إلى ضرورة تعديل سلوك الطفل بحسب قيم الكبار وعاداتهم والمعاني التي صوروها للمواقف المختلفة التي يواجهها الطفل في حياته . فبعد أن كان تناول أي شيء يقدم للطفل - في المرحلة الأولى - يسبب فرحاً للكبار ويسبب رضاءهم عنه ،

فإن تناول أي شيء يقع في يد الطفل - خلال المرحلة الثانية - قد يقابل بضرب وعنف وسخط الكبار لأنه يسبب الأذى للطفل ، ويمكن للطفل هنا أن يعدل توقعاته وسلوكه بمساعدة الكبار ، غير أنه إذا ما ازداد الآباء عنفاً على الأبناء نتيجة لعدم الوعي أو بسبب سوء العلاقات بين الأبوين أو بسبب أمراض نفسية (عصابية) يعاني منها الآباء ، فإن هذا يزيد من حدة الصراعات النفسية للأطفال بسبب التذبذب في التعامل فيعجز الطفل عن تحديد ما يسبب رضاء الآباء أو سخطهم ، فالسلوك الواحد قد يثاب عليه حيناً ، ويعاقب عليه حيناً آخر . وقد أوضحت الدراسات الاكلينكية عن أن هذه المشكلة قد تسبب انحرافات سلوكية واضحة في حياة الطفل المستقبلة خاصة وأن النمو اللغوي للطفل ما يزال قاصراً في هذه المرحلة كذلك .

المرحلة الثالثة :

يؤكد « جورج ميد » أن مفتاح هذه المرحلة هو نمو القدرة اللغوية عند الطفل فالكلمات رموز وعلامات تشير إلى أشياء في مواقف معينة وتشير إلى دلالات محددة ، ونمو اللغة عند الطفل يعني نمو قدرته على التفكير الذي يتم من خلال اللغة . وفي هذه المرحلة يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف الهامة في حياة الطفل . فحتى يسلك الطفل السلوك الذي يرضي الكبار لا بد أن يستدمج اتجاهاتهم وقيمهم ومفاهيمهم ازاء المواقف الحياتية التي يتعرض لها وهذا ما يحدث خلال هذه المرحلة . وأساس هذا هو نمو الطفل عقلياً ولغوياً . وعن طريق اللغة يتمكن الإنسان من تحديد سلوكه سلفاً بالنسبة لمواقف مستقبلة وهذا هو أساس عملية التفكير . فاللغة سلوك لفظي يرتبط بمواقف واقعية يواجهها الطفل في حياته اليومية ويسلك نحوها سلوكاً معيناً . ويمكن من خلال اللغة نقل ما تحمله الألفاظ من معاني من موقف إلى آخر ، أي يمكن تعميم الخبرة وتعميم سلوك الطفل نحو المواقف المتشابهة . فكلمة « أحسنت » عندما تقال للطفل بمناسبة سلوكه سلوكاً حسناً يرضى عنه الآباء ، تنسحب في ذهن الطفل على كل سلوك يرضي الآباء وقل نفس الشيء عن كلمة « أسأت ». ويصبح استدعاء اللغة المرتبطة بالموقف عاملاً يساعد الطفل على استدعاء الجوانب المختلفة للموقف كما يمكن أن يستدعي الموقف اللغة التي ارتبطت به . ومثال هذا أن الطفل يميل إلى اللعب بأي شيء يقع في مجاله الحسي أو

يضعه في فمه فاذا ما شاهد كأساً زجاجية فانه يقذف بها على الأرض فتكسر فيفرح الطفل لما أحدثه الكأس من صوت . غير أن الأم تقابل الطفل بعلامات الاستياء وتقول له أسأت . ومع تكرار هذا الموقف يتعدل سلوك الطفل فعندما يشاهد كأساً أو شيئاً زجاجياً يستدعي كلمة (أسأت) التي سمعها من أمه يدرك الكأس على أنه شيء للشرب فيه وليس للإلقاء على الأرض . . . الخ . وتصبح الكلمة المستخدمة هنا قادرة على استرجاع الخبرة **ومعنى هذا ان اكتساب الكلمة واسترجاعها يقوم مقام الأم في توجيه أو ضبط سلوك الطفل** . وهذا هو الأساس الأول في تكوين الضمير الأخلاقي للطفل الذي يتكون من مجموعة الأوامر والنواهي والتعليمات والقدوة الحسنة للآباء أمام الأطفال أو العكس ، وهذا هو أساس نمو القدرة على الضبط الذاتي للطفل . وكلما زادت الحصيلة اللغوية للطفل بزيادة خبراته ، نما ضميره وتقدم في قدرته على ضبط نفسه واستيعاب اتجاهات الآخرين ومعتقداتهم ومفاهيمهم وقيمهم . . . الخ . ومن خلال اللغة نستطيع نقل خبرات متعددة إلى الطفل واختصار خبرات الآخرين له وبالتالي توفير الكثير من الوقت والجهد ، وبهذا الشكل يستطيع الكبار ـ باستخدام ألفاظ لها دلالات أو معاني خاصة من خبرات سابقة ـ أن يغرسوا في نفس الطفل اتجاهات سلوكية خاصة بالنسبة لمواقف لم يخبرها الطفل فعلاً . مثل حب الله ورسوله وحب الصحابة وحب عقيدة التوحيد وحب الصلاة والصيام والزكاة والتشوق لزيارة الأماكن المقدسة . . . . الخ. وذلك من خلال اللغة التي من خلالها يتلى القرآن الكريم وتتم الصلاة وعن طريق القصص الديني المشوق وقصص البطولات الإسلامية . . . الخ. وبهذه الأساليب يتعلم الطفل معتقدات آبائه وقيم الأسرة واتجاهاتها ومعاييرها الخلقية . . . ومن خلال أساليب الاستحسان والاستهجان والمدح والذم والثواب والعقاب يمكن للآباء تحديد الميول الاجتماعية والمهنية لأبنائهم مستقبلاً .

وتعلم الطفل اللغة يساعده على تصوره لذاته . فاللغة هي الأداة التي تساعد الطفل على اكتساب اتجاهات الغير . ويصبح الطفل واعياً بذاته عن طريق تبينه لاتجاهات الغير نحوه وعن طريق تكوين مجموعة من الاستجابات المنظمة نحو اتجاهات الغير . ويمكننا أن نتبين هذه الأمور بشكل واضح في لعب الأطفال .

فالطفل قد يتخيل شيئاً ما ـ على أنه طفل صغير يحادثه ـ بالاستحسان والاستياء وهو في هذا يتقمص دور أبيه أو أمه ، فيستحسن منه ما يستحسنه الأبوان ، ويعبر عن استيائه وينهره عن الأشياء والأفعال التي ينال هو عليها استياء أبويه . كذلك قد يحمل الطفل صندوقاً ويتخيل نفسه بائعاً متمثلاً والديه في عملية الأخذ والعطاء مع البائع وهكذا .

ويمكن القول أن الاتجاهات التي يتبناها الطفل في البداية تكون ممثلة للأشخاص الذين أخذها عنهم ، وتكون ذاته في مثل هذه المواقف مرتبطة بالشخص الذي يقوم بدوره ، وهذا يعني أن الطفل في البداية يكون له ذوات تتعدد بتعدد المواقف والأشخاص الذين يتقمص أدوارهم .

غير أن الأمر فيما يتعلق بنمو تصور الطفل لذاته وتكوين هذه الذات لا يتوقف على تبني اتجاهات منفصلة لشخصيات يتقمصها تتغير بتغير الشخصيات والمواقف، ذلك لأن الطفل يتعامل مع جماعات متكاملة ـ جماعة الأسرة ، جماعة اللعب. وهو يتفاعل مع هذه الجماعات أخذاً وعطاء يكتسب خبرات جديدة ، ذلك لأن أعضاء هذه الجماعات ترتبط أدوارهم الاجتماعية معاً ولا بد لكل فرد أن يدرك دوره ودور الآخرين وما يتوقعه هو من الآخرين وما يتوقعه الآخرون منه ، ولا بد أن تتوحد اتجاهاتهم نحو العمل أو النشاط التعاوني الذي يسهمون فيه سوياً . ولعل أوضح موقف يمثل هذه العملية ـ كما يشير جورج ميد ـ هو التعاون في فريق اللعب المنظم ، حيث يجب على كل عضو أن يتوقع سلوك بقية أفراد الفريق بالنسبة لبعضهم البعض وبالنسبة له شخصياً ، ولا بد أن يدرك الهدف العام الذي يسعى الفريق لتحقيقه . ونفس الموقف يتكرر داخل الاطار الأسري، ولكن بدرجة أقل من الوضوح في ذهن الطفل، ومع هذا فهو يتمكن خلال التفاعل من إدراك الأدوار ـ الحقوق والواجبات ـ المناطة بكل عضو وموقعه هو منها ، ويستطيع أيضاً أن يوحد الاتجاهات الأساسية لاتجاهات أعضاء الأسرة في كل متكامل وأن يكون اتجاهاته ويعدل أنماط سلوكه على أساس هذا الاطار العام. ومعنى هذا أن الذوات المتعددة التي تتكون لدى الطفل نتيجة ارتباطه بأفراد آخرين مختلفين تتكامل معاً فيما يمكن أن نطلق عليه «الآخر المعمم»«Generalized» وبعد أن يستدمج الطفل هذه الاتجاهات

والقيم ـ الواردة إليه أصلاً من الآخرين ـ ينسى الطفل هذه الحقيقة وتصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته توجه سلوكه وتشكل أحكامه بشكل تلقائي وبهذا الشكل يكون الطفل الذات المستقلة . غير أنه كثيراً ما يعرض للطفل مواقف جديدة ـ وهو ما قد يعرض أيضاً للراشد وهو في هذه الحالة يحاول أن يفهم اتجاهات الآخرين وتوقعاتهم منه وتحديد معنى الموقف (في ضوء خبراته الماضية) قبل أن يقوم بدور ويتخذ قراراً في هذا الموقف الجديد .

الذات كنتيجة للتفاعل الاجتماعي

ونستطيع القول أن عملية التنشئة الاجتماعية ـ خلال مرحلة الطفولة المبكرة ـ تسهم في تكوين ذات الطفل وأن يكون صورة معينة لذاته تتضمن مجموعة من المعتقدات والقيم والاتجاهات التي تحدد مواقفه وتوجه سلوكه تجاه نفسه وتجاه الآخرين فالذات والشخصية بهذا الشكل تعد نتاجاً للتفاعل الاجتماعي مع الآخرين ونتيجة لاستدماج قيم واتجاهات ومفاهيم هؤلاء الآخرين (الآباء،الأخوة والأقارب في المحل الأول) وقد كشفت الدراسات التي عالجت نحو الألفاظ المعبرة عن الذات (أنا ـ لي . .) والتي تشير إلى وعي الطفل بذاته ، عن صدق تلك النظرية الذاهبة الى أن سلوك الأفراد المحيطين بالطفل وتفاعلهم معه هو الذي يحدد اتجاهات تكوين ذات الطفل ويشكل شخصيته ، وأن وعي الطفل بالأفرادالمحيطين به واستخدامهم لأسمائهم يأتي قبل إدراكه لاسمه واستخدامه له ، كذلك كشفت هذه الدراسات أن الطفل يتعلم استخدام كلمة « أنا » التي تعبر عن الذات نتيجة لتفاعله مع غيره ، وأن الكلمات التي تشير إلى الذات وتعبر عنها لا تأخذ معناها إلا من المجال الاجتماعي الذي يتفاعل معه الطفل . ولا يمكن تصور كلمة « أنا » في حالة العزلة لأنها عادة توجه للغير وبالتالي تكتسب من التفاعل مع هذا الغير .

دور المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية

تبدأ مرحلة المدرسة بعد مرحلة الطفولة المبكرة ، ومع بداية مرحلة الطفولة المتأخرة ويمثل انتقال الطفل من مجتمعه الصغير (الأسرة) أو مجتمع القرابة إلى مجتمع المدرسة نقلاً وتحولاً كبيراً في حياته النفسية والاجتماعية فالمدرسة مجتمع الغرباء ،

مجتمع أوسع يمثل بيئة جديدة بعلاقات وصلات وأسس جديدة لها قوانينها ويطالب الطفل فيها بواجبات لم يألفها في المنزل ، مما يضطر معه الطفل إلى التضحية بالكثير من الميزات التي كانت له في الجو الأسري .

فبينما كان في المنزل يحتل مركزاً متميزاً ، يصبح في المدرسة مجرد طفل عادي معرض ـ للثواب والعقاب على أساس القواعد العامة وعلى أساس الأخذ والعطاء وليس الأخذ فقط كما كان الحال داخل الأسرة وقبل هذا كله فإن المدرسة تعني الانفصال ـ لأول مرة ـ من الوالدين ـ خاصة الأم . ويعد الانتقال من البيت إلى المدرسة حدثاً كبيراً في حياة الطفل النفسية له آثاره الكبيرة على شخصيته وخلقه وسلوكه الاجتماعي . فهو يضطر لأول مرة لأن يخضع لنظام عام والسلطة تختلف عن سلطة الوالدين ، وأن يتخلى عن المركز المتميز الذي كان يحظى به داخل الأسرة ، وعليه أن يتعلم النظام وآداب الحديث وعدم مقاطعة غيره ، وأداء ما يكلف به من واجبات ، والتعاون مع غيره ، والتعامل بأصول مرعية مع الآخرين . . . فالمدرسة هي نموذج للمجتمع الواسع الذي سيتعامل معه الطفل فيما بعد .

ويذهب « بياجيه » إلى أن أبرز أثر للمدرسة الابتدائية في مجال التنشئة الاجتماعية للطفل القضاء على ما يتسم به الطفل من تمركز حول الذات Ego Centrism نتيجة للعلاقات الأسرية . فالطفل حتى السابعة يكون شديد الخضوع لحاجاته ودوافعه ، غير قادر على تأجيل رغباته ، يعجز عن الاهتمام بمشاعر الغير وحاجاتهم . غير أن دخوله للمدرسة يضطره إلى اختفاء ظاهرة التمركز حول الذات ، والاهتمام بالآخرين والتعامل مع زملائه على أساس مبدأ الندية وإلى الاهتمام بالمدرسين وبالتقاليد المدرسية وبالنظام لأول مرة في حياته .

وتحتل المدرسة أهمية كبرى من الناحية التربوية لأنها قادرة على التأثير بشكل إيجابي على شخصية الطفل إن قامت بأداء رسالتها على خير ما يرام . فالمدرسة يمكنها من الناحية التربوية أداء الوظائف والمهام الآتية :

(أ) تستطيع أن تدعم كثيراً من المعتقدات والاتجاهات والقيم الحميدة التي تكونت في البيت ، وفي مقدمتها عقيدة التوحيد والقيم والنماذج السلوكية الإسلامية .

(ب) يمكن للمدرسة أن تمحي أثر بعض العادات والقيم غير السليمة التي اكتسبها الطفل من البيت ، فما زال الطفل في المدرسة الابتدائية في مرحلة الطفولة المرنة قبل أن تتحجر وتتصلب القيم والاتجاهات الخاطئة .

(ج) تستطيع المدرسة تعليم الطفل طرق التفاعل الايجابي مع الغير وتكوين علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين.

(د) يمكن للمدرسة ـ ومن خلال الأنشطة التربوية الهادفة ـ أن تزيل بعض ما يعلق بنفس الطفل من صراعات نتيجة للصراعات المنزلية التي عاناها الطفل.

(هـ) يمكن للمدرسة أن تدرب الطفل على ممارسة العلاقات الإنسانية القائمة على أسس إسلامية ، بطريقة منظمة مخططة .

وإذا ما انتقلنا من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الثانوية ، فاننا نقابل ظاهرة المراهقة التي تبدأ بسن البلوغ «Puberity» وهي القدرة على التناسل وهذه المرحلة تتطلب معاملة خاصة لإشباع الحاجات النفسية والاجتماعية والانفعالية للمراهق . وتشير مختلف الدراسات التطبيقية إلى ضرورة قيام المدارس ـ المتوسطة والثانوية ـ بإشباع حاجات المراهق من حيث هو إنسان، يريد أن يقلد سلوك الرجال ـ إن كان ذكراً ـ وتقلد سلوك الحريم ـ إن كانت أنثى ـ وأن يكون له شخصية مستقلة ومحترمة من مجتمع الكبار ، كذلك يجب على المدارس فوق الابتدائية أن تتبع الفرصة للمراهق لاكتساب المهارات والاتجاهات والقيم الإسلامية السليمة وإتاحة الفرصة لهم للتغيير عن ذواتهم والاستماع اليهم لتنمية شخصياتهم ، مع استمرار الصلة بين المدرسة والبيت لوقاية الطالب من الصراع نتيجة ما قد يحدث من تعارض للقيم بين المدرسة والبيت .

والواقع أن دور المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية دور خطير فالمدرسة إحدى المؤسسات المسئولة عن بناء الشخصية التي تؤمن بالله ورسوله وكتبه ورسله واليوم الآخر وتقدر خيره وشره والتي تخلو من الصراعات الداخلية والقادرة على الأخذ والعطاء وتكوين علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين أي قادر على الحب والعمل والإنتاج ، وهذا هو المؤمن الحق الذي يتسم بحسن الخلق والذي يألف

الناس ويألفه الناس والذي يعمل وينتج ولا يسأل الناس إحساناً . وتقوم المدرسة بمحاولة تحقيق أهداف وقائية وأخرى إنشائية بالنسبة للنشيء.

فالأهداف الوقائية هي التي تقي النشء من كل ما يعوق نموه السليم جسمياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً ، أما الأهداف الانشائية فتتمثل في تزويده بالخبرات اللفظية والحركية والعقلية والاجتماعية والمهنية مما يعينه على القيام بدوره المستقبلي بكفاءة وينبهنا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أهمية تزويد النشء بمهارات وخبرات ومعلومات في مقدمتها تعلم كتاب الله وسنة نبيه الكريم:فخيركم من تعلم القرآن وعلمه ، والسلوك الإسلامي القويم والسباحة والرماية وركوب الخيل. . . الخ». ويجب أن توفر المدرسة مجموعة من الشروط حتى تتمكن من تحقيق هذه الأهداف الوقائية والإنشائية بل والعلاجية (محو أثر القيم والعادات السيئة التي يكون قد تعلمها من الأسرة قبل الذهاب للمدرسة) أوجزها فيما يلي :

أولاً : عدم التركيز على تلقين المعلومات فحسب ، وإنما يجب التركيز على تنمية التلميذ تنمية شاملة جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً من خلال مختلف الأنشطة التربوية الثقافية والرياضية والاجتماعية وتنمية العلاقات الانسانية بين التلاميذ القائمة على الأخذ والعطاء والإيثار والتسامح في غير ذلة والمودة والرحمة .

ثانياً : التركيز على التلميذ وليس المنهج ، أي الاهتمام بالاحياء قبل الأشياء. فالتلميذ هو الذي يجب أن يكون محور العملية التعليمية ، وذلك بإشباع حاجاته ودوافعه،ومن دوافعه وحاجاته تبدأ عملية التعليم على أساس نشاطه الذاتي ويجب غرس العقيدة السليمة في نفس الطفل ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.

ثالثاً : مراعاة أن يكون الجو الاجتماعي السائد في المدرسة هو الجو الأسري القائم على التفاهم بين المدير وأعضاء هيئة التدريس من جهة وبينهم وبين الطلبة من جهة أخرى ، والقيام بأداء الشعائر الدينية (كالصلاة) في مواعيدها واحترام

رأي الجماعة ومنح التلاميذ حرية المناقشة وإبداء الرأي والمشاركة في الادارة المدرسية والابتعاد عن المنافسة غير المتكافئة.

رابعاً: الاهتمام بإعداد المدرسين ، فالمدرسة تقوم أساساً على المدرس الناجح المدرب القادر على العطاء التربوي المثمر. ولا توجد مهنة إذا امتهنها شخص معقد الشخصية جلب أبشع الأضرار على غيره وعلى نفسه كالتعليم . فالمدرس العصابي ينشر الفزع والقلق بين تلاميذه بالعدوى، تماماً كالمصاب بالأمراض الجسمية المعدية. وهناك مجموعة من المهارات يجب إكسابها للمدرس الصحيح نفسياً، أهمها : القدرة على الفهم والعطف والاستبصار الوجداني في نفوس طلابه ومعرفة الطرق الصحيحة في التدريس ومعرفة البناء النفسي لطلابه ومراحل النمو وخصائص كل مرحلة والفروق الفردية بين الطلبة ، إلى جانب أسس العلوم الاجتماعية التي تساعده على فهم تلاميذه مثل علوم النفس والاجتماع والتربية.

خامساً : ويجب إعداد بطاقة لكل تلميذ منذ السنة الأولى الابتدائية وتسير معه حيثما انتقل يسجل فيها مستواه العقلي وقدراته الخاصة واستعداداته وميوله وأسلوب تفاعله الاجتماعي مع غيره ومستوى تحصيله الدراسي واتجاهه الخلقي العام وأبرز سماته الشخصية . . . مثل هذه البطاقة تعين مستقبلاً على توجيهه تربوياً وتعليمياً صحياً ومهنياً على أسس علمية سليمة.

سادساً: يجب أن يلحق بكل مدرسة أخصائي اجتماعي نفسي مدرب قادر على اكتشاف الحالات الانحرافية بين الطلبة مبكراً (كالتخلف الدراسي) أو الانطواء ، أو سوء العلاقات مع الغير أو العدوان أو الانحرافات الجنسية. . . الخ) ومحاولة علاجها مبكراً والاستعانة بالمعالجين النفسيين إذا اقتضى الأمر .

ويجدر بنا أولاً أن نحدد مفهومي الثقافة والشخصية ، فالثقافة تشير في العلوم الاجتماعية إلى كل ما يكتسبه الإنسان من مجتمعه من معتقدات وقيم وأفكار وأنماط سلوكية ولغة وعلم وفن. . الخ. والثقافة تراكمية معقدة فهي ليست محصلة جيل واحد ولكنها محصلة أجيال متعددة ولها أبعادها التاريخية والعقائدية . . وأهم ما يميزها أنها مكتسبة وإن كانت تقوم على أسس فطرية تتمثل في طبيعة التكوين المتميز للإنسان كما أراده له الله سبحانه وتعالى من أجل حمل الرسالة الكبرى وهي الخلافة عن الله والعبادة وتعمير الكون والتعارف بين القبائل والشعوب . والواقع أن ثقافة المجتمع وحدة متكاملة من المعلومات والأفكار والمعتقدات والمواصفات الاجتماعية وطرق التفكير والتعبير والترويج وطرق كسب الرزق والصنائع اليدوية وغيرها من الظواهر السائدة بين أفراد المجتمع والتي تنتقل من جيل إلى جيل ويكتسبها الأفراد من خلال الاتصال والتفاعل الاجتماعي لا عن طريق الوراثة البيولوجية .ولكل ثقافة جانبان: جانب مادي وهو المحصلة المادية للتفاعل الاجتماعي كالأجهزة والسيارات والأدوية والمباني والملابس . . الخ. وجانب معنوي يتألف من المعتقدات والقيم والمعارف والمفاهيم. . الخ. وتضم الثقافات العامة داخل المجتمعات المعقدة ثقافات فرعية مثل ثقافات الريف والحضر والبدو وتختلف الثقافات باختلاف المهنة والتعليم والطبقة الاجتماعية. . الخ. وهذه الاختلافات فرعية في إطار الثقافة العامة للمجتمع كله .

أما الشخصية فهي جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تمييزاً واضحاً ، وهذه الصفات تتفاعل مع بعضها لتؤلف تنظيماً معيناً ومن هذه الصفات ما يبرز أثره ويثقل وزنه حين نحكم على شخصية إنسان ما ، وأهم هذه الصفات في المجال الاجتماعي القدرة على التعامل مع

الناس ، والقدرة على ضبط النفس والاتزان الانفعالي ومسايرة المعايير الاجتماعية والخلقية داخل البيئة الاجتماعية . وهذه الجوانب الاجتماعية والمتعلمة خلال عملية التنشئة الاجتماعية قد تغطي على العديد من الجوانب الموروثة للفرد . فالدنيا تزخر بالكثير من ذوي العاهات الخلقية الذين تفوقوا في ميدان أو آخر ، كما تزخر بالعديد من الأذكياء الفاشلين والذين تضاءلت شخصياتهم في أعين الناس نتيجة سوء علاقاتهم بالناس . ولهذا يمكن القول أن مظهر الشخصية البارز هو المظهر الاجتماعي لدرجة أن الشخصية تعرف أحياناً أنها مجموع صفات الشخص كما تبدو في علاقاته مع الناس ، أو أنها مركب من صفات مختلفة تميز الشخص عن غيره خاصة من ناحية التكيف للمواقف الاجتماعية .

من هذا العرض لمفهومي الثقافة والشخصية يتضح الأثر الحاسم للتنشئة الاجتماعية على صياغة شخصية الطفل ـ إنسان المستقبل الراشد ، كما تتضح أهمية الأسرة التي كانت ـ وما تزال ـ أقوى سلاح يستخدمه المجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية لأبنائه الجدد ، وهذه العملية الأخيرة هي في جوهرها عملية الصياغة الثقافية للفرد أي نقل التراث الاجتماعي والثقافي من جيل إلى جيل . وتؤكد كافة الدراسات التتبعية والأكلنيكية والانثروبولوجية ما للتربية داخل الأسرة من أثر عميق وخطير على تكوين شخصية الراشدين ، يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى . والأسرة هي الوسط الأول الذي ينقل إلى الطفل ثقافة مجتمعه حسب تصور الأسرة لها (معتقدات ، قيم ، عادات سلوكية ، تطلعات وطموح وآداب . .الخ) .

والواقع أن اختلاف ثقافات المجتمعات تؤثر بشكل واضح على اختلاف شخصيات أبناء هذه المجتمعات ، وهذا هو أثر الثقافة على الشخصية . فلو كنا نشأنا في مجتمع سيبريا أو صقيع الاسكيمو لكانت لنا عادات وتقاليد ومثل تختلف اختلافاً جوهرياً عما نحن عليه الآن ، بل ولاختلفت نظرتنا إلى الكون ومكانتنا منه . . . والواقع أن ثقافة المجتمع تؤثر بشكل واضح في طرق تفكيرنا وتعبيرنا عن انفعالاتنا وأساليب إرضائنا لدوافعنا وفيما نتعلمه من معايير المباح والمحظور والعدل والظلم والحق والباطل ، كذلك تؤثر على شكل ومضمون ما نكتسبه من معلومات ومهارات وعواطف وأذواق . كل ذلك يحدده نوع الثقافة ، أهي ثقافة تحررية أم

غير تحررية ، تعاونية أم تزاحمية ، مادية خالصة أم روحية خالصة أم وسط بين المادية والروحية ، مسالمة أم عدوانية ، مستنيرة أم غير مستنيرة . يضاف إلى هذا أن الثقافة وإن كانت تنقل أسسها العامة إلى الأبناء عن طريق الأسرة ، فإن الثقافة هي التي تحدد الأساليب والطرق التي يتبعها الوالدان في تنشئة الأطفال ، هل تقوم هذه التنشئة على التسامح أم التشدد ؟ على التزمت أم على التراخي ؟ هل تسير على نمط سريع فتفرض على الطفل تكاليف الرجولة من عهد مبكر ، أم تسير على وتيرة تدريجية متئدة ؟ ، هل يقوم الوالدان بتربية أطفالهما ، أم يتركان هذا الأمر لمربين مأجورين أو غير مأجورين ؟ وعلى هذا نستطيع القول أن ثقافة المجتمع تعيش داخلنا كما نعيش فيها ، أو أننا مرآة تنعكس عليها صورة هذه الثقافة . وهذا وإن كان حقاً إلا أنه لا يمثل كل الحق أولاً لأن الشخصية ليست شيئاً سلبياً تماماً ازاء ثقافة مجتمعها حيث يمكن أن تكون إيجابية ومؤثرة ، وثانياً لأن الشخصية متأثرة بعوامل أخرى غير الثقافة وهي مجموعة العوامل الوراثية .

وإذا كانت الأسرة هي التنظيم الاجتماعي الأول الذي ينقل أهم ملامح الثقافة العامة للمجتمع إلى الطفل ، فإن الواقع أنها ـ الأسرة ـ لا تستطيع أن تنقل إلى الطفل كل ملامح ثقافة المجتمع ، فالطفل لا يتعرض إلا لعوامل وجوانب منتقاة من ثقافة المجتمع كما تمثلها أسرته . ويترتب على هذا أن الدعائم الأولى لشخصية الطفل تتأثر بحياته في الأسرة ، أي بالثقافة والخبرات الخاصة التي يمر بها هو وحده مما يجعل شخصية كل إنسان تختلف في بعض التفاصيل عن شخصية أي فرد آخر فلكل شخص شخصية فريدة متميزة . غير أن هذا التمايز والفروق الفردية لا يحول دون وجود وحدة في الثقافة العامة التي تحقق التكامل الاجتماعي العام بين أبناء المجتمع . فالأسرة العادية داخل أي مجتمع تكسب أبناءها قدراً من الخصائص تتيح لهم القدرة على التوافق الاجتماعي مع ثقافة المجتمع الكلية . وهذه القضية تثير مسألة أقسام الثقافة . ففي كل مجتمع ثقافة عامة «General Culture» تحقق التكامل الاجتماعي داخل المجتمع وهي مجموعة المعتقدات والقيم والمفاهيم والاتجاهات والجوانب التي يشترك في اعتناقها جميع أبناء المجتمع وتحقق الوحدة في المجتمع ، وهناك الثقافات الفرعية «Sub-Culture» التي تميز بعض المجموعات داخل المجتمع الواحد ، وذلك في إطار الثقافة العامة أو الكلية . ففي كل مجتمع نجد اختلافات واضحة بين

الجماعات الممثلة للمجتمع بسبب الاختلاف في البيئة الجغرافية والأيكولوجية - مجتمعات محلية ريفية أو حضرية أو ساحلية أو بدوية . . . الخ وبسبب الاختلافات المهنية أو التعليمية أو العرقية (في بعض الدول) . . . الخ .

أثر الثقافات الفرعية :

سبق أن أوضحنا مفهوم الثقافات الفرعية والثقافة العامة ، فإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية داخل أي أسرة من أسر المجتمع تعني إكساب الطفل أساسيات ثقافة مجتمعه العامة ، فإنها تكسبه في نفس الوقت الثقافة الفرعية التي تنتمي اليها الأسرة - ثقافة ريفية أو حضرية ، ثقافة المتعلمين أو غير المتعلمين ، أو الثقافة المهنية المحددة . . . الخ .

وليس معنى ضرورة وجود ثقافة عامة داخل أي مجتمع أن شخصيات جميع الأعضاء تتشابه تشابهاً مطلقاً في العموميات وفي أدق التفاصيل ، ففي ظل الثقافة العامة الواحدة مثل ثقافة المجتمع الانجليزي أو المجتمع المصري تختلف مضامين التنشئة الاجتماعية وبالتالي تختلف الشخصيات على أساس منطقة التنشئة (البعد الأيكولوجي) ريف أو حضر أو صحراء : منطقة زراعية أو صناعية أو ساحلية ، وحسب نوعية التربية (تمت التربية في الأسرة الطبيعية أو أسرة بديلة ، في ظل وجود الوالدين معاً وعلاقاتهما طيبة أو في ظل علاقات مفككة أو انفصال الوالدين . . . الخ.(البعد الأسري) وهل تمت التنشئة في جو أسرة مثقفة أم غير مثقفة (البعد عن التعليم) محافظة أو مجددة ، حانية أم جافية ، مكتظة أم محدودة العدد . . . يضاف الى هذا البعد المهني ويتضمن طبيعة المهنة التي يمتهنها الأب، والبعد الاقتصادي) أسرة غنية أم فقيرة . كذلك تختلف مضامين التنشئة الاجتماعية وبالتالي شخصيات الأفراد حسب عوامل خارج الأسرة مثل نوعية القيم والمعاملة التي يتلقاها الطفل في المدرسة ، ونوعية الأصدقاء والرفاق ، من حيث أعمارهم وأخلاقهم ومعتقداتهم وقيمهم ، وهل للطفل أصدقاء كثيرون وهل يؤثر الاجتماع بالآخرين أم العزلة . . . الخ . هذه العوامل وغيرها تمثل الثقافات النوعية التي تؤدي إلى اختلاف شخصيات أفراد المجتمع الواحد . ولكننا نؤكد أن هذه الاختلافات النوعية تتم في ظل الوحدة الكلية التي تكفلها الثقافة العامة ، التي تحقق وحدة المجتمع العام كله .

أثر كل من عاملي الثقافة والوراثة على مضمون التنشئة الاجتماعية:

أدت الدراسات الانثروبولوجية (علم الإنسان) الحديثة إلى تغيير كثير من الأفكار القديمة التي كانت تسود دراسات علـم النفس والعلـوم الاجتماعية . فقـد سادت فكرة أن الانسان عدواني بطبعه ، وأن الرجل مخلوق عدواني مسيطر والمرأة إنسان ضعيف خانع يستسلم للرجل ، وأن القتال والعنف غريزة في الانسان . . . الخ غير أن الأبحاث الانثروبولوجية كشفت عن أن عمليات التنشئة الاجتماعية في بعض قبائل الميلانيزيا في جنوب شرق آسيا تؤدي إلى طراز من الشخصيات لا تعرف العدوان اليدوي ويعبرون عن مظاهر العدوان بإقامة ولائم يطلق عليها البوتلاتش (Potlach) . وقد كشفت دراسة « مارجريت ميد »، «M.Mead» أن المثل الأعلى للرجل في قبيلة « أرابش » في غينيا الجديدة الوداعة والمسالمة والرقة كالنساء تماماً ، بعكس الحال في قبيلة « موندوجومر » حث أن المثل الأعلى للرجولـة هو الخشونـة والفظاظة والعدوانية . أما في قبيلة « تشامبولي » وهي قبيلة مجاورة، فالرجـل يمثـل الوداعة ويقوم بالأعمال اللينة كالنقش والحفر والرقص ، في حين تقوم المرأة بالأعمال الخشنة مثل صيد السمك ونسج الشباك ، والمرأة ـ على الرغم من أن المجتمع أبوي ـ هي العنصر المسيطر الآمر والناهي عدا في مسألة الزواج . ويشير « بريتشارد » إلى أن تصور علماء النفس لمرحلة المراهقة تغيرت بعد دراسة « ميد » لمجتمع ساموا . فقد اقترنت مرحلة المراهقـة في الحضـارة الأوروبية والأمـريكية بالنقلـة الفجـائية للشخصية والعـدوان والمشـكلات للمراهقـين وأولياء الأمـور . أمـا في مجتمـع « ساموا » فقد وجد أن مرحلة المراهقة تسير هناك دون صراعات أو عقبات أو تمرد أو عدوان ودون أمـراض واضطرابـات نفسية . وهـكذا اقتنــع الباحثــون إلى أن الاضطرابات النفسية والصراع والتأزم ليس خاصية مصاحبة لمرحلـة المراهقـة على الاطلاق ، لكنها ترتبط بطبيعة الثقافة والتنشئة الاجتماعية . ولا يمر المراهق في ظل ثقافة الأسرة الإسلامية بأية اضطرابات أو صراعات نتيجة للايمان بالقيم الإسلامية الأصيلة التي تقي الإنسان والجماعة والمجتمع كله ضد حدوث الاضطراب أصلاً ، لأنها ثقافة مصدرها التشريع الإسلامي الالهي المنشأ .

أخطاء عملية التنشئة الاجتماعية :

تستهدف عملية التنشئة الاجتماعية السليمة إفراز أناس أسوياء آخرين على التعامل السوي مع مجتمعهم يؤمنون بالمعتقدات الإسلامية الصحيحة قادرين على ترجمتها سلوكياً في كل مناحي واقعهم الاجتماعي ويقول آخر إن التنشئة الاجتماعية السليمة هي التي تؤدي إلى مجتمع من الراشدين الذين لا يعانون الصراعات النفسية والقادرين على التوافق السوي مع المجتمع المسلم . وهنا نطرح سؤالاً عن معيار السواء والانحراف ، والواقع أن هناك عدة معايير منها **المعيار المثالي** حسبما يضعه علماء النفس والفلاسفة من معايير ـ وهي مختلفة من عالم لآخر ومن مجتمع لآخر ، وهناك **المعيار الإحصائي** الذي يذهب إلى أن الشخص السوي هو الذي يتفق سلوكه واتجاهاته مع سلوك واتجاهات غالبية أبناء المجتمع ، وهناك المعيار الطبي النفسي الذي يركز على الخلو من الصراعات والأزمات النفسية اللاشعورية . . . الخ .

ويمكن القول بفساد هذه المعايير جميعها . فالاستواء لا يتمثل في التطابق مع مثاليات وضعية من صنع البشر لأنها تختلف باختلاف البشر وباختلاف المجتمعات ، كذلك فإن الاستواء لا يتمثل في مطابقة سلوك ومعتقدات وقيم الأغلبية ، فقد تكون الأغلبية منحرفة عن الصواب أي منحرفة عن العقيدة والقيم الإسلامية وهي وحدها العقيدة السليمة) كذلك قد يخلو الإنسان من الصراعات لكن يشرب الخمر ويأتي الفواحش . . . والمعيار الوحيد المقبول للاستواء هو المعيار الإسلامي ، فما يتفق مع مبادىء الشريعة الإسلامية يعد سوياً وما يخالفه يعد منحرفاً والتربية الإسلامية داخل المجتمع المسلم تحقق للانسان الخلو من الصراعات الشعورية واللاشعورية ، كما يحقق للانسان القدرة الإيجابية على المشاركة والتوافر السوي مع نفسه وأسرته ومجتمعه ومهنته . . . الخ .

وقد تقع الأسر في بعض الأخطاء التي تؤدي إلى معاناة الأبناء في الكبر من مشكلات نفسية وسلوكية . منها إهمال الأم للأطفال. ويذهب بعض العلماء مثل « بولبي» إلى أن حب الأم للطفل ورعايتها المعتدلة في مرحلتي الرضاعة والطفولة له من الأهمية في إرساء قواعد الصحة النفسية للطفل ما للفيتامينات من أهمية للصحة

الجسمية.

ومن الأخطاء التي يقع فيها الآباء والمربون معاملة الطفل على أنه راشد متجاهلين أو جاهلين خصائص وحاجات مرحلة الطفولة . ولهذا يجب على الآباء والمربين معرفة الطفولة وخصائصها وهذه المعرفة تتضمن ما يلي :

أولاً : معرفة دوافع الطفل وحاجاته الأساسية وما يترتب على إحباطها من مشكلات وأزمات نفسية.

ثانياً : معرفة المنطق الخاص بالطفل وطريقة تفكيره ونظرته الخاصة إلينا وإلى العالم المحيط به.

ثالثاً : إدراك أهمية مرحلة الطفولة وضرورة توافر الجو الأسري الحاني على الطفل . وأهم الحاجات النفسية للطفل التي يجب الحرص على إشباعها هي الحاجة إلى التوحيد (الحفاظ على الفطرة) وإشباع الحاجات العضوية ، والحاجة إلى الأمن والحاجة إلى التقدير الاجتماعي ، والحاجة إلى توكيد الذات والتعبير عنها والحاجة إلى الحرية والاستقلال ، والحاجة إلى الاستطلاع واكتساب الخبرات ، والحاجة إلى اللعب . . .

ويمكننا هنا التنبيه إلى أهم جوانب الخطأ التي قد يقع فيها الآباء والمربون خلال عملية التنشئة الاجتماعية وهي:

أولاً : **القسوة والنبذ** : وتؤدي التربية المتعنتة القاسية إلى كراهية الآباء والسلطة الأبوية وكل ما يمثلها مستقبلاً والصرامة في التربية تؤدي إلى خلق ضمير صارم قاس يشعر الانسان دائماً بالذنب للصغيرة والكبيرة بشكل يؤرق حياته. وطاعة الأطفال ورضوخهم للتربية القاسية ليس معناه الأدب لكن الرضوخ، ويكون رد الفعل هو الانتقام المفرط أو الخنوع الشديد مستقبلاً وكلاهما رذيلة. وخطر نبذ الطفل وإهماله أو التنكر له وتهديده باستمرار والسخرية منه ، هو توليد الرغبة في الانتقام في نفس الطفل وحقده على الأسرة والمجتمع. وقد لوحظ أن نبذ الطفل عامل مشترك في كل حالات جنوح الأحداث.

ثانياً : التراخي والاسراف في التدليل: ومن صور التدليل عدم تدريب الطفل على الالتزام بقواعد وقيم معنية وعدم تحمله أي مسئولية والتسيب المطلق في السلوك ، في معاملته لأفراد الأسرة ، مواعيد الطعام ، استذكار الدروس . . وتلبية كل طلبات الطفل وحاجاته . والمشكلة هنا أن الأب والأم المتسيبان نموذج سيء وقدوة فاسدة أمام الطفل ، إلى جانب أن مثل هذه التربية تعود الطفل على الأخذ دون العطاء وهو مخالف لما سيواجهه الطفل مستقبلاً ، وهذا يؤدي إلى شعور الطفل بالنقص والفشل عندما يبدأ في الخروج خارج معاملات الأسرة ويواجه بواجبات لم يألف مثلها من قبل والتدليل يؤدي إلى شخصية رخوة تضيق بأهون المشكلات ولا تطيق مواجهة الصعاب. وصدق رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام عندما يوجهنا إلى الخشونة « اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم » والطفل المدلل يتوقع من رؤسائه التغاضي عن أخطائه ، فإن حاسبوه عليها شعر بالاضطهاد والظلم . وهنا تجدر الاشارة إلى أن التربية الصحيحة هي التي لا تجيب كل حاجات الطفل، وتعلمه الأخذ والعطاء وضرورة التعلم كيف يتنازل عن بعض رغباته، وترتيب هذه الرغبات في شكل أولويات وتحقيقها حسب الامكانيات المتاحة .

ثالثاً : التذبذب في معاملة الأطفال :

يؤدي التذبذب في معاملة الأطفال (مدحه على شيء ـ سلوك اليوم نعاقبه عليه الغد والعكس) الى اختلال معايير الاستواء والانحراف في نفس الطفل ، فلا يعرف الطفل هل هذا السلوك صحيح أم خطأ لأنه مرة يكافأ عليه ومرة أخرى يعاقب عليه هذا الى جانب انه يفقد الثقة في والديه وهما القدوة أمامه ، بالإضافة الى اهتزاز قيمة العدالة في نظره وهذا لا يعينه على تكوين فكرة ثابتة عن ذاته وسلوكه وخلقه ، ويجعله دائماً في حالة قلق وحيرة .

رابعاً : الصراع المستمر بين الوالدين : هذا الصراع يجعل الطفل يعيش في جو من القلق وانعدام الأمن ، إلى جانب فقد الثقة في الوالدين ، وفي ممثلي الوالدين أو السلطة الأبوية مستقبلاً بل وفي الناس جميعاً ويجعل الطفل حائراً بين أبيه وأمه وهذا النزاع يعطي الطفل فكرة سيئة عن الأسرة والحياة الزوجية مما ينعكس على حياته الأسرية ومعاملته لزوجته وأبنائه مستقبلاً . وينصح خبراء علم النفس أن الطلاق

في هذه الحالة أفضل بالنسبة للصحة النفسية للأولاد .

خامساً : التلهف والقلق المفرط على الأطفال : وهذه اللهفة والقلق يؤديان إلى معاملة الطفل بإفراط وحساسية وتقيد حركته بشكل يشل حركته - خوفاً من أن يصاب ، فيحرم من اللعب مع رفاقه أو من الخروج من المنزل ، أو مقابلة الغرباء ، والاكثار من ملابسه حتى لا يصاب ببرد . . . الأمر الذي يسهم في إيجاد شخصية قلقة منطوية غير اجتماعية بل وسقيمة لعدم ترك الطفل على الطبيعة يؤثر ويتأثر ويكتسب المناعة الطبيعية ضد الأمراض الجسمية والاجتماعية والنفسية .

سادساً: عدم مراعاة التنميط الجنسي أثناء التنشئة الاجتماعية: ويقصد بهذا التنميط تربية الأبناء الذكور على ممارسة السلوك المقبول من الذكور ومعاملتهم على هذا الأساس ونفس الأمر بالنسبة للاناث. وكثيراً ما يحدث أن يعامل الآباء الأبناء الذكور معاملة الاناث ويلبسونهم الملابس الأنثوية . نتيجة لبعض المعتقدات الخاطئة - كما قد يجد الطفل نفسه وسط مجموعة من الأطفال والأفراد كلهم من الجنس الآخر فيتعود استخدام الكلمات التي تعبر عن الجنس الآخر عندما يتكلم عن نفسه. ومن أجل بناء شخصيات إسلامية صحيحة نفسياً وجسمياً يجب توجيه الآباء والأمهات إلى أسس التربية وممارسة العمل التربوي الإسلامي المتميز في المدارس وكافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، إلى جانب الاهتمام بعلاج الحالات الانحرافية مبكراً.

الفصل الرابع

مفهوم التحديث التربوي ومناقشته من المنظور الإسلامي

١ ـ المنظور الاقتصادي للتعليم.
٢ ـ مناقشة مفهوم التنمية في الفكر الغربي في ضوء النموذج الإسلامي للتنمية.
٣ ـ ضرورة التمييز بين التكنولوجيا والأيديولوجيا أو بين نتائج العلم التطبيقي والمبادىء والمعتقدات والقيم.
٤ ـ مفهوم التحديث التربوي
٥ ـ موقف الإسلام من قضية التحديث التربوي.

المنظور الاقتصادي للتعليم

يدرك كل دارس للعلوم الاجتماعية صعوبة تحديد المصطلحات بشكل قاطع متفق عليه وقد سبق أن عالجت في دراساتي السابقة[1] بعض هذه المصطلحات وما يهمنا هنا مفهوم التحديث التربوي Educational Modernization وهناك من الباحثين من يميز بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية Economic and Social Development على اعتبار أن الأولى تشير إلى التنمية الاستثمارية في مجال الصناعة والزراعة والتعدين والتجارة والمال . . . أما الثانية فإنها تشير إلى التنمية البشرية في مجال التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية . . . غير أن بعض علماء الاقتصاد ـ مثل هيجن Hagen ـ يعترضون على هذا الفصل بين البرامج الاستثمارية وبرامج الخدمات البشرية لأن هذه البرامج الأخيرة ـ كالتعليم والتربية والرعاية الصحية ليست برامج خدمات فحسب لكنها برامج إقتصادية مؤثرة من المنظور الاقتصادي الخالص فالتعليم يعد استثماراً اقتصادياً طويل المدى Long term investment وقد أثبتت بحوث اقتصاديات التعليم Economics of Education أن عائد الاستثمار التعليمي أكبر من عائد أي استثمار مادي كالصناعة والزراعة مثلاً .

وإذا ما ألقينا نظرة إلى ميزانيات التعليم للدول نجد تزايداً كبيراً مستمراً في هذه الميزانيات بعد أن اتضحت أهمية الأهمية الاقتصادية الكبرى للتعليم فلم يعد التعليم وما ينفق عليه رأس مال فاقد أو استثماراً غير منتج بل أصبح أفضل المجالات الاقتصادية لاستثمار رأس المال وإن كان استثماراً اقتصادياً طويل المدى . فالثروة البشرية هي أثمن ما في أي مجتمع من ثروات . فلم تعد ثروة الأمم تقاس

بعدد سكانها أو ثرائها الطبيعي بقدر ما تقاس بما لديها من إمكانيات بشرية مؤمنة مدربة متعلمة خبيرة فانتاج الخبرة البشرية هو الوسيلة الأساسية للانتاج الاقتصادي ، ولا فائدة في مال أو ثروة طبيعية ما لم تستغلها وتوجهها طاقات بشرية خبيرة متمكنة . وعلى هذا فالتربية والتعليم نوع من الاستثمار ذو عائد كبير على مستوى الفرد (بناء شخصية متكاملة ومؤهل مهني للحياة) وعلى مستوى المجتمع (يمده بأعضاء صالحين وبخبرات وأيدي عاملة مدربة) وقد أجريت دراسات عن العلاقة بين الاستثمار في التعليم وبين نمو الدخل القومي National Income في بعض الدول ، كشفت عن أن عائد الاستثمار التعليمي يفوق عائد أي استثمار آخر . وقد أثبتت إحدى الدراسات أن العائد من التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية يغطي ما يكون قد أنفق عليه في تسع سنوات فقط ، وهي لا شك نسبة استثمار عالية . وقدر العائد على الاقتصاد القومي من تقرير التعليم الإلزامي لمدة أربع سنوات - في بداية الثورة السوفيتية بثلاث وأربعين مثلاً لما ينفق عليه[٢] . وقل مثل هذا عن برامج التنمية الصحية والخدمات الاجتماعية . . . ولهذا يجب عدم الفصل بين برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية على أساس أن كلا البرنامجين له استثمار له عائده المادي محسوباً بالمقاييس الاقتصادية .

مناقشة مفهوم التنمية في الفكر الغربي

ويذهب بعض غلاة الاقتصاديين إلى أن مفهوم التنمية الاقتصادية يتضمن مجموعة من المعاني الاجتماعية والأخلاقية والقيمية والتربوية كالعدالة والمساواة والتكافل . . . غير أننا لا نقبل هذا الرأي لأن الواقع التاريخي المرير للتجربة الأوروبية في التنمية الاقتصادية يدحض هذا القول ، فقد مرت أوربا منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وحتى بداية القرن العشرين في تجربة تنمية إقتصادية سريعة جداً ، ولكنها كانت تخلو تماماً عن مفاهيم العدالة والمساواة والأخلاق ، وهي المفاهيم التي يتشدق بها الغرب والشرق على السواء دون وجود مضمون واقعي لها عندهم ، وحتى نقف على طبيعة هذه المفاهيم (العدالة والمساواة والتربية والأخلاق) بشكلها الصحيح سواء على مستوى النظرية أو التطبيق يجب الرجوع للدين الإسلامي الحنيف مستمداً من الكتاب والسنة وليس إلى النظريات الوضعية

الزائفة سواء في الغرب أو الشرق .

وهناك من الباحثين من يتجاوز عملية التصنيف التنموي ويتحدث عن التنمية الشاملة Over all Development بمختلف جوانبها المترابطة .ولعل المشكلة الحقيقية بالنسبة لقضية التنمية داخل المجتمعات العربية والإسلامية هي ما يشيره بعض الباحثين ـ سواء في الغرب أو ـ للأسف ـ من العرب ـ من أن التنمية = التحديث Modernization = الصياغة الغربية للمجتمعات النامية Westernization ، وهذا يعني أن المجتمعات النامية أو التي تريد أن تأخذ طريقها للنمو Pre-Modern Societies عليها أن تطبق أمرين أساسيين هما[٣] :

(أ) التكنولوجيا الصادرة عن مجتمعات الغرب سواء في المجالات المادية كالصناعة والزراعة أو في المجالات البشرية كالتعليم والصحة والرعاية الاجتماعية .

(ب) النظم الاجتماعية وأساليب التنظيم الغربي في السياسة والاقتصاد والتربية والأسرة . . . الخ .

ويحاول « أولاف لارسون » O. Larson تحديد أهم خصائص المجتمع الحديث Modern Society وهي ـ عنده ـ [٤] :

١ ـ التجديد Innovation

٢ ـ النمو Development

٣ ـ الرشد Rationality

٤ ـ التقدمية Progressivness

ويرى « لارسون » أن من أهم واجبات النظام التربوي إيجاد الشخصية التي تؤمن بهذه المتغيرات ويحدد « إفريت روجرز » E.Rogers أهم خصائص النسق الاجتماعي التقليدي فيما يلي :[٥]

١ ـ بساطة النظام التكنولوجي وتخلف أساليب الانتاج .
٢ ـ سيادة الأمية وانخفاض المستويات التعليمية .
٣ ـ الانغلاق الاجتماعي وعدم الانفتاح على الخارج .

٤ ـ سيادة العلاقات الاجتماعية الأولية Primary Relations وعدم انتشار علاقات الأدوار Role Relations .

٥ ـ عدم توافر الرشد الاقتصادي Economic Rationality نتيجة لعدم توافر الخبراء الاداريين والمنظمين القادرين على توجيه الاستثمارات في مجالات ذات إنتاجية اقتصادية مرتفعة .

٦ ـ غياب القدرة على تقبل التجديدات الاجتماعية والتكنولوجية أو تقبل الأدوار المهنية والاجتماعية الجديدة وهو ما يطلقون عليه في الغرب القصور الذاتي الثقافي Cultural Inirtia .

ويشير « كوزنتز » Kuznets إلى أن الأوضاع الاقتصادية والتربوية والتكنولوجية في العالم الغربي هي المعيار الذي يمكننا أن نقيس به التقليدية والحداثة داخل الدول المتطلعة للنمو* .

وقد سبق أن أشرت في الفصل الأول إلى خطأ ربط عملية التنمية والتحديث داخل المجتمعات النامية ـ سواء العربية أو الإسلامية أو حتى غير الإسلامية ـ بالأخذ بالتكنولوجيا والنظم الغربية ، وقد أوردنا مثالين أحدهما تاريخي (المجتمع الإسلامي المتقدم في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وخلال فترات ازدهار الإسلام والحضارة الإسلامية) والثاني معاصر (نموذج المجتمع الياباني المعاصر)**. فقد حقق المجتمع الإسلامي ـ تحت تأثير الايمان المطلق بالله سبحانه وتوجيهات الكتاب الكريم والسنة المطهرة ـ تقدماً إجتماعياً (في مجال التربية وتحقيق العدالة والمساواة والاخاء والتعاطف والتماسك الأسري والتكامل الاجتماعي وسيادة قيم العمل والانجاز والابتكار والعلم والتكنولوجيا . . .) وتقدماً إقتصادياً بسبب اندفاع المسلمين للعمل وطلب العلم والانجاز تحت تأثير القرآن والسنة . وقد أعطى هذا المجتمع الإسلامي للعالم حضارة خالدة باقية هي الأصل والأساس

* لا داعي للاسترسال أكثر من هذا في إبراز آراء علماء اجتماع العرب بشأن التنمية والتحديث فهي مذكورة في دراسات المؤلف المشار إليها في مراجع هذا الفصل مع مناقشة نقدية لها.

** ارجع إلى الفصل الأول من هذا الكتاب .

فيما نشاهده لدى العالم الغربي من تقدم معاصر.ويكفي القول أن الإسلام منح العالم أساس العقيدة السليمة والنظم الاجتماعية ـ السياسية والاقتصادية والأسرية والتربوية والعقابية . . . ـ التي تكفل قيام مجتمع فاضل واقعي ، كما منح العالم المنهج العلمي التجريبي الاستقرائي وهو الأساس الأول لقيام كل العلوم والتكنولوجيا الإسلامية والمعاصرة ومنحه العلوم الشرعية والعقلية وهي أساس التقدم العلمي المعاصر. وقد كان علماء المسلمين ـ علماء أصول الفقه وعلماء الكيمياء والحياة مثل جابر بن حيان ، وابن النفيس والإدريسي . . . الخ وليس « روجر بيكون » أو « فرنسيس بيكون » هم الذين اكتشفوا المنهج الاستقرائي Inductive Method الذي يقوم على افتراض الفروض وملاحظة الظواهر وإجراء التجارب وإصدار التعميمات العلمية . . وقدكانت النظم التربوية في المجتمع المسلم تكفل تنمية كل إمكانيات الشخص ـ جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً ، عقدياً وسلوكياً وبناء شخصيات متماسكة قويمة قادرة على تكوين أسر متماسكة ومجتمع صالح وعلى الإنجاز والعمل .

وقد أعطى المجتمع المسلم نموذجاً للتقدم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي في إطار التماسك والتكامل والتعاطف والتكافل ، وهو ما تفتقده تجربة النمو الاقتصادي والتكنولوجي في المجتمع الغربي المعاصر ، ذلك المجتمع الذي وإن كان حقق تقدماً علمياً واقتصادياً وتكنولوجياً ، لكن على حساب ضياع الانسان وغياب التماسك الأسري أو التكامل الاجتماعي وانتشار الاضطرابات السلوكية والانحرافات الاجتماعية أو السلوك الانحرافي Deviant Behavior الذي وصل إلى حد السلوك الانحرافي المنظم داخل تنظيمات إجرامية كبيرة . وما ذلك إلا للانفصام بين العلم والايمان وغياب الايمان الصحيح والقيم الدينية والأخلاقية . ومع أن الانسان ـ في العالم الغربي ـ هو صانع العلم والصناعة والتكنولوجيا ـ بفضل ما زوده به الله سبحانه من عقل وقدرات عقلية ـ إلا أنه يشعر بالضياع وبعدم القدرة على السيطرة على نفسه وفي ظل غياب المعتقدات الايمانية يفضي كل تقدم علمي إلى مزيد من الانحطاط الانساني وإلى مزيد من التفكك والصراع النفسي والاجتماعي . . .

ويذهب أحد علماء الغرب وهو « هيلبرونر » «Heilbroner» أن التقدم

التكنولوجي في الغرب يؤدي إلى سيطرة اجتماعية منظمة تنظيماً عالياً نراها في الشركات الانتاجية الضخمة والتي تتحكم بشكل كامل في حياة الانسان[٥]، وقد أصبح العامل في مجال الصناعة ذرة إقتصادية تتراقص على نغمات الادارية الذرية التي تحدد مكانه وطريقة جلوسه والمسافة التي تمتد إليها ذراعه ، وزمن هذه الحركة المتناهية الضآلة . . . وقد أصبح العمل آلياً لا يحتاج إلى تفكير إذ سلب المخططون ورجال الادارة العامل حقه في التفكير وحرية الحركة وأصبحت النتيجة التي لا مفر منها هي الهرب أو النضال ، الاستسلام أو الدمار[٦] . ويصف العالم النفسي الغربي الناقد « ايريك فروم » E.From الأثر النفسي المدمر لحضارة الغرب المادية على الإنسان بقوله إن التقدم العلمي والتكنولوجي الغربي وظهور التنظيمات الكبرى في الصناعة أدى الى شعور الأفراد بالعزلة والابتعاد، وإلى أن يفقد الفرد نفسه وعدم قدرته على السيطرة على نفسه ولا على مقدراته وأخذ يشعر بالتفاهة والاعتماد الكامل على قوى خارجية وقد أصبح الانسان ـ صانع الآلة ـ عبداً لها .[٧]

ضرورة التمييز بين التكنولوجيا والأيديولوجيا

والواقع أن التشخيص السليم لتلك الظواهر المرضية التي يعاني منها العالم الغربي ـ والتي يذكرها « هيلبرونر » ، و« فروم » وغيرهما ـ يتمثل في افتقاد الايمان الحقيقي وغياب الحس الديني وضياع العلاقة الواجبة بين الانسان والخالق سبحانه . ويجب ونحن ـ في مجتمعاتنا الإسلامية ـ نأخذ بأسباب التقدم ونحاول استيراد العلوم والتطبيقات العلمية المتقدمة من الخارج أن نميّز بين أمرين أساسيين هما :

أولاً : العلوم النظرية وتطبيقاتها العملية (التكنولوجيا) وهذه العلوم ـ وهي ما يطلق عليها العلوم العقلية وما أطلق عليها بعض العلماء المسلمون علم السنن الكونية ـ نحن أصحابها حيث أن العلماء المسلمين هم الذين اكتشفوا مناهجها ومضامينها تحت توجيهات الكتاب والسنة ، وإذا كان علماء الغرب أخذوها عن المسلمين وطوروها وأضافوا إليها فلا بأس من استيراد ما يتناسب منها مع عقيدتنا وقيمنا ويحقق لنا الخير والتقدم ـ سواء في المجال المادي ـ كالآلات والأجهزة ـ أو في المجال الاجتماعي ـ مثل أساليب التخطيط وأساليب التنظيم والادارة . . . الخ .

ثانياً : المعتقدات والقيم أو ما يطلق عليه الأيديولوجيا وما يترتب عليها من نظم إجتماعية ـ أسرية وتربوية . . . ـ وهذه الأمور يعاني الغرب والشرق على السواء من انهيارها ، ولسنا بحاجة إلى استيراد في هذا الجانب ، بل نحن في حاجة إلى الرجوع للمصادر الإسلامية ـ الكتاب والسنة ـ والتمسك بقيمنا الإيمانية والأخلاقية وبالشريعة الاسلامية التي أسست الحضارة الإسلامية المزدهرة والتي ما زال العالم يعيش في خيرها ، والتي يكفل التمسك بها تحقيق مجتمع فاضل واقعي يجمع بين التقدم العلمي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي والأخلاقي معاً ، وهي المعادلة الصعبة في العالم غير الإسلامي بوجه عام .

مفهوم التحديث التربوي

ويعني التحديث ـ الأخذ بالأسباب العلمية والتكنولوجية من أجل تحقيق تقدم الانسان وخيره ، أي يعني الشق الأول السابق إيضاحه ، كالأخذ بأكثر الآلات إنتاجية وبأحسن أساليب العلاج الطبي وأصلح أساليب التنظيم التربوي . . . الخ . مما لا يتعارض مع معتقدات الإسلام وقيمه . ويشير التحديث التربوي إلى عدة أمور نوجزها فيما يلي :

أولاً : الأخذ بأنسب المناهج وأصلحها وتطبيقها . وقد سبق أن أشرنا الى اتساع مفهوم المنهج Curriculum حيث أصبح يشير إلى جميع الأنشطة المعرفية والعقلية والوجدانية والجسمية والاجتماعية وإلى جميع الخبرات المخططة التي يستهدف التنظيم المدرسي إكسابها للتلاميذ وفق السياسة التعليمية العليا للمجتمع . ويجب أن يراعي المنهج عند تخطيطه عدة أمور أهمها حاجات التلميذ ودوافعه ونشاطه الذاتي والحفاظ على فطرته السليمة ومستويات نموه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي ، وطبيعة التطور العلمي والتكنولوجي للعصر ، وحاجات المجتمع إلى النمو والتقدم والتماسك والتكامل .

ثانياً : تطبيق أسلوب الشورى الإسلامي في الادارة المدرسية ، ذلك الأسلوب الذي يحقق مشاركة العاملين في اتخاذ القرار ويجمع بين العدل والمساواة

والحزم والضبط الاداري وإنجاز الهدف بأكفأ صورة - كماً وكيفاً - وبأقل فاقد ممكن ، ويتم إعداد الكوادر الادارية لقيادة العمل التربوي - سواء على مستوى الادارات التعليمية والتوجيه الفني ، أو على مستوى المدارس ، من خلال برامج فعالة للتدريب والاعداد المهني باستخدام أكفأ أساليب التدريب (المحاضرة والجماعات النقاشية Discussion Groups وتبادل الأدوار Role Reversal وأداء الأدوار Role playing . . . الخ) .

ثالثاً : العناية باختيار المتقدمين لمدارس وكليات إعداد المعلمين بحيث تتوافر لديهم خصائص المدرس الناجح ، كما سبق أن ذكرناها - وأن يكون لديهم ميل طبيعي لمهنة التدريس ، على أن يؤهلوا تأهيلاً علمياً وتربوياً خلال مدة الدراسة - مع التركيز على مناهج العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية والتربية العملية .

رابعاً : العناية باختيار وتأهيل المهن المساعدة للمهنة التربوية داخل المدارس - كأمناء المكتبات والمعامل والأجهزة الادارية والمالية .

خامساً : تطبيق أنسب طرق التدريس (كالأسلوب النقاشي واستثارة ايجابية التلميذ خلال الموقف التعليمي) والعناية بالأنشطة التربوية داخل وخارج المدرسة (إجتماعية وثقافية ورياضية وترفيهية . .) .

سادساً : العناية بالكتاب المدرسي سواء من حيث الشكل أو المضمون (أسلوب مشوق يراعي طبيعة المرحلة العمرية للتلميذ يضم معارف بأسلوب عرض منطقي وجذاب ويتماشى مع التقدم العلمي للعصر) .

سابعاً : محاولة الاستفادة بوسائل الايضاح الحديثة - كالدوائر التلفزيونية المغلقة وأساليب العرض المختلفة مثل Over head projectors والزيارات العلمية إلى جانب الأساليب التقليدية كالسبورة واللوحات) هذا مع تزويد المدارس بمكتبات تضم كتباً تراعي المرحلة العمرية للتلاميذ مع تشجيع التلاميذ على القراءة من خلال مسابقات وأساليب مختلفة .

ثامناً : الاهتمام بالمباني المدرسية حسب المواصفات التربوية السليمة.مثال هذا

إتساع حجرات الدراسة مع مراعاة شروط الاضاءة والتهوية والبعد الكافي بين مواقع جلوس التلاميذ . . وتوافر الأفنية والملاعب اللازمة وحجرات المختبرات والمكتبات والأنشطة المختلفة . . . الخ.

تاسعاً : إيجاد ربط فعّال بين المدرسة والبيئة من خلال الصلة الدائمة بين أولياء أمور الطلاب وإدارة المدرسة ومدرسيها (في شكل مجلس الآباء والمعلمين ومن خلال إشراك أولياء الأمور في برامج النشاط المدرسي ومن خلال الندوات والمحاضرات العامة . . .) ويكمن الهدف في إزالة ما قد يكون هناك من صراع في القيم والسلوك بين ما يدرس في المدرسة وما يمارس داخل المنزل ومتابعة التلاميذ داخل وخارج المدرسة وحث وتوجيه أولياء الأمور لأنسب الأساليب التربوية خاصة في ظل النسبة العالية من أمية أولياء الأمور في العالم العربي والإسلامي.

عاشراً : يجب على المدرسين استخدام أنسب أساليب التقويم والقياس سواء بالنسبة لهم ـ لمعرفة مدى كفاءتهم في التدريس ـ أو بالنسبة لتلاميذهم لمعرفة مدى تحصيلهم الدراسي ومدى التغير الذي حدث في سلوكهم نتيجة أنشطة المنهج ، وهناك عدة أنواع من الاختبارات مثل اختبارات التحصيل ـ سواء اختبار المقال Essay like questions أو الاختبارات الموضوعية Objective tests وهناك الاختبارات المقننة Standerdized * ، وهناك اختبارات الذكاء التي تساعد المدرس

---

* اختبارات المقال هي التي يطلب فيها الى التلاميذ كتابة مقال حول موضوع معين من موضوعات الدراسة ، مثل ـ عرف مفهوم التربية وأهم أهداف التربية الاسلامية ـ وأهم خصائص هذا النوع من الاختبارات قيام التلميذ بتنظيم إجابته بنفسه بدلاً من التعرف عليها من عدة إجابات ، كما أنها تتيح الفرصة للتلميذ للتعبير الذاتي واستخدام ألفاظه وكلماته في الاجابة ، وعادة ما يتألف من أسئلة قليلة ولا يشمل المنهج كله إلى جانب أن تصحيح الاجابات قد يتأثر بعوامل ذاتية ويحتاج التصحيح الى وقت طويل وهذه الخصائص الأخيرة تعد من أهم عيوب اختبار المقال ، غير انه من الممكن التغلب عليها من خلال تحديد العمليات العقلية التي يستهدف الاختبار الكشف عنها ، وصياغة عبارات السؤال بطريقة تبرز قدرة التلميذ على اختيار المعلومات والأفكار وتنظيمها وتطبيقها ، وأن تكون الأسئلة واضحة ليس فيها أي غموض وأن تشمل أغلب المقرر ، وتحديد العناصر المطلوبة في الاجابة وتقسم الدرجة المخصصة للاختبار عليها من أجل تحقيق أكبر قدر من الموضوعية في التصحيح. أما الاختبارات الموضوعية فهي كثيرة ولكنها تشترك في خاصية واحدة وهي وجود إجابة واحدة صحيحة لكل سؤال ، وهذه الاجابة تحدد وقت إعداد الاختبار ويشير مصطلح الموضوعية الى طريقة تصحيح الاجابات ، وفيما عدا ذلك تخضع لعنصر الذاتية. وتمتاز الاختبارات الموضوعية بعدة خصائص أهمها أنها يمكن أن تغطي=

على التعرف على المستوى العقلي لكل تلميذ وبالتالي تساعده على توفير الخبرات التعليمية المفيدة لكل تلميذ ، إلى جانب أنها تساعد المدرس على التنبؤ بمدى استعداد كل تلميذ للتعلم والصعوبات التي يحتمل أن تواجهه وقدرته على التصرف في المشكلات التي قد تعترضه ، وهناك اختبارات الشخصية منها مقاييس الشخصية وهي هامة للمدرس ، فالمدرس لا يهتم فقط باعطاء التلاميذ معلومات ، وإنما يجب عليه أن يحرص على إحداث تغيرات هادفة في جميع جوانب النمو عند التلميذ ومنها الجوانب الشخصية مثل الخلق والتوافق الشخصي والاجتماعي والجوانب المزاجية والاهتمامات والاتجاهات الاجتماعية . . ويمكن للمدرس أن يتعرف على اهتمامات التلميذ من خلال تطبيق استخبارات محددة مثل سؤال التلاميذ عن أنواع النشاط التي يقومون بها أو المواد التي يرغبون في دراستها ، أو المشكلات التي يودون مناقشتها . وهناك قوائم معدة لتقدير اهتمامات التلميذ منها قائمة « سترونج » Strong لتقدير الميول المهنية ، وتتضمن ٤٠٠ مفردة مقسمة إلى أقسام محددة مثل أنواع الأعمال التي يميل إليها ، والأنشطة التي يحب التلميذ القيام بها . . . وتكون الإجابة بوضع علامة أمام احتمالات الإجابة الموجودة أمام السؤال ـ أفضلها ـ لا أفضلها ـ غير متأكد . وهناك قائمة « كيودر » Kuder وتتألف من مجموعات من العبارات ، تحتوي كل مجموعة على ثلاثة اختبارات ومثال ذلك :

أذهب للتنزه مشياً على الأقدام ـ إذهب لحضور حفلة موسيقية ـ أذهب لمشاهدة معرض للاكتشافات الحديثة .

ويطلب من التلميذ بالنسبة لكل مجموعة أن يضع علامة أمام العمل الذي يود

= الكثير من جوانب المنهج ، وتتطلب وقتاً قصيراً للاجابة ، ويمكن تصحيحها بسهولة ولا تتطلب خبراء في التصحيح ، ولا تتأثر عملية التصحيح بالعوامل الذاتية ، كما لا تتأثر بخط التلميذ أو حسن ترتيب إجابته ، غير أنها لا تخلو من العيوب أهمها انها تحتاج الى خبرة خاصة في الإعداد وقد تحتوي على عبارات غامضة ولا تشجع الطلبة على الابتكار وتعجز عن قياس قدرة التلاميذ على اختبار المعلومات المناسبة وتنظيمها . ومن أهم نماذج الاختبارات الموضوعية ـ اختبار الصواب والخطأ ، اختبار الاختيار من متعدد Mulli choice Questions وتكميل الجمل Sentence Completion ، واختبارات المقابلة ، والاختبارات المقننة وهي نوع من الاختبارات الموضوعية يراعى فيها أن تكون لها قدرة في التمييز بين التلاميذ ، ومعنى انها مقننة أن محتوى الاختبار واحد للجميع وليس فيها أسئلة إختيارية وزمن الاجابة محدد وتصحح الاجابات باستخدام معايير موحدة .

القيام به أو الذي يفضله أكثر ، والعمل الذي يفضله أقل، الأمر الذي يكشف عن مجال اهتماماته Sphere of Intrests . وتساعد معرفة اهتمامات الطلاب في توجههم مهنياً وتربوياً واجتماعياً وتفيد في مجال الإرشاد النفسي . وإذا كان من أهداف المدرسة الحديثة تنمية الاتجاهات الدينية والوطنية والاجتماعية المرغوبة عند الطالب ، فمن المناسب أن يقيس المدرس اتجاهات التلاميذ نحو القضايا التربوية المرغوبة عند دخولهم للمدرسة ثم يقيسها بشكل دوري لتقييم مدى نجاح العملية التربوية في غرس الاتجاهات والقيم المرغوبة في نفوس التلاميذ ، وهناك أنواع كثيرة من مقاييس الاتجاهات (كاختبار ليكرت وبوجاردوس . .) وتتألف استفتاءات الاتجاهات من مجموعة من العبادات التي تدور حول الاتجاه المطلوب قياسه ، ونطلب من كل تلميذ أن يضع علامة أمام الرأي الذي يراه أصوب . فإذا ما حاولنا استطلاع اتجاهات الطلبة نحو متابعة الدراسة العليا مثلاً نضع أمامهم عدة بدائل مثل :

- أعتقد أن متابعة الدراسة الجامعية ضرورية جداً من أجل الثقافة والوصول إلى مهنة محترمة .
- أعتقد أن الدراسة الجامعية ترف غير ضروري وإن كانت تفيد الانسان .
- أعتقد أن الدراسة الجامعية مضيعة للوقت ولا فائدة منها .
- يجب على الانسان أن يتجه بعد الدراسة الثانوية لممارسة الحياة العملية .

وهناك بعض المواد الدراسية تتطلب تنمية بعض المهارات عند التلاميذ مثل مواد العلوم - طبيعة وكيمياء - والتربية النسوية والتربية الفنية والتربية الرياضية والخرائط . . . وهنا يمكن للمدرس أن يستخدم اختبارات الأداء والملاحظة وتقدير مدى اكتساب التلاميذ لهذه المهارات من خلال تكليفهم بأداء أعمال محددة وملاحظتهم .

وتفيد الاختبارات في قياس تحصيل التلاميذ ، وتقييم دور المدرسة في إكسابهم الاتجاهات والأخلاق والقيم المطلوبة ، وتغيير سلوكهم في الاتجاه المرغوب فيه دينياً واجتماعياً ، وتشخيص جوانب القوة والضعف عند التلاميذ وعند المدرس نفسه ، إلى جانب زيادة دافعية الطلبة وحفزهم على الاستذكار من أول العام الدراسي ولهذا يجب أن تكون الامتحانات دورية على مدى العام وأن يكون الطلبة على وعي

بمواعيدها والموضوعات المطلوب اختبارهم فيها . وكما أن الامتحانات تفيد في تقييم الطلاب فإنها تفيد المدرس في تقييم نفسه وعائد جهده ومدى التقدم الذي يحرزه في تحقيق أهداف المنهج ويمكن أن تسهم في أن يغير طريقة التدريس أو يركز على بعض الموضوعات .

ومن أهم خصائص التقويم الجيد المشمول حيث يجب ألا يقتصر التقييم على التحصيل الدراسي بالمعنى الضيق وإنما يجب أن يمتد ليشمل جميع أهداف المنهج بالمعنى الشامل (المعارف والمهارات والأخلاق والاتجاهات والسلوك . . .) . كذلك يجب أن يتسم بالاستمرار بمعنى أنه يجب أن يصبح جزءاً من الخطة العامة للتدريس لأنه يهدف إلى تقييم التلاميذ على مدار السنة ، وتحسين العملية التعليمية . ويجب أن يكون التقويم عملية تعاونية يشارك فيها كل من يؤثر في العملية التربوية ويتأثر بها ولا تقتصر على جانب المدرس وحده أو الموجه التربوي أو إدارة المدرسة ، بل توضع خطة التقويم وتنفذ بحيث يتعاون هؤلاء جميعاً على تنفيذها ويكون للمدرس دور هام فيها ، كما تكون هناك فرص للتقويم الذاتي من جانب التلاميذ . ويجب أن يراعى في التقويم أن يترك أثراً حسناً في روح التلاميذ المعنوية فلا يسبب لديهم الضيق أو اليأس ويجب أن يتخذ التقييم كوسيلة لتحسين أحوال التلاميذ وتحسين العملية التعليمية وعلاج أوجه الضعف وليس كغاية في حد ذاته[٨] .

حادي عشر : ويجب على المدرسة الحديثة أن تهتم بنظام البطاقات المجتمعة Cumulative - Records حيث يحتفظ لكل تلميذ ببطاقة شاملة يدون فيها موجز عن تاريخه المدرسي والأسري ومستواه الدراسي ومستوى ذكائه ومعلومات هامة عن أهم ميوله وقدراته ومهاراته واستعدادته وعاداته السلوكية وخصائصه الانفعالية وموقفه من العمل الفردي والعمل الجمعي وحالته الصحية وبيئته المنزلية من حيث مستوى الأسرة الاقتصادي والثقافي وعدد أطفالها وترتيب التلميذ بين أخوته وعلاقته بهم وبالوالدين ومختلف نتائج التقويم التي يقوم بها المدرس . وهذه البطاقة تكشف عن أثر المنهج المدرسي في نمو التلميذ ،ويختلف حجم هذه البطاقة فقد تصل إلى أكثر من ثلاثين صفحة ، وهي تنتقل مع التلميذ من روضة الأطفال إلى نهاية المدرسة الثانوية ، وانتقال هذه البطاقة مع التلميذ من صف إلى صف ومن مدرسة الى مدرسة

تجعلها إحدى الوسائل الأساسية والموضوعية التي تسهم في تتبع حالة التلميذ وتقويمها بصفة مستمرة . وهذه البطاقة تكون سرية لا يطلع التلاميذ ولا حتى أولياء الأمور حتى لا يساء فهمها وحتى لا تستخدم استخداماً يسيء إلى التلميذ . وهذه البطاقة - إن أحسن استخدامها تعد هي الأساس الموضوعي الأول في كافة أنواع التوجيه - التعليمي والتربوي والنفسي والمهني للطالب .

ثاني عشر : ويجب أن يكون الهدف النهائي من التربية والتعليم - من المنظور الإسلامي - إعداد الانسان الصالح - الذي يؤمن بربه ويراقبه في السر والعلن ويسلك السلوك الإسلامي القويم ويؤمن بالعمل ويؤهل له ويستطيع أن يكون لبنة صالحة في مجتمعه . والانسان الصالح لا يقاس بمعايير الأرض - اللون أو الثراء أو الطبقة . . . - لكنه يقاس بمعيار الهي عالمي هو التقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (الحجرات ١٣). وهو الذي يعبد الله ويهتدي بهديه « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات ٥٦) . وليس المقصود بالعبادة أداء المناسك التعبدية المحدودة وإنما تمتد لتشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها وكل عمل وكل فكرة ونية وشعور فالعبادة هي التوجه بكل نشاط حيوي إلى الله واتباع ما يرضيه سبحانه والابتعاد عما يغضبه . والهدف الأسمى للتربية إعداد الانسان لاتباع هدى الله سبحانه « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » البقرة ٣٨. وأداء وظيفته الكبرى التي خلق من أجلها وهي الخلافة عنه سبحانه « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً » (البقرة ٣٠) . وقال تعالى « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » (الاسراء ٧٠) . . . وشرط الاستخلاف هو العمل بمقتضى هذا التكريم الإلهي فلا يهبط الانسان عن مستوى الإنسانية ولا يتنازل عن الأفضلية التي فضله بها الخالق سبحانه ، فينشط في عمارة الكون بما يوحيه حمله في البر والبحر ورزقه من الطيبات ويجب أن تستغل المؤسسات التربوية هذه الطاقات الممنوحة له في كل اتجاه ولكن على المستوى الكريم الرفيع في حدود تقوى الله وفي إطار المنهج الالهي الكريم[٩] .

موقف الإسلام من قضية التحديث التربوي

يركز الإسلام في منهجه التربوي القويم على عدة أمور أهمها ما يلي:

أولاً : تنظيم عبادة الانسان لله سبحانه وتعالى والانسان المنتصر في نظر التربية الإسلامية هو الذي لا يستعبد إلا لربه سبحانه وتعالى ، وهذه العبودية لله تحقق له العزة والكرامة الكاملة في الحياة الدنيا وتحقق له الفلاح والفوز بالجنة ورضوان الله في الآخرة .

ثانياً : تحقيق توازن الانسان نفسياً وجسمياً وعقلياً واجتماعياً (وهو ما يطلق عليه الآن مفهوم التوافق الشخصي والاجتماعي Personal and Social Adjustment) بحيث يقوم هذا التوازن أو التوافق على ركيزة ثابتة وصادقة وهي ركيزة الايمان بالله وتطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » (البقرة ١٤٣) .

ثالثاً : تنظيم علاقة الفرد بالمجتمع في إطار مبادىء الشريعة الإسلامية التي تقوم على الشورى وإقامة العدل (سياسيا) وعلى العمل والانتاج (اقتصادياً) وعلى الأسرة الصالحة (اجتماعيا) وعلى الآداب والأخلاق الفاضلة (أخلاقياً) . . .

رابعاً : إن الانسان حي في الدنيا وصائر حتماً إلى الموت والى الحساب في الآخرة فإما الى الجنة وإما إلى النار حسب أعماله في الدنيا . وهو له متطلباته البشرية في الحياة الأولى ، وهو لهذا يحتاج إلى الشريعة كي تنظم له أموره ومجتمعه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعقائدياً . . . . غير أن حياته في هذه الحياة الدنيا قصيرة و يجب أن يبتغي فيما آتاه الله الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا. يقول تعالى « وَٱبْتَغِ فِيمَآءَاتَاكَ ٱللهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلأَرْضِ إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ » (سورة القصص آية ٧٧) . ويعالج الإسلام الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه ، يعرف حدود طاقاته كما يقدر مطالبه وضروراته « لاَ يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا » (البقرة ٢٨٦) ويقول تعالى « فَـاتَّقُوا ٱللهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ » (التغابن ١٦) ، ويعرف ضعفه أمام المغريات « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ » (آل عمران ١٤) ، ويعرف ضعفه

أمام التكاليف « يُرِيدُ ٱللهُ أن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ ٱلإِنْسَانُ ضَعِيفاً » (النساء ٢٨) . فالإسلام يساير الفطرة في واقعها ولا يفرض على الانسان من التكاليف ما يعجز عنه « هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج ٧٨) ويقول تعالى « كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ » .

خامساً : يريد الله سبحانه وتعالى للانسان أن يكون قوياً إيجابياً فعالاً وأن يعمل ويجتهد ويعمل عقله وفكره ونظره في الكون من أجل عمارة الأرض وتنميتها بكل ما فيها من مظاهر طبيعية هي من خلق الله سبحانه ، «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا في ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ » (الجاثية ١٣) وهو سبحانه يريد الانسان الفعَّال لدرجة أنه ربط تغييره سبحانه لواقع البشر بجهد البشر أنفسهم لتغيير أنفسهم « إِنَّ ٱللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوْا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » (الرعد ١١) . ويجب على الجهود التربوية أن توجه طاقة الانسان وإيجابيته وجهوده فيما يحقق رضاء الله سبحانه ويحقق الخير للانسان وللمجتمع يقول تعالى « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله » (آل عمران ١١٠) ويحذر الإسلام من توجيه هذه الطاقة إلى الشر أو إلى الطغيان بكل صوره وأشكاله حفاظاً على الانسان وعلى المجتمع .

سادساً : يؤمن الإسلام بالتطور نتيجة الاختراعات والاكتشافات والتقدم التكنولوجي سواء في المجال المادي (الآلات) أو في المجال الاجتماعي (أساليب للتخطيط والادارة والتنظيم ـ في المدارس أو المصانع . . .) غير أن هذا التطور يجب أن يرتكز وينبثق من الايمان الكامل بالله ويجب أن يتجه لتحقيق كل ما يرضى الله سبحانه ويحقق الخير للانسان في الدنيا وفي الآخرة معاً ، ولا عبرة للحضارة المادية التي تهتم بالمظهر وتهمل الجوهر والمبدأ الايماني الحقيقي ، ويجب أن يتجه التطور المادي نحو دعم الجانب الايماني عند الانسان ، فإذا استحوذ الانسان على كل أساليب التقدم المادية وفشل أن يحقق المبادىء الايمانية في نفسه فكراً وسلوكاً فهو متخلف في نظر الإسلام ، لأنه يكون في هذه الحالة كالأنعام يأكل ويشرب ويتمتع كما تتمتع الأنعام أو هو أضل سبيلاً .

سابعاً : ظهر النموذج الأول للمدرسة الإسلامية في عهد الرسول عليه

الصلاة والسلام ، وكان الأستاذ هو الرسول عليه الصلاة والسلام وكان الصحابة هم التلاميذ وكانت غاية هذه المدرسة إقرار مبادىء الله في الدنيا والفوز برضاء الله في الآخرة.

فالإسلام إذن لا يحارب التحديث في أي مجال - تربوي أو اقتصادي أو اجتماعي . . . طالما أنه لا يتعارض مع مبادىء الإسلام الأساسية وطالما أنه موجه لما يفيد الانسان في الدنيا أو الآخرة . فاستخدام أساليب أفضل في مناهج الدراسة وأساليب التدريس وتطوير الكتاب المدرسي شكلاً ومضموناً واستخدام أجهزة التلفزيون في قاعات الدرس واستخدام وأساليب أحسن في التقويم . . . الخ . أمر يتفق مع مبادىء الإسلام بشرط اتساقها مع مبادىء الشريعة والمتطلبات الايمانية ، والإسلام يرفض أساليب التحديث التي تتعارض مع هذه المبادىء والمتطلبات كما هو الحال بالنسبة لمبدأ التعليم المختلط Co-Education أو التركيز على الجوانب المادية وإهمال الجوانب الايمانية أو التحريف في مبادىء الشريعة . . . الخ .

مصادر الفصل الرابع

١) يمكن للباحث أن يرجع إلى دراسات المؤلف التالية
- التنمية والتحديث الحضاري: الجزء الأول والجزء الثاني - الجبلاوي - القاهرة ١٩٧٥
- علم اجتماع التنمية : الدار القومية للطباعة والنشر - الاسكندرية ١٩٧٤ .
- بناء القوة والتنمية السياسية : الدار القومية للطباعة والنشر - الاسكندرية سنة ١٩٧٦ .

٢) ارجع إلى وهيب سمعان : الادارة التعليمية بين آثار الماضي ومطالب المستقبل في البلاد العربية - حلقة الادارة التعليمية في البلاد العربية - طرابلس - ليبيا سنة ١٩٧٣ ، فرنسيس عبد النور : تقويم دور الادارة المدرسية في تطوير منهج المرحلة الثانوية - كلية التربية - أسيوط ١٩٧٥ ص ١٥ .

3) Moore, Wilbert E.: Social Change: Prentice Hall 1963 pp. 89-90.

4) Larson, O. and Rogers, E.: Rural Society in transition: The American setting in Copp ,J. (ed) Our Changing Rural Society: Iowa State University Press 1962 p. 41.

5) Heilbroner, R.L.: The Future as History Harper: 1960 pp. 70-75.

6) Gillespie, J.: Free expression in Industry London — The Pilot Press Ltd 1948 pp. 80-90.

7) Fromm, Eric: The Sane Society. London. Routledge and Kagan Paul 1963 pp. 120-125.

٨) لمعرفة المزيد حول قضية التقويم التربوي ارجع الى

Thorndike, Robert L. and Hagen, Elezabeth: Measurement and evaluation in psychology and Education. N.Y. John Wiley 1955.

وارجع إلى كتاب د. عبد اللطيف ابراهيم : المناهج : أسس تنظيمها وتقويم أثرها - مكتبة مصر - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ص ٦٤١ - ٦٨٥

٩) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية - دار الشروق - الطبعة الثانية ص ١٤ - ١٧ .

الفصل الخامس

أهمّ اتجاهات الفكر التّربوي في العالم العربي

١ ـ مقدمة
٢ ـ أولاً : الاتجاه النفسي في الفكر التربوي
٣ ـ ثانياً : الاتجاه العلمي في الفكر التربوي
٤ ـ ثالثاً : الاتجاه الاجتماعي في الفكر التربوي
٥ ـ رابعاً : الاتجاه البراجماتي أو العملي في الفكر التربوي

مقدمة

يستطيع المتتبع للفكر التربوي في العالم الغربي أن يلمح عدة اتجاهات متصارعة متناقضة اعتباراً من الحضارات الإغريقية والرومانية ـ القديمة حتى العصر الحديث . وقد تأثرت هذه الاتجاهات بعدة متغيرات يمكن أن يكشف عنها منهج علم اجتماع المعرفة Sociology of Knowledge ، لعل أهمها جذور الثقافات الأوروبية القديمة والتي تمتد إلى الحضارة الإغريقية ، والفكر المسيحي والكنسي الذي سيطر ـ جنباً إلى جنب مع بعض جوانب الثقافة الإغريقية ـ على أوروبا خلال العصور الوسطى ، كما تأثر بحركة نقل التراث الإسلامي والتقدم العلمي الذي حدث في عصر النهضة الأوروبية وعصر التنوير الأوروبي ، هذا إلى جانب تأثره الواضح بطبيعة البناء الاجتماعي للمجتمعات الأوروبية ونظمها وما حدث من تغيرات اجتماعية وحضارية عليها بفعل عدة عوامل كالثورة الصناعية وحركة الكشوف الجغرافية وظهور المدن وحركة الاستعمار الأوروبي . . . . الخ .

وسوف لا نتناول جميع اتجاهات الفكر التربوي الأوروبي على مدى تاريخه القديم والوسيط والحديث لأن هذا الأمر يستحق دراسة مستقلة كبيرة الحجم ، لكننا سنكتفي هنا بعرض أهم اتجاهات الفكر التربوي التي ما زالت تؤثر في الحركة التعليمية والتربوية في أوروبا والتي تعد محصلة للقرن الماضي والحاضر بشكل مكثف ، وإن ظلت تأثيرات الاتجاهات السابقة باطنا داخلها ، ذلك لأن الحركة الفكرية مستمرة متعددة الأبعاد والعوامل والمتغيرات .

أولاً : الاتجاه النفسي في التربية

برز هذا الاتجاه بشكل واضح في أعمال بعض رواد الفكر التربوي خلال القرن التاسع عشر مثل « جون هنري بستالوزي» J.H. Pestalozzi العالم السويسري الجنسية و« جون فريدريك هربارت » J.F. Herbart العالم الألماني الجنسية وغيرهما[1] .وأبرز خصائص هذا الاتجاه الايمان بأن عملية التربية عملية صناعية Artificial يدرك الفرد من خلالها أفكار السابقين وتراثهم ، لكنها عملية نمو طبيعية Natural Growth تنبثق من الباطن وتتضمن إعطاء الفرصة أمام الاستعدادات والقدرات الفطرية لدى الفرد للتعبير عن نفسها واستثمارها . والواقع أن هذه الفكرة ظهرت عند أنصار المذهب الطبيعي في التربية (الذي تزعمه جان جاك روسو) وإن كان الاتجاه النفسي قد عبر عن هذه الفكرة بأسلوب أكثر إيجابية حيث جعل من عملية التربية عملية إيجابية في حياة الفرد وليست مجرد عملية سلبية كما فعل أنصار المذهب الطبيعي .

ـ وقد حاول أنصار الاتجاه النفسي في التربية التوفيق بين مبدأ الميل أو الاهتمام ـ بمعنى ضرورة مراعاة ميول التلاميذ واهتماماتهم خلال العملية التربوية ـ وهو شعار التربية الحديثة في أوروبا ، وبين مبدأ بذل الجهد ، أي أنه يجب على الفرد أن يبذل جهداً كبيراً حتى يتعلم بغض النظر عن ميوله واهتماماته وقد كان هذا المبدأ الأخير هو شعار الأساليب القديمة للتربية .

ـ كذلك فقد أكد أنصار الاتجاه النفسي في التربية على العلاقة الوثيقة بين العمليات النفسية والعمليات الجسمية خلال عملية التربية (هربارت) . وقد أكد « هربارت » على الجانب الأخلاقي في التربية وجعل من الفضيلة الهدف الأساسي للتربية . ويؤكد هذا المفكر وغيره من أنصار الاتجاه النفسي أن التربية هي عملية نمو لشخصية الفرد أو هي ـ كما يذهب « بستالوزي » عملية النمو المتزن المنسجم لجميع قوى الفرد . فهم يدعون إلى ضرورة تنمية الشخصية المتكاملة مع تحقيق التوازن بين الأهداف الفردية (حاجات الفرد الشخصية) والأهداف الاجتماعية للتربية (حاجات المجتمع إلى النظام والعمل والالتزام . .) . كذلك فهم يؤكدون أهمية التربية في إصلاح المجتمع .

وقد كانت لهم آراء في المنهج الدراسي وطرق التدريس وأساليب تدريب المدرسين أوجزها فيما يلي : -

أولاً : يجب أن تسير عملية التربية الصحيحة حسب القوانين الطبيعية لنمو الطفل بدلاً من أن تكون مناقضة لها ومعوقة لنموها . والتربية هي عملية النمو العضوي الكامل لكل ملكات الشخص وقواه الجسمية والعقلية والخلقية . ويكمن جوهر نظرية بستالوزي في مبدأ النمو العضوي . وقد توصل بستالوزي إلى قوانين النمو العضوي ، وللنمو العضوي البشري عنده ثلاثة جوانب هي الجانب العقلي الذي يتحقق نتيجة لاحتكاك الفرد بالبيئة المحيطة به وخبرته ، والمظهر الثاني يتمثل في النمو الجسمي الذي يتمثل في النشاط الحركي الذي ينبثق عن حاجات الفرد الداخلية ، أما المظهر الثالث فهو المظهر الأخلاقي الذي يتعلق بعلاقة الانسان بربه وبغيره من البشر. وقد أطلق بستالوزي على هذه المظاهر الثلاثة : الرأس واليد والقلب ويجب الاستفادة من قوانين النمو في مختلف التطبيقات التربوية وأن تنمي كوحدة لأن التربية عنده هي نمو جميع قوى الانسان وملكاته نمواً طبيعياً تقدمياً منسجماً[٢] . وعلى الرغم من إيمانه بالتوازن بين هذه القوى الثلاثة إلا أنه يتفق مع « كانت » و« شيلر » في أن أهم هذه الجوانب الجانب الروحي والأخلاقي . وهدف التربية عنده يتمثل في تحقيق الشخصية المتكاملة القادرة على تكوين علاقات طيبة مع الخالق سبحانه ومع الآخرين من أبناء المجتمع . ويتفق « هربارت » مع بستالوزي في أن التربية هي عملية بناء الأخلاق وتكوين الشخصية المتكاملة النمو ، ويشير إلى مرونة الإنسان وقابليته للتشكيل حسب طبيعة ثقافة مجتمعه ، والتعليم هو أنجح الوسائل لهذا التشكيل . ويتفق « هربارت » مع بستالوزي إلى حد كبير حيث يؤكد أن العملية التربوية يجب أن تركز على تدريب جميع قدرات التلاميذ بالأساليب التي حددها في نظريته والتي تعتمد على مبدأ الترابط أو مراعاة الانتباه الترابطي Apperceptive attention ، ومبدأ الميل والاهتمام Interest . وهدف التربية النهائي عنده هو تحقيق النمو الكامل المنسجم للفرد All - Round - Development أو كما يعبر عنه « هربارت » أحياناً بتنمية الاهتمام المتعدد الجوانب Many-Sided Interest ويوضح الباحث المذكور أن هناك ستة أنواع من الميول والاهتمامات التي يجب

تنميتها من خلال التربية تحقيقاً للنحو المتكامل لشخصية التلميذ ، يصنفها في قسمين أساسيين هما[٣] .

أ : الإهتمامات والميول المعرفية والعقلية Knowledge Interests التي تنجم عن الإحتكاك بالعالم الطبيعي .

ويتدرج تحتها ثلاثة ميول أساسية هي :

١ ـ الميل الخبري أو العملي Emperical المتمثل في الاهتمام بجمع الحقائق والأشياء الغريبة النادرة الذي يوجد لدى علماء الأحياء والآثار . . . فمن يهتمون بجمع الحقائق وشرحها وتحليلها .

٢ ـ الميل العقلي أو المنطقي Speculative المتمثل في الميل إلى رؤية الحقائق مرتبطة بالقوانين العامة ، مثل الميل الذي يوجد لدى طالب المنطق والرياضيات

٣ ـ الميل الجمالي Aesthetic ، وهو الميل النابع من التأمل في الأشياء الجميلة كالميل إلى التأمل في الأشكال المنحوتة أو في القصائد الشعرية أو غير ذلك من الأمور الفنية الجميلة (قصة ـ رسم . . .)

(ب) : الاهتمامات الاخلاقية والاجتماعيةSocial and Ethical Interests التي تنبثق عن التفاعل والاحتكاك الاجتماعي،ويندرج تحتها ثلاثة ميول رئيسية هي :

٤ ـ الميل إلى المشاركة الوجدانية والتعاطف مع الآخرين Sympathetic Interest

٥ ـ الميل الاجتماعي Social Interest المتمثل في الميل إلى الحياة المدنية والوطنية خاصة في أشكالها المنظمة .

٦ ـ الميل الديني Religions Interest الذي يتمثل في ميل الناس إلى التعلق بالذات العليا أو الله سبحانه وتعالى .

ويتضح من هذه الآراء أن هربارت يصبغ الهدف من التربية بصبغة أخلاقية .

ثانياً : نادى أنصار هذا الإتجاه (بستالوزي) تصنيف المناهج الدراسية ـ

حتى في المرحلة الابتدائية العامة ـ إلى مراحل تقابل مراحل النمو التي يمر بها الطفل في حياته ، وقد طبق هذا في المدارس الابتدائية التي كان يشرف عليها حيث قسم منهجها إلى قسمين أساسيين ، يطبق الأول في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية بينما يطبق الثاني في الصفوف النهائية . وقد نادى المفكر المذكور أن يكون ترتيب مواد الدراسة متمشياً مع ترتيب ظهور قوى الطفل ودرجة نمو هذه القوى في كل فترة ، كذلك أكد على ضرورة تضمن هذا الترتيب الانتقال من البسيط إلى المركب ، ومن الأسهل إلى الأشعب ، ومن المحسوس إلى المعقول ، ومن الخاص إلى العام . . . الخ.وهذا الترتيب يعد في جوهره تطبيقاً عملياً لقوانين النمو البشري . ويؤكد بستالوزي أن التعليم العام الذي ينمي الخصائص العامة للمتعلم يجب أن يسبق التعليم المعد لتنمية المهارات الخاصة . وقد ركز على السنوات الأولى في التعليم إيماناً منه بأنه كلما كانت البدايات قوية وصحيحة زادت كفاءة المراحل التالية من التعليم . وخير ما نبدأ به في تربية الطفل هو تدريب حواسه على الإدراك الحسي الدقيق ، لأنه عن طريق الاحساس المباشر بالأشياء والإدراك الحسي لاشكالها يمكن للطفل أن يكون بعض الأفكار عن خصائصها العامة وينمي بالتالي ثروته اللغوية ، وعن طريق ملاحظة الأشياء والتعامل بالأشكال المجسمة المحسوسة تنمو لدى الطفل القدرة على القياس التي تعد الأساس الأول لتعلم الحساب والرسم والهندسة . وهذا يعني أن بستالوزي كان يربط العملية التعليمية وجميع مواد المنهج الدراسي وخاصة خلال السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية بالأشياء المحسوسة والخبرات الحسية ، وكان يؤكد أن المرحلة الدراسية الأولى يجب أن تهتم بالتركيز على ثلاثة جوانب أساسية هي (أ) الشكل (ب) العدد (جـ) الكلمة أو اللغة ، وعلى مواد أساسية هي دروس مشاهدة الطبيعة والجغرافيا والملاحظة الحسية والقراءة والرسم والكتابة والحساب والموسيقى والدين والأخلاق والتدريب اليدوي والألعاب الرياضية ، أما المواد الأخرى كالتاريخ السياسي مثلاً فكان يرى أنه مما لا يتصل بخبرات التلاميذ الحاضرة والمباشرة . أما بالنسبة « لهربارت » فقد ذهب إلى أن تحقيق الشخصية الخلقية ذات النمو الكامل والاهتمام المتعدد الجوانب يقتضي توسيع مجال المنهج المدرسي حتى يتصل بمختلف الميول والاهتمامات المراد تنميتها ، ولا بد من ربط عناصر هذا المنهج وتنظيمها بما يسهل هضمها ويساعد التلميذ على النمو

الكامل . ويصنف هربارت المنهج الدراسي إلى مجموعتين هما .

أ ـ مجموعة المواد التاريخية والانسانية اللغوية : ويدخل تحت هذه المجموعة الدين والتاريخ واللغة والأدب والفن ، ومهمتها تنمية الميول والاهتمامات الأخلاقية والاجتماعية .

ب ـ مجموعة المواد العلمية : ويدخل تحتها دراسة الطبيعة والجغرافيا والرياضيات وتستهدف هذه المجموعة تنمية الميول المعرفية العقلية وتمكين الفرد من معرفة قوى الطبيعة المحيطة به .

ويعلي هربارت من شأن المجموعة الأولى لأنها أكثر تأثيراً على نمو الأخلاق الذي هو هدف التربية الأساسي عند ذلك المفكر ، غير أنه لا ينكر أهمية المواد العلمية وواجب الانسان عند هربارت معرفة نفسه ومعرفة الطبيعة التي يوجد وسطها معاً . ومع هذه المواد والدراسات التاريخية والعلمية يجب أن تسير جنباً إلى جنب الأنشطة والخبرات العملية المتصلة بها . ويجب أن يتضمن المنهج خبرات يدوية ويجب ألا ينظر إلى التدريب على أنه يعد لمهنة فقط ذلك لأنه وثيق الصلة بالعلم ويربط بين الفهم والإلمام بحقائق الطبيعة والأغراض البشرية . وهناك مجموعة من المبادىء الأساسية التي يجب أن تراعى عند تصميم المنهج الصالح نوجزها فيما يلي :

(أ) : مبدأ الارتباط Correlation الوثيق بين كل مادة والمواد الأخرى في نفس المنهج على مستوى السنة الدراسية .

(ب) : مبدأ التتابع Sequence والتدرج الذي يجب أن يتحقق على مستوى كل مادة خلال السنوات الدراسية المتتابعة .

(جـ) : مبدأ التركيز Concentration ويعني تركيز الاهتمام الكامل على عمل عقلي واحد أو على فكرة واحدة في المرة الواحدة (تجميع دراسات المنهج حول دراسة عامة واحدة أو موضوع واحد ، موضوع الانسان مثلاً يمكن أن يكون هو الموضوع الذي تجري حوله دراسات نفسية وبيولوجية وتاريخية وجغرافية . . الخ) .

ثالثاً : بالنسبة لطرق التدريس نادى بستالوزي بضرورة البدء بالمدركات الحسية (عند تعليم الأطفال خلال المرحلة الابتدائية وكان هذا هو الشغل الشاغل لبستالوزي) والانتقال من المحسوس إلى المعقول ومن البسيط إلى المركب ومن العام إلى الخاص ومن المجمل إلى المفصل ومن المعلوم إلى المجهول . وهناك جانبان للتربية عند المفكر المذكور ـ جانب سلبي يتمثل في محاولة المربي إزالة العقبات التي تعترض نمو الطفل ، وجانب إيجابي يتمثل في استثارة المتعلم لتدريب قواه المختلفة . وقد أدرك بستالوزي مبدأً على جانب كبير من الأهمية في التربية المعاصرة وهو أن تنمية القدرات أهم من تزويد التلميذ بالمعلومات فمهمة المدرس ليست مجرد تزويد التلميذ بالمعارف والمعلومات ، بقدر مساعدته على تنمية قواه وملكاته العقلية وقدرته على اكتساب المعرفة بنفسه ، إلى جانب ضرورة الربط بين خبرات التلميذ داخل المدرسة وخارجها ، وأن يربط بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي لها ، مع مراعاة أن يكون التعليم مرتبطاً بخبرة الطفل ومتمشياً مع مستوى نموه . ولما كان تعلم الطفل يتأثر بحالته الانفعالية وبالجو النفسي والاجتماعي السائد داخل الموقف التعليمي (الفصل والمدرسة) فقد نادى بضرورة سيادة علاقة الأبوة القائمة على العطف والحب والتعاون بين المدرس والتلميذ جنباً إلى جنب مع سيادة الضبط والحزم من جانب المدرس والادارة المدرسية[٤] . وقد كان بستالوزي من أنصار الطريقة الجزئية (الحروف والمقاطع فالكلمات والجمل) وقد اعترض أنصار الجشتلط على هذا الأسلوب في التعليم على أساس أنه لا يتفق مع طبيعة مرحلة الطفولة التي ركز عليها بستالوزي كل دراساته تقريباً ، حيث تحط المراحل الدراسية ـ بعد الابتدائية ـ منه بعناية تذكر .

وإذا ما انتقلنا إلى الممثل الثاني للحركة النفسية « هربارت » نجده يؤكد أهمية المنهج السليم جنباً إلى جنب مع طريقة التدريس الصحيحة . ويتوقف تحقيق التعلم الصحيح على عمليتين أساسيتين متلاحقتين هما :

أ ـ عملية الامتصاص Absorption وهي تشير إلى استيعاب الأفكار المراد تعلمها.

ب ـ عملية الربط Connection وتحقيق التكامل بين الأفكار الجديدة والأفكار المختزنة في العقل والتي يكون الانسان سبق أن تعلمها .

ومن أجل مساعدة المدرس للتلاميذ على تحقيق العمليتين المذكورتين اقترح أن يقوم المدرس باتباع عدة خطوات في التدريس :

أ ـ خطوة التمهيد Preparation والتي تساعد التلميذ على تهيئة ذهنه لمحتويات الدرس الجديد .

ب ـ العرض Presentation وتتعلق بعرض أو شرح موضوع الدرس الجديد بشكل يمكن التلاميذ من استيعابها مع السير من البسيط إلى المركب ومن الحسي إلى المعنوي .

جـ ـ الربط Association حيث يساعد المدرس التلميذ على تحليل المعارف والخبرات الجديدة وإدراك علاقتها بالخبرات والمعلومات السابق تعليمها .

د ـ تنظيم المعرفة Systematisation أو التعميم Generalization وتتضمن المراجعة والتلخيص والخروج بالأفكار الرئيسية للدرس أو القواعد العامة المستنتجة منه .

هـ ـ أما الخطوة الخامسة فهي تتعلق بالتطبيق والتمرين على المعارف والمهارات والمعارف العامة التي تم اكتسابها من الدرس السابق .

هذه هي أهم ملامح الحركة النفسية في التربية كما تتضح عند أبرز مفكريها . ويمكن القول أن الحركة النفسية التي ظهرت في القرن الماضي تعد امتداداً للحركة الطبيعية في التربية التي تزعمها « روسو » قبل ذلك ، إلا أن الحركة النفسية أكثر تنظماً وواقعية من الحركة الطبيعية حيث أنها اهتمت بالكتاب المدرسي وضرورة توجيه العملية التربوية داخل مؤسسات منظمة إلى جانب الخبرة والتجربة ، هذا إلى جانب محاولة التوفيق بين فكرة الميل والاهتمام وفكرة بذل الجهد ، ومن أهم مميزات هذه الحركة تأكيدها للهدف الديني والأخلاقي للتربية ولو أن مضمون هذا الهدف عند أنصار هذه الحركة يختلف كثيراً عن مضمون الأهداف الإسلامية السامية والتي سنعرضها في الفصل التالي .

ثانياً : الاتجاه العلمي في الفكر التربوي

يمكن للباحث في الفكر التربوي خلال القرن الماضي والحالي أن يدرك أن التربية أصبحت أكثر إدراكاً للطبيعة النفسية والجسمية والعقلية للتلاميذ ، وبدأت تسير بخطى سريعة نحو البناء العلمي حيث أصبحت علماً له أصوله ومبادؤه وطرقه المستمدة من الملاحظة والتجربة والمقارنة (وإن كان هناك من يرى أن التربية - كالخدمة الإجتماعية مثلاً - ليست علم نظري وإنما هي فن تطبيقي يعتمد على منجزات علوم النفس والاجتماع والانسان والحياة ووظائف الأعضاء . . . الخ.) وقد بدأت العملية التربوية تعطي أهمية أكبر في مناهجها لدراسة العلوم الطبيعية والبيولوجية ونتائج الاكتشافات العلمية ، كما توسعت في استخدام الطرق العلمية وأساليب التكنولوجيا التربوية في عملية التدريس وتقويم التلاميذ.

وقد ظهر الاتجاه العلمي في التربية خلال القرن الماضي كرد فعل لعدة متغيرات أهمها التقدم العلمي الكبير والتوسع الهائل في استخدام الطرق العلمية وتطبيق نتائج العلوم الطبيعية والبيولوجية والنفسية في معالجة المشكلات الانسانية في مجال العمل والانتاج والصناعة والزراعة والمواصلات والاتصالات والصحة وغير ذلك من مجالات شملتها التطبيقات العملية لنتائج الدراسات والأبحاث العلمية . يضاف إلى هذا مختلف عمليات التأثير والتأثر بالذات التربوي السابق حيث يمكن النظر إلى الإتجاه العلمي في الفكر التربوي خلال القرن السابق على أنه امتداد للحركة الحسية الواقعية في التربية والتي ظهرت واضحة خلال القرن السابع عشر والتي كان من أكبر دعاتها « بيكون » Bacon و« راتخ » Ratich وكومنيوس Comenius وغيرهم من المربين الذين نادوا بضرورة دعم العلوم الطبيعية في مناهج الدراسة وبتطبيق الطرق الإستقرائية في البحث عن المعرفة وفي طرق التدريس وما زال لهذه الحركة أنصار معاصرون.

كذلك فقد تأثر أنصار الاتجاه العلمي في التربية بالاتجاه الطبيعي الذي ظهر في الدراسة التربوية والذي ظهر خلال القرن الثامن عشر خاصة عند « روسو » الذي أكّد في كتابه « إميل » أهمية دراسة الطبيعة المادية والطبيعة الإنسانية والطبيعة الحيّة

بوجه عام ، وأهمية استخدام الأشياء المحسوسة الطبيعية وطرق المشاهدة والملاحظة المباشرة لظواهر الطبيعة بدلاً من استخدام الكتب والاعتماد على الدراسة النظرية لتراث العلماء السابقين . وقد اعتبر « روسو » الطبيعة المرشد الوحيد للعملية التربوية ، وساهم بشكل واضح في تطوير طرق دراسة الطبيعة وملاحظتها . وكان من نتائج جهوده أن تضمنت مناهج المدارس والكليات دراسة قوى الطبيعة أو البيئة الطبيعية بكل جوانبها ودراسة النباتات والحيوانات(٥) . يضاف إلى هذا كله تأثر الاتجاه العلمي بالاتجاه السيكولوجي أو النفسي وبطبيعة المجتمعات الأوروبية خلال القرن التاسع عشر وتغير اتجاهات الناس نحو الدراسات الكلاسيكية التي كانت تسيطر على مناهج الدراسة في المدارس الثانوية والكليات ، فلم تعد هذه الدراسات وحدها مقنعة للناس أو حتى للتلاميذ لأنها لم تعد تتمشى مع متطلبات العصر ولا مع متطلبات التطورات الصناعية والتجارية والحاجة المتزايدة إلى الكفايات الفنية المتعلمة . وقد اتضح هذا في تقارير لجان تطوير التعليم المختلفة خلال القرن الماضي التي طالبت بالتوسع في دراسة العلوم الطبيعية والبيولوجية وتحسين مناهجها وطرق ووسائل تدريسها مع الاهتمام بدراسة اللغات الحديثة بدلاً من اللغات الكلاسيكية القديمة ، مع الاهتمام بالتعليم الفني والتدريب المهني .

الخصائص الهامة للاتجاه العلمي في الفكر التربوي

يمكن إيجاز أهم خصائص الاتجاه العلمي في الفكر التربوي فيما يلي :

١ ـ الاقتناع الكامل بأهمية العلوم الحديثة في تنمية الحياة الإنسانية والاجتماعية وأن العلوم الحديثة تسهم في تحقيق الرفاهية الفردية ورفاهية المجتمع .

٢ ـ توجيه النقد إلى مضامين وأساليب التعليم القديم الذي يركز فقط على دراسة التراث (الأدب والتاريخ) واللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) وغيرهما والتي لا تمت بصلة إلى حياة الناس ولا إلى مستقبلهم .

٣ ـ الدعوة إلى الاهتمام بالعلوم الطبيعية والبيولوجية في مناهج المدارس والجامعات مع ضرورة تطوير وسائل تدريسها .

٤ ـ تأكيد أهمية الاعتماد على الملاحظة العلمية والمنهج الاستقرائي والاستفادة من هذه المناهج والأساليب في عملية التدريس وتنظيم خبرات المنهج وعرضها.

٥ ـ القول بأهمية مادة الدراسة ومحتواها بالمقارنة بالشكل أو الطريقة التي يتم بها تدريسها، وهم في هذا القول يعارضون أنصار اتجاه التهذيب الشكلي الذين يهتمون بالشكل والطريقة ولو على حساب المضمون ومن أبرز أنصار الاتجاه العلمي ـ عالم الاجتماع البريطاني «هربرت سبنسر» H.Spencer (١٨٢٠ - ١٩٠٣ م) و«جورج كومب» G.Combe وغيرهم. وسوف نعرض لآراء «سبنسر» الذي ينظر إلى عمليتي التربية والتعلم على أنهما وظيفتان طبيعيتان تتمشيان مع قوانين الطبيعة وقوانين النمو، ويرى في الطبيعة خير معلم للانسان ويعتبر التربية على أنها نظام اجتماعي Social Inistitution لا غنى للفرد أو المجتمع عنها. وتأتي حاجة الفرد الانساني إلى التربية من طول الطفولة البشرية وامتداد فترة الاعتماد على الغير. وتستهدف التربية إكساب الفرد الاعتماد على النفس واكتساب ثقافة مجتمعه وإعداده للقيام بوظيفته في الحياة، أو هي العملية التي تعد الفرد لما أطلق عليه الحياة الكاملة. ومن أجل تحقيق هذا الهدف العام من التربية لا بد من توفير أمرين أساسيين ـ لكل تلميذ هما[٦] :

أولاً : الحصول على القدر الكافي المناسب من المعرفة من أجل إعداده على المستويين الفردي والإجتماعي.

ثانياً : تنمية القدرة على استخدام هذه المعرفة والمعيار.

والمعيار الأساسي المعتمد الذي نحكم به على المعرفة هو مدى إسهامها في تحقيق الحياة الكاملة، وأهم الأنشطة التي تسهم في تحقيق هذه الغاية هي ما يلي بإيجاز :

١ ـ أنشطة من شأنها تحقيق الحفاظ على الذات.

٢ ـ أنشطة تسهم في توفير ضروريات الحياة وبالتالي تسهم بشكل غير مباشر في الحفاظ على الذات (التأهيل المهني والاعداد للعمل).

٣ ـ أنشطة ترتبط بتربية الأطفال وتهذيبهم (الاعداد لتكوين أسرة وإعداد الذكور

لممارسة دور الأبوة والاناث لممارسة دور الأمهات الصالحات .

٤ ـ أنشطة تتعلق بتأمين العلاقات الاجتماعية والسياسية المناسبة وتتمثل في إعداد الفرد كي يكون مواطناً صالحاً .

٥ ـ أنشطة تتعلق بالتدريب على كيفية تهذيب الذوق الفني وقضاء أوقات الفراغ .

وهذه هي الأهداف المحورية للتربية عند سبنسر ، ونلاحظ هنا أنه افتقد أهم هدف للتربية وهو غرس العقيدة الدينية فكراً وسلوكاً وتنظيم علاقة الأنسان بربه وخالقه سبحانه .

وإلى جانب هذه الأنشطة الهادفة ، فإن العملية التربوية يجب أن تسترشد بمجموعة من المبادىء ـ عند سبنسر ـ نوجزها فيما يلي : ـ

أولاً : ضرورة مراعاة العملية التربوية لطبيعة الطفل وطبيعة نموه مع ضرورة مشاركة المتعلم في تحديد طبيعة ونوع عملية التعليم وعدم تركها للمدرسين والمجتمع .

ثانياً : يجب الحرص على جعل العملية التعليمية مصحوبة بخبرات سارة بالنسبة للمتعلم ، وأن تتمشى مع استعداداتهم وميولهم .

ثالثاً : يجب أن تستغل العملية التربوية النشاط الذاتي للطفل ، وأن تتيح للتلميذ فرصة التعبير الحر عن نفسه ، فالطفل يتعلم بشكل أفضل عن طريق خبرته ونشاطه .

رابعاً : يجب أن ينظر إلى اكتساب المعرفة على أنه جزء هام من التربية وخير أنواع المعرفة المعارف العلمية التي تمكن الفرد من الحفاظ على حياته وتكسبه المناعة والقوة وتعده لممارسة الأبوة الصالحة وتكوين أسرة ، وتعده لممارسة دور المواطنة الصالحة وتهذب ذوقه الفني* .

---

* من الواضح ان هذا القول وتلك الأهداف جانبها التوفيق لأنها تتعارض بشكل واضح مع أهداف التربية الحقة وهي التربية الاسلامية ، وفي مقدمتها إعداد الانسان الصالح الذي يؤمن بربه وبالملائكة وبالكتب وبالرسل وبالقدر خيره وشره ، ويراقب الله في سره وعلنه ويسلك السلوك الإسلامي القويم أنظر الفصل الخاص بالتحديث التربوي ، والفصل الخاص بالتربية الإسلامية .

خامساً : يجب أن تستهدف التربية تحقيق تنمية العقل والجسم معاً ، كما يجب تهيئة مختلف الظروف المادية اللازمة لتسهيل العملية التعليمية حتى لا يكون هناك إنهاك للعقل أو للجسم .

سادساً : يجب أن تتم العملية التربوية ببطء وبالتدريج وبما يتفق ومقتضيات النمو والنضج وبما يتناسب مع القدرة على الاستيعاب.

سابعاً : يجب استخدام الأساليب الاستقرائية في التدريس ، حيث ينتقل المدرس من الجزئيات إلى الأحكام والقوانين العامة المفسرة ، كما يجب أن يستغل المدرس النشاط الذاتي للتلميذ ويساعده على أن يلاحظ ويستنتج بنفسه .

ثامناً : يجب أن يؤسس النظام العقابي داخل المؤسسات التعليمية على الجزاء الطبيعي ، ويجب أن يحاط بالمشاعر الطيبة - حيث يخلو من روح الانتقام والعنف - وأن تحدد نوعيته في كل موقف حسبما يقتضيه الموقف نفسه .

وقد كان لسبنسر آراء في المناهج حيث هاجم الدراسات الكلاسيكية المتمثلة في اللغات والآداب القديمة لأنها لا تجاري العصر وليس لها فائدة في حياة الناس ، والمنهج الصالح هو ما له قيمة نفعية في حياة الناس . أما بالنسبة لطرق التدريس فهو يتفق في الاطار العام مع أنصار الاتجاه النفسي حيث يجب على المدرس الانتقال من البسيط إلى المركب ، ومن الغامض إلى المحدد ، ومن المحسوس إلى المعنوي ، ومن العملي إلى النظري ومن مستوى الخبرة العملية إلى التفكير العقلي . وأشار إلى ضرورة تحويل العملية التربوية خبرة سارة للتلميذ وأن تتم في جو طبيعي خال من التوتر والإجهاد . وأكد « سبنسر » إلى جانب ما سبق عدة أمور هي :

- ضرورة تشجيع اعتماد التلميذ على نفسه من خلال تدريبه على أن يلاحظ ويفكر ويستنتج بنفسه .

ب - عدم اللجوء إلى العقاب إلا في أضيق حد ممكن ومنح التلميذ أكبر قدر من الحرية . وفي حالة العقاب يجب ألا يقترن بالحقد والانتقام.

جـ- اعتماد التعليم على النشاط الذاتي للتلميذ واحترام ميوله وتطبيق مبدأ التعلم عن طريق الخبرة والعمل Learning by Doing وعدم استخدام الأساليب التقليدية للتحفيظ والتسميع والتقليل من الأساليب الالقائية الاخبارية التي تحيل التلميذ

إلى مستمع سلبي .

د ـ يجب على المدرس أن يركز على إكساب التلميذ المعرفة مع القدرة على استخدامها وتنظيمها والاستفادة منها في حياته .

هـ ـ يجب تطبيق أساسيات النظرية التلخيصية Racial Recapitulation في مجال التربية أي أن نسير في عملية التربية على نفس الأسلوب الذي سارت خلاله عملية تربية الجنس البشري كله .

وعلى الرغم من الكثير من الجوانب الطيبة في آراء سبنسر إلا أننا لا يمكن أن نغفر له تجاهله أهمية التربية الدينية ، وقد أخذ عليه المبالغة في التأكيد على مبدأ النفعية في المنهج ، ولم يراع حاجات الصغار ، فهو عند تحديده لقيمة مواد المنهج نظر إليها من منظور مجتمع الراشدين ، وفاته أن المادة الدراسية تختلف في أهميتها حسب طبيعة السن والمرحلة العمرية مما يعد بالغ الأهمية من منظور الكبار يعد بالغ التفاهة عند الصغار والعكس صحيح . كذلك قيل إن طريقة التدريس التي نادى بها عامة جداً و يجب تكيفها حسب المراحل العمرية للتلاميذ . وانتقد رأيه فيما يتعلق بفكرة الجزاء الطبيعي حيث ذهب البعض أن تطبيق هذا المبدأ لا يناسب الصغار الذين لا يدركون كثيراً من المخاطر وانه مبدأ سلبي وغير تربوي . وبوجه عام لا نستطيع إنكار أهمية الاتجاه العلمي في الفكر التربوي ، فإذا كان تأثير الحركة النفسية قد شمل جميع جوانب العملية التربوية فإن تأثيرها كان أوضح في مجال طرق التدريس ، بينما كان تأثير الحركة العلمية أقوى وأوضح في مجال المنهج فقد كان لأنصارها الفضل في دعم جانب العلوم الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية في مناهج الدراسة .

ثالثاً : الاتجاه الاجتماعي في الفكر التربوي

على الرغم من التأثير العظيم الذي تركه الاتجاه السيكولوجي أو النفسي والاتجاه العلمي على الفكر والتطبيق التربويين سواء في القرن الماضي أو الحالي وحتى الآن ، إلا أن الحاجة كانت تستدعي ظهور اتجاه ثالث حتى تكتمل جوانب المثلث التربوي الذي يقوم على التلميذ ـ بحاجاته النفسية والجسمية والعقلية وفطرته

السليمة التي يجب الحفاظ عليها من خلال التغذية العقائدية والسلوكية ، والعلم الطبيعي والبيولوجي والاجتماعي والتطبيقي حسب أحدث الاختراعات العصرية ، والمجتمع بحاجاته المستمرة إلى النمو المتعدد الجوانب إقتصادياً واجتماعياً الأمر الذي يحتاج ضرورة توظيف العملية التربوية في خدمة التلاميذ وفي خدمة متطلبات المجتمع من الكفايات الفنية والادارية ومن قوة العمل Labour Force القادرة على إنجاز برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية المتعددة الأوجه ، هذا إلى جانب بناء شخصيات متماسكة تؤمن بربها وتراقبه في السر والعلن وتتسم بالاخلاص والصبر والاستقامة والتقوى والتعاون والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . .

وقد ظهر في أواخر القرن الماضي اتجاه اجتماعي واضح في الفكر التربوي يكمل كل من الحركتين السابقتين ـ النفسية والعلمية . ولعل الاختلاف في هذه الحركات الثلاثة ليس اختلافاً جذرياً في الرؤية بقدر ما هو اختلاف في مركز الاهتمام ، فأنصار الاتجاه النفسي يركزون على عملية تنمية شخصية الفرد ، فإن أنصار الاتجاه العلمي يركزون على إعداد الفرد للحياة الكاملة من خلال تزويده بالمعرفة العلمية ، أما أنصار الحركة الاجتماعية فإنهم يركزون على أهمية إعداد النشء من أجل تنمية المجتمع والمشاركة الايجابية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، وهم يهتمون في مناهج الدراسة بشكل ملحوظ بالمواد الاجتماعية ويركزون على عملية التأهيل المهني ، وبمختلف أوجه النشاط والخبرات التي تسهم في تنمية الروح الاجتماعية وروح التعاون . وهم يهتمون كذلك بأساليب التدريس التي تشجع الطرق الجماعية .

وإذا ما تساءلنا عن أهم العوامل التي مهدت لظهور النزعة الاجتماعية فإننا نجد عدة عوامل في مقدمتها طبيعة الظروف الاجتماعية التي أحاطت بالمجتمعات الأوروبية في نهاية القرن الماضي وظهور حركة التحررية الأوروبية وظهور الاتجاه الديموقراطي الغربي وتزايد اهتمام الدول ـ كما تنص القوانين الرسمية لها ـ بالتعليم العام كمدخل لتنمية المجتمعات والحفاظ على النظم السياسية الغربية التي تقوم على الاقتصاد الحر والديموقراطية وتقديس الملكية الخاصة ، خاصة في مواجهة الاتجاهات

الفكرية الهدامة كالماركسية والنازية والفاشية . . . وقد آمن زعماء الدول الغربية - مثل « توماس جيفرسون » أن التربية هي الحارس للنظم الاقتصادية والسياسية الغربية وهي العامل الأساسي في تطويرها وازدهارها . ولعل من أهم المتغيرات الاجتماعية التي ساهمت في ظهور الاتجاه الاجتماعي في الفكر التربوي اتساع نطاق الطبقة المتوسطة واتساع المدن وزيادة حجم الهجرات الريفية - الحضرية Rural - Urban Migration وتزايد الاهتمام بقضية الرفاهية الاجتماعية لأبناء المجتمعات الغربية واتساع نطاق التجارة العالمية ، وحدوث شيء من التوازن بين الزراعة والصناعة ، وتزايد الشعور الوطني داخل كل دولة وظهور الحاجة إلى إعداد المواطن الصالح الذي يؤمن بربه ووطنه ويحارب من أجله ، هذا إلى جانب تقدم العلوم الاجتماعية وإسهامهم بشكل واضح في مجال التربية سواء على مستوى النظرية أو التطبيق . Sociology of Educatior

وإذا كانت الأفكار والاتجاهات تمثل بناءً عضوياً تؤثر بعضها في بعض وتتفاعل وتستمر ، فإنه لا يمكن فصل الاتجاه الاجتماعي في مجال التربية عن مختلف الاتجاهات التربوية السابقة عليه والممهدة له مثل المدرسة الطبيعية والنفسية والعلمية . . . ومثال هذا فقد تأثر أنصار الاتجاه الاجتماعي برأي « روسو » الذاهب إلى « أن جميع أفراد المجتمع يجب أن يتدربوا صناعياً حتى يتسنى لهم مساعدة أنفسهم ، وأن يتعلموا كيف يكونون كرماء أسخياء متجاوبين عاطفياً مع بني وطنهم وجنسهم[٧] . كذلك فإن أنصار الاتجاه العلمي أكدوا أهمية أن يتضمن المنهج مجموعة من العلوم الطبيعية والاجتماعية التي تسهم في تحقيق رفاهية الفرد ورفاهية المجتمع معاً، وتتعدى مهمة التربية مجرد تعليم الطفل القراءة والكتابة حيث تمتد الى مساعدة الفرد على خدمة نفسه وتزويده بالقدرات على خدمة الآخرين، وقد ركز «بستالوزي» - في المدارس التي أشرف عليها - على الخبرات المهنية والاعداد المهني للتلاميذ من اجل إعداده للحياة . أما «هربادت» فقد جعل للتربية هدفا اجتماعيا وأخلاقيا . وقد كان له رأي يتعلق بأسلوب تقديم مواد الدراسة للطفل، حيث وجد انه من الأصوب تقديمها في مشكل مثالي . وقد أكد «فروبل» أهمية الوسط الاجتماعي والمشاركة الاجتماعية في تحقيق نمو شخصية الفرد، كما أكد أهمية العلاقات والتفاعل الاجتماعي في تحقيق

ذاتية الانسان، وذلك على العكس من روسو الذي ذهب إلى وجوب حرمان الطفل من أية تربية اجتماعية وعزلة عن المجتمع وتركه يتعلم من الطبيعة حتى سن الخامسة عشرة. ونادوا بأهمية التعليم المهني - الفني والتجاري تلبية للمطالب الاجتماعية والعلمية.

أهم خصائص الاتجاه الاجتماعي في مجال التربية : -

يمكننا إيجاز أهم خصائص الاتجاه الاجتماعي في الفكر التربوي فيما يلي : -

أولاً : إعتبار ان التربية عملية تستهدف نمو الفرد والمجتمع في آن واحد ، والتخطيط التربوي الناجح يجب أخذ حاجات الفرد والمجتمع معاً . ويجب على المناهج أن تأخذ حاجات المجتمع الحاضرة والمستقبلة في الاعتبار . ويؤكد أنصار هذا الاتجاه أن التربية هي عملية إعداد التلاميذ للحياة الاجتماعية ، وأن التفاعل الاجتماعي هو المدخل الوحيد لتحقيق الصياغة الثقافية Cultural Moulding حسب قيم المجتمع وأهدافه الثقافية المرغوب فيها ، وهو المدخل لاستخراج إمكانيات الفرد الوراثية وتحقيق إمكانياته بما يحقق صالحه وصالح المجتمع معاً.

ثانياً : يحدد أنصار هذا الاتجاه مفهوم تنمية الفرد اجتماعياً بعدة متغيرات أهمها تهذيب أخلاقه وبناء اتجاهاته ومهاراته الاجتماعية التي من شأنها أن تجعل منه عضواً نافعاً منتجاً متعاوناً في تحقيق الأهداف الاجتماعية المشتركة ، محباً لوطنه مضحياً في سبيله ، مقدراً لتراث بلده ، ومقدراً لمسئولياته تجاه نفسه وتجاه أسرته وعمله ومجتمعه ، مدركاً لحقوقه وواجباته ، سديداً في قراراته وأحكامه حكماً في اختياراته ، متكيفاً مع مجتمعه ، مكتسباً للكفاية المهنية وللمرونة اللازمة للتوافق مع المتغيرات في مجتمعه . كل هذا مع الإهتمام بالنمو الجسمي والعقلي والانفعالي للفرد .
أما مفهوم تنمية المجتمع كوظيفة تأثير للتربية فإنها تعني الإسهام في تحقيق التقدم الاجتماعي والحفاظ على التراث وتطويره ونقله للأجيال اللاحقة ومواجهة كل عوامل التخلف المعوقة للتقدم والتنمية الاقتصادية والإجتماعية والقضاء على مختلف أساليب التمييز العنصري والديني والسلالي وتحقيق التماسك الاجتماعي والتقليل من الفوارق

الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة بين الناس ، وتحقيق الوحدة الوطنية والاجتماعية والاستقرار السياسي والإعداد المهني ـ الفني والاداري ـ من أجل تزويد المجتمع بحاجاته الحالية والمستقبلة من قوة العمل المدربة .

وينقسم الاتجاه الاجتماعي في التربية إلى قسمين ، قسم متطرف* يندرج تحت الإتجاهات الجماعية المتطرفة Collectivism التي تعلن بشكل مسرف من قيمة المجتمع وتحيل الفرد إلى مجرد ترس في آلة المجتمع ليس له من الحقوق إلا ما يسمح به المجتمع ، وتتمثل هذه الصورة المسرفة المتطرفة في النظام الماركسي المرفوض شكلاً وموضوعياً*. وهناك الاتجاه الاجتماعي المعتدل الذي يحقق الوسطية بين المذهب الجماعي المتطرف والمذهب الفردي المتطرف الذي يبالغ في مراعاة المصلحة الفردية ولو على حساب الحاجات الاجتماعية أو المجتمعية . ويقوم المذهب الاجتماعي على أساس مبدأ التفاعل بين الفرد والمجتمع وإمكانية التوفيق بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع . وعلى الرغم من أن المذهب الاجتماعي المعتدل لم تتضح أصوله لدى العلماء إلا في هذا القرن (العشرين) ، إلا أن بوادره قد ظهرت في القرن الماضي كرد فعل للمذهب الاجتماعي المتطرف الذي قدس الدولة وسلب الأفراد كل حقوقهم وجعلهم عاملاً سلبياً منفعلاً أمام إرادة الدولة والمجتمع ، وقد اتضح هذا المذهب بشكل واضح لدى فلاسفة الألمان ـ مثل هيجل وفخته ـ وفي الاتجاه النازي الالماني الذي جلب الدمار للعالم. والواقع أن الدين الإسلامي سبق منذ أربعة عشر قرناً إلى التوفيق بشكل كامل بين الانسان ومجتمعه.

ثالثاً: يركز أنصار الاتجاه الاجتماعي في مجال المنهج على مختلف المواد التي تتصل مباشرة بأمور المجتمع ـ كالتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد. . . . وغيرها من مواد تعالج قضايا العلاقات الاجتماعية وحضارة المجتمع ومشكلاته. كذلك فإنهم يهتمون بكل ما من شأنه إكساب التلاميذ الخبرات والمهارات المطلوبة سواء لنموهم الشخصي أو لنموهم المهني أو لنمو المجتمع كالتربية الرياضية والأشغال اليدوية والمهن . هذا إلى جانب الاهتمام بالعلوم الطبيعية

* لقد كرم الله بني آدم وأهله سبحانه لحمل الخلافة وزوده بطاقات وامكانيات وحاجات فطرية ـ مصدرها الخالق سبحانه وليست من صنع المجتمع كما زعم أنصار الاتجاه المتطرف المرفوض .

والرياضية والحيوية . وبإيجاز شديد فإن أنصار الاتجاه التربوي الاجتماعي يشجعون احتواء المنهج المدرسي على الأنشطة والمواد التي تسهم في تنمية الفرد ذاتياً وتربيته اجتماعياً وإعداده لمختلف الأدوار الاجتماعية Social Roles المطلوبة منه وتأهيله مهنياً وإسهامه في تقدم المجتمع إقتصادياً واجتماعياً .

رابعاً : بالنسبة لطرق التدريس فقد نادى أنصار الاتجاه الاجتماعي بضرورة توفير المناخ السيكو - إجتماعي Psycho-Social Climate الذي يتسم بالأمن والاطمئنان والاحترام المتبادل والتقدير والمساواة ويخلو من الضغط والقسوة والارهاب . . . داخل الفصل الدراسي وخلال الموقف التعليمي ، كما أكدوا أهمية تدريب التلاميذ على ممارسة العمل التعاوني ، وقيام المدرس بمراعاة الفروق الفردية واستخدام الطرق والأساليب التعاونية الجماعية - خلال مختلف الأنشطة . ويصر أنصار الاتجاه الاجتماعي أن الغاية من التربية ليست مجرد تلقين الطلبة مجموعة من المعارف والمعلومات - كما كان يعتقد - وإنما هي إعداد الفرد ذاتياً واجتماعياً ومهنياً بما يحقق مصالح الفرد وتنمية المجتمع .

هذه هي أهم الخصائص العامة للاتجاه الاجتماعي في مجال التربية سواء على مستوى النظرية أو على مستوى التطبيق ، وقد كانت لها أعظم الآثار في ربط العملية التربية بحاجة الفرد والمجتمع ، وأصبحت المدرسة منظمة تربوية تنمي الفرد وتحافظ على مصالح المجتمع وتمده بحاجاته من الفنيين والإداريين اللازمين لاستمراره ونموه ، كما تمده بمواطنين صالحين يرعون عقيدته وثقافته ، وبفضل الاتجاه الاجتماعي صارت المناهج الدراسية أكثر اتصالاً بحاجات المجتمع ومتطلبات الحياة العملية - الاجتماعية والمهنية ، كما تحسن مناخ ممارسة العملية التربوية داخل الفصل والمدرسة وأصبح أكثر تشجيعاً لاستيعاب المعلومات والخبرات والمهارات ، واتساع نطاق استخدام الأساليب الجماعية في التدريس ، هذا إلى جانب إدراك المسئولين عن المجتمعات أهمية الربط الوثيق بين التخطيط التربوي والتخطيط للتنمية الشاملة للمجتمع - إقتصادياً واجتماعياً ، وأهمية نشر التعليم العام والفني المهني وتمويله من ميزانية الدولة ، وضرورة إعداد المدرس إعداداً علمياً ومهنياً وتربوياً . وقد مهد الاتجاه الاجتماعي لظهور عدة اتجاهات لاحقة - خاصة في أمريكا وأوروبا - مثل

الاتجاه البراجماتي ، واتجاه التعليم العام من أجل التكيف الاجتماعي ، وقد كان من أهم أنصار هذا الاتجاه في أمريكا - « جيمس كارتر » J.Carter (١٧٩٥ - ١٨٤٩م) و« هنري برنارد » H.Beranrd (١٨١١ - ١٩٠٠ م)[٨] .

رابعاً : الاتجاه البراجماتي أو العملي في الفكر التربوي الأمريكي

يلاحظ الدارس المتتبع للنظريات الاجتماعية والتربوية Sociological and Educational theories أن مركز الثقل قد انتقل خلال القرن العشرين من أوروبا إلى أمريكا ويعود ذلك إلى عدة عوامل أهمها ما يتسم به علماء أمريكا من تحرر فكري ورغبة في إعادة فحص المسلمات العلمية السابقة من خلال التجريب ، وما يلقاه البحث العلمي - الطبيعي أو الاجتماعي ، من تشجيع ودعم مادي سواء من المؤسسات الحكومية أو الأهلية ، هذا إلى جانب إفساح الفرصة أمام تطبيقات تربوية مختلفة نتيجة لنظام الحكم المحلي للمقاطعات أو الولايات ، وهذا التنويع في التطبيقات التربوية - التنظيم المدرسي والمناهج وأساليب التدريس . . . أعطى فرصة للدراسات المقارنة ، هذا إلى جانب الأخذ بنتائج الدراسات النفسية والاجتماعية ومحاولة توظيف التربية في خدمة متطلبات المجتمع الصناعي .

وقد تأثرت الاتجاهات التربوية التي ظهرت خلال القرن العشرين - وحتى اليوم - بالعديد من العوامل مثل الاتجاهات التربوية السابقة والتقدم الذي أحرزته العلوم السلوكية ، وتزايد أعداد التلاميذ في المدارس ، والتقدم العلمي والصناعي والتكنولوجي الذي أحرزته الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى جانب محاولة العالم الغربي دعم المبادىء والقيم الديموقراطية في نفوس النشء ، تلك المبادىء التي تقوم على أساس الإيمان بقيمة الفرد واحترام شخصيته ومصالحه واعتباره غاية في حد ذاته والثقة في ذكائه وقدرته على حل مشكلاته وإصلاح مجتمعه والايمان بحقه في العدالة والمساواة وتكافؤ الفرصة بما في ذلك الفرص التعليمية ومعاملته على أساس الفروق الفردية وتميزه عن غيره ، والتأكيد على إمكانية التوافق بين المصلحة العامة والمصالح الخاصة والإعلاء من شأن التعاون وشأن العلم في مواجهة المشكلات الاجتماعية

والاقتصادية *. . .

وقد ظهرت عدة إتجاهات تربوية في الفكر الأمريكي - خلال القرن الحالي أهمها - الاتجاه البراجماتي Pragmatism ، والاتجاه التجديدي Reconstructionism واتجاه الرومانسية الطبيعية Romantic Naturalism واتجاه الفلسفة الأساسية Essentialism واتجاه الفلسفة الدائمة Prennialism والاتجاه المثالي الحديث Modern Idealism والاتجاه الواقعي الحديث Modern Realism والاتجاه الانساني العقلي Rational Humanism والاتجاه الكاثوليكي الديني Catholic Supernaturalism . وقد قام « جون بروباكر » J. Brubacker في دراسة له بعنوان « الفلسفات الحديثة في التربية » - بتصنيف الاتجاهات السابقة كلها إلى قسمين:

قسمين :

أ - الاتجاه التقدمي Propressivism ويضم الاتجاهات البراجماتية والتجديدية والرومانسية الطبيعية .

ب - إتجاه الفلسفة الأساسية Essentialism وتضم باقي الاتجاهات(٩) .

* وقد عالجت هذه الاتجاهات التربوية مجموعة من القضايا والمفاهيم النظرية كما عالجت مجموعة من القضايا التي تتعلق بالتطبيق ، وحاول كل اتجاه بالنسبة لهذا الجانب التطبيقي معالجة عدة أمور ذات أهمية عملية مثل أهداف العملية التربوية والمناهج الدراسية وطرق التدريس وأساليب إعداد المعلم والتنظيم المدرسي ، والادارة المدرسية وأساليب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ ومشكلات تصنيف التلاميذ وتحقيق النظام المدرسي ومعالجة الانحرافات. . . الخ . ومن أبرز الاتجاهات التربوية التي ظهرت في أمريكا الاتجاه البراجماتي الذي يقوم على أساس

---

* يجب أن نلاحظ هنا أن هذه المبادىء والقيم سبق أن أكدها الدين الإسلامي الحنيف قبل ظهورها - على المستوى النظري - في العالم الغربي بأربعة عشر قرناً . ولعل الفرق الحاسم بين المنظور الإسلامي والغربي في هذا المجال ان المنظور الإسلامي ينبثق في تبنيه لهذه المبادىء من الايمان الكامل بالله وبالكتاب والسنة واستطاع وضع هذه المبادىء موضع التطبيق العملي بكفاءة بالغة ، بعكس الحال بالنسبة للمنظور الغربي الذي ينبثق عن فكر وضعي ويلاحظ الانفصام الواضح بين النظرية والتطبيق في العالم الغربي .

الفلسفة العملية النفعية التي تؤمن بالتطور المستمر في جميع مظاهر الحياة ، وبوحدة العالم ، ووحدة الشخصية الإنسانية وتحترم الانسان وتؤمن بقيمته وقيمة ذكائه وقيمة العمل الانساني ، وتؤكد أهمية الخبرة والتجربة كمصدر للمعرفة ، والأهمية النفعية للمعرفة والأخلاق.ومن أبرز ممثلي الاتجاه البرجماتي في التربية « جون ديوي » (١٨٥٩ - ١٩٥٢) الذي عمل رئيساً لقسم الفلسفة بجامعة شيكاغو ثم بجامعة كولومبيا حتى سن تقاعده سنة ١٩٣٠ ، وقد أنشأ مدرسة نموذجية في مدينة شيكاغو سنة ١٨٩٦ اتخذ منها حقلاً تجريبياً لآرائه ونظرياته ، وقد ضمت هذه المدرسة لكلية التربية بجامعة شيكاغو لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية لها . وقد حاول « ديوي » تطبيق مبادئه التربوية في هذه المدرسة ، تلك المبادىء التي تقوم على ضرورة الاتصال والتعاون بين المدرسة والبيت ، ووجوب اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بخبراتهم خارج المدرسة ، ووجوب تعليم الأطفال عن طريق خبرتهم ونشاطهم الذاتي ، ووجوب احترام ميول التلاميذ وحاجاتهم وحريتهم في التعبير عن أنفسهم ، ووجوب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ ، والنظر إلى التربية على أنها عملية إجتماعية والتركيز على التعاون بدلاً من التنافس والصراع(١٠) . . . وقد قام (ديوي) بتأليف العديد من الكتب من أشهرها - المدرسة والمجتمع ، الطفل والمنهج ، الديموقراطية والتربية ، الخبرة والتربية ، كيف نفكر ، الطبيعة البشرية والتربية . . .(١١) الخ .

ويلخص لنا جون ديوي أهداف التربية فيما يلي :

١ - مساعدة الفرد على النمو الكامل المتكامل لشخصيته ، وعلى تفتح استعداداته وطاقاته وتنميتها.

٢ - مساعدة الفرد على التكيف المستمر على بيئته الاجتماعية والطبيعية وتزويده بالخبرات التي يتطلبها هذا التكيف.

٣ - إعداد الفرد لممارسة حياته في المستقبل مع عدم إهمال متطلبات حياته الحاضرة.

٤ - إعادة بناء الخبرة الاجتماعية وتحسين المجتمع وتطويره ، فالتربية تستهدف تنمية الفرد وتنمية المجتمع معاً .

وهو يؤمن أن المدرسة لها عدة وظائف ، أهمها تنمية الفرد ونقل الثقافة الاجتماعية إليه وإعداده لتطوير الثقافة وتنمية المجتمع ، فالمدرسة تعد من أهم وسائل الاصلاح الاجتماعي وإعادة بنائه(١٢) .

وقد كان لديوي آراء محددة حيال قضايا المنهج ، فقد انتقد المفهوم التقليدي للمناهج الذي يقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وعلى ترتيب هذه المواد بشكل منطقي قد يتفق مع عقلية التلاميذ الصغار . وقد بنى ديوي اعتراضه على أساس أن استعدادات الطفل العقلية ـ خاصة في السن المبكرة لا تتفق مع هذا التقسيم ولا ذلك الترتيب . ولا يمكن النظر إلى المواد الدراسية المنفصلة المستقل بعضها عن بعض على أساس أنها المركز الحقيقي للمنهج ، ذلك أن هذا المركز يتمثل أساساً في نشاطات الطفل وخبراته الذاتية وقد حاول « ديوي » أن يطبق هذه الفكرة فعلاً في المدرسة التي أشرف عليها ، حيث وجه الأطفال إلى ممارسة أوجه النشاط المعهودة لديهم ، مثل تلك التي تتعلق بالحصول على الطعام والملبس والمأوى كالطبخ والحياكة وبناء البيوت وما يتصل بها من أنشطة فرعية والتعرف على ما يحتاجه إنجاز هذه الأنشطة من مواد غذائية وقطنية وخشبية . هذه الأنشطة التي تؤلف منهج السنوات الأولى من المرحلة الإبتدائية لا تستهدف إحداث التناسق والترابط بين الوظائف الجسمية فحسب ، ولكنها تستهدف كذلك حفز القوى العقلية وربطها بأعمال وظيفية . وأهم المواد التي ركّز عليها في المرحلة الابتدائية ـ الحساب والموسيقى والفن والتجارة والطبخ والحياكة والعلوم والجغرافيا والتاريخ والقراءة والكتابة والبستنة . . . وكل هذه المواد لا تدرس كمواد منفصلة مستقل بعضها عن بعض ، بل كانت تدرس عرضاً من خلال ربطها بمواقف واقعية ومشكلات حياتية تطبيقية .

وقد كانت الطريقة المستخدمة ـ في مدرسة ديوي ـ لتنظيم خبرات المنهج وتدريسها هي طريقة المشروعات Project Method . فمن خلال مشروع مصمم من قبل رجال التربية ، يمكن للتلميذ اكتساب مجموعة من المعلومات والخبرات والمهارات التي تتعلق بمجموعة كبيرة من المواد الدراسية . ومثال هذا لو أخذنا « الحديقة المدرسية » كمشروع فإنه يمكن من خلال هذا الموضوع دراسة أطوالها ومساحتها (حساب) وكتابة موضوع إنشاء حولها (لغة) وإدراك عظمة الله سبحانه

الذي ينبت لنا الزرع مختلفاً ألوانه (دين) ودراسة أنواع المزروعات (بستنة) . . . الخ . ويمكن القول أن جوانب الأنشطة التي تضمنها منهج مدرسة « ديوي » تحتوي على ثلاثة أنواع من الأنشطة :

أولاً : أنشطة وأعمال يدوية تدور حول عدد من المهن الاجتماعية السائدة كالطبخ والغزل والحياكة . . . ولها قيمة جسمية وعقلية وتسهم في تدريب اليد والعين والأذن والتفكير والخيال .

ثانياً: أنشطة تساعدنا على فهم الحياة الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والعلوم والفن . . ولا وجود لمواد تحمل هذه العناوين لأنه رفض فكرة المواد المنفصلة ولكن التلميذ يعرف مضامينها من خلال المشروعات المصممة تربوياً.

ثالثاً : أنشطة تتعلق بتنمية القدرات الاتصالية والبحثية والعقلية كالقراءة والكتابة والحساب ، وهذه تدرس ـ لا كمواد منفصلة وإنما من خلال مواقف واقعية وأعمال التلميذ اليدوية .(١٣)

وقد نادى « ديوي » بتطبيق بعض جوانب المبادىء المنهجية في المدرسة الابتدائية في المرحلة الثانوية ، وهناك مجموعة من الأسس التي يجب أن تحكم عملية إختيار وتنظيم محتويات المنهج في كل مرحلة أهمها:

أ ـ خصائص تلاميذ هذه المرحلة .

ب ـ الظروف الاجتماعية والثقافية في كل موقف تعليمي .

ويحدد « ديوي » وظيفة المدرسة الثانوية بأنها مساعدة التلميذ على توسيع دائرة ثقافته العامة التي بدأها في المرحلة الابتدائية ، ويجب ألا نفرض على تلميذ المرحلة الثانوية أي نوع من الدراسات التخصصية الضيقة ، لأن مثل هذا النوع من الدراسة هو وظيفة التعليم الجامعي وليس الثانوي.

وفي مجال طرق التدريس أكد ديوي مجموعة من المبادىء أوجزها فيما يلي :

١ ـ تأكيد أهمية الخبرة المباشرة فالتربية الصحيحة تتحقق من خلال الخبرة الصالحة التي تسهم في بناء مهارات الفرد وتجديدها واستمرارها والتي تقوم على التفاعل

بين الفرد وبيئته وتتصل بواقع الحياة والمشكلات التي تهم التلميذ .

٢ ـ ضرورة الربط بين خبرات التلميذ داخل المدرسة وخارجها والربط بين المعرفة النظرية والخبرة العملية منعاً من التعارض والانفصام بينهما .

٣ ـ أهمية مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ ، ومراعاة ميولهم ودوافعهم الطبيعية وإستغلالها في جذب انتباههم وتوجيههم إلى النشاط الذاتي (مثل الميل إلى الحركة والنشاط والميل إلى اللعب والميل إلى التعبير عن الذات بالقول والعمل والميل إلى الحل والتركيب . . . الخ) .

٤ ـ يجب على المدرس أن يستخدم الأساليب التي تسهم في إيقاظ قوى التلميذ واستعداداته العقلية وتعوده على الاستقلال والاعتماد على النفس والتفكير المنطقي وحب التعاون وتشجعه على الابتكار وتدفعه الى الحركة والنشاط الهادف .

٥ ـ يجب أن يقتنع التلميذ بما يدرسه ، فالتعليم الفعال ـ عند ديوي ـ إنما يتحقق عندما يكون الشيء المراد تعلمه يعني شيئاً بالنسبة للمتعلم .

٦ ـ ضرورة منح التلميذ حرية الحركة والنشاط ـ بشكل موجه ، ذلك أن فرض النظام القسري يؤدي إلى مجموعة من الأضرار أهمها أنه يحول دون ممارسة النشاط الذاتي ويفرض على التلاميذ طابعاً واحداً مصطنعاً ويجعلهم يفضلون المظهر عن المخبر ويقتل عندهم التفكير المستقل والخيال الابتكاري .

٧ ـ إستخدام طريقة المشروع Project Method وأسلوب حل المشكلات Problem Solving Method . وهو عبارة عن موقف تعليمي تتوافر فيه ـ وجود مشكلة أو مشكلات تنبع من اهتمامات التلاميذ ويحسون بها ـ سواء بشكل تلقائي أو مستثار ، ووجود هدف واضح في أذهان التلاميذ يدفعهم لحل هذه المشكلات ، والقيام بنشاط جسمي وعقلي ـ وفق خطة شارك التلاميذ أنفسهم في وضعها ـ من أجل حل هذه المشكلات، على أن يسود جو اجتماعي طيب بين التلاميذ بعضهم وبعض وبينهم وبين المدرس ـ خلال عملية حل المشكلات تحقيقاً

للنمـو الفـردي والاجتماعي للتلاميذ ويحصل التلاميذ على المعلومات عرضاً خلال العمـل. وهـذا المنهج يسمح بممارسته داخل الفصل وخارجه (في الفناء) أو خارج المدرسة نفسها ـ خلال الزيارات والرحلات والمعسكرات .

وعلى الرغم من الآثار الواسعة التي تركتها نظرية ديوي التربوية سواء في دول أوروبا وأمريكا أو على غيرها من الدول ، إلا أنها تعرضت للعديد من أوجه النقد خاصة من أنصار التربية المحافظة .

تعليق ختامي :

هذه هي أهم الاتجاهات الكبرى التي ظهرت في الفكر التربـوي الغربـي نلاحظ عليها أنها انبثقت ـ في تحديدها لأهـداف العملية التربـوية ـ من فكر وضعي ضيق الأمر الذي جعلها تدرك بعض الأمور وتغيب عنها أمور أخرى أهم ، وهي في هذا تختلف عن التربية الإسلامية التي تستند إلى رؤية إلهية تنبثق عن الخالق البادىء المصور « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبـير ». وعلى الرغـم من أن الكثير من الاتجاهـات الغـربية قد توصلـت إلى العـديد من الإسهامات التي لها قيمة في مجال تخطيط المناهج وطـرق التـدريس وإعـداد المعلمين ومراعاة طبيعة التلاميذ ـ نموهـم الجسمـي والعقلي والانفعـالي . . . وحاجاتهم الجسمية والنفسية ، وربط التربية بالتقدم العلمي ووضعها في خدمة المجتمع . . . الخ. فالحقيقة أن الدين الإسلامي الحنيف سبق أن نبـه إلى هذه الأمور قبل ظهورها في الفكر الغربي بأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان . وإذا كانت اتجاهات الفكر الغربي التربوي تتضمن العديد من المبادىء الهامة إلا أن ما يعيبها هو عدم انبثاقها من قاعدة إيمانية تحقق لها الربط بين الانسان والخالق وتحقق لها اتساع منظور الرؤية لطبيعة الانسان ووظائفه وأهدافه ومصيره ليس فقط في الدنيا لكن في الآخرة أيضاً ، وتربط سلوكه وأفكاره ونوازعه بعقيدة توجهه وتحكمه وتحدد مساره التزاماً إذا ما أجدت التربية وإلزاماً إذا حدثت ميول انحرافية . ونحن لا ننكر اهتمام العديد من المفكرين الغربيين بقضـايا الدين

والأخلاق إلا أن أحدا منهم لم يوضح لنا نظاماً تربـوياً متكامـلاً ينطلـق من القاعدة الايمانية ويستند إلى الدين الإسلامي الذي جاء به كل الأنبياء اعتباراً من سيدنا إبراهيم عليه السلام والذي اكتملت معالمه في الكتاب والسنة .

مصادر الفصل الخامس

١) للوقوف على المزيد من آراء هذين العالمين ارجع إلى الدراسات التالية :

J.H.Pestalozzi: How Gertrude Teaches her Children: Trans. by L.E. Holland 1894.
J.A. Green: Life and work of Pestalozzi: London: University Tutorial Press Ltd 1913.
J.F. Herbart: Aesthetic Presentation of the World as the Business of Education 1804
William Boyd: The History of Western Education : London 1964 pp. 338-340.

2 **Monroe, Paul:** A Brief Course in the history of education : N.Y. The Macmillan Co. 1918 pp .315

٣) د. عمر محمد التومي الشيباني : تطور النظريات والأفكار التربوية : دار الثقافة - بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٥ ص ٢٤٨ - ٢٤٩

٤) ارجع إلى المصدر السابق إلى جانب د. سعد مرسي أحمد : تطور الفكر التربوي . القاهرة: عالم الكتب ١٩٦٦ ص ٤٥٦ - ٤٥٧ ،

William Boyd: The History of Western Education: London 1964 pp. 322-330.

٥) ارجع إلى الشيباني - المصدر السابق ص ١٥٤ - ١٩٣ وارجع أيضاً إلى

Frank P. Graves: A Students History of Education : N.Y. - The Macmillan Co 1922 pp. 218-220.

6) Spencer, H.: Education: Intellectual, Moral, Phisical: N.Y.: Appleton — Crrofts Inc 1860 pp. 11-17.

مذكور في كتاب الشيباني ، وارجع أيضاً إلى : بول مونرو : المرجع في تاريخ التربية - ترجمة صالح عبد العزيز - الجزء الثاني - القاهرة ص ٣٨٠ - ٣٨٥

٧) الشيباني المصدر السابق ، وارجع أيضاً للمزيد من التفصيلات إلى Frank: op.cit. pp 218-220.

٨) الشيباني - المصدر السابق ص ٣٠١ - ٣١٥ وارجع أيضاً إلى جون منرو : المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٦.

9) J.S. Brubacker: Modern Philosophies of Education: N.Y. Mc Graw Hill Book Co. 1950 pp. 295-298.

10) Fredrick Eby: The development of Modern Education - Englewood Cliffs — Prenlice Hall 1960.

11) Dewey: School and Society:University of Chicago press 1900, The Child and the Curriculum: University of Chicago press 1920, Democracy and Education: N.Y. Macmillan Co. 1918, Experience and Education.N.Y.: Macmillan Co. 1919.

وقد ترجم بعض هذه الكتب إلى العربية مثل كتابه بعنوان « الخبرة والتربية » ترجمة محمد رفعت رمضان ، نجيب إسكندر ، المدرسة والمجتمع ترجمة أحمد حسن الرحيم .

12) J.Dewey: Can Education Share in social Reconstruction: The Social Frontier Vo I October 1934.

١٣) الشيباني: المصدر السابق ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧ وارجع أيضاً لكتاب جون ديوي بعنوان « المدرسة والمجتمع » ترجمة د. أحمد حسن الرحيم ـ بيروت ـ لبنان ـ دار مكتبة الحياة ١٩٦٤ ص ٤٠ ـ ٤٥ .

الفصل السادس

النظام التربوي في الدين الإسلامي الحنيف

١ ـ مقدمة
٢ ـ نماذج قرآنية للتربية
٣ ـ نماذج تربوية من السنة النبوية المطهرة
٤ ـ أهداف التربية الإسلامية
٥ ـ ميادين التربية الإسلامية

أ ـ الميدان الأول : تلاوة الآيات الكريمة
ب ـ الميدان الثاني : التزكية
جـ ـ الميدان الثالث : تعليم الكتاب
د ـ الميدان الرابع : تعليم الحكمة

٦ ـ أسس التربية الإسلامية
٧ ـ أهم أساليب التربية الإسلامية
٨ ـ مبادىء التعلم في النظرية التربوية الإسلامية
٩ ـ التربية الإسلامية وقضية الصحة النفسية

مقدمة

قدم الإسلام الحنيف بناءً تربوياً متكاملاً للبشرية - يحقق لهم السعادة في الدنيا والفوز بالجنة ورضوان الله في الآخرة - منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، ويتسم البناء التربوي الإسلامي بخاصية فريدة تميزه عن كافة النظريات الوضعية وهي أن مصدره كتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام و« وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى ، إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ») (النجم ٣ ، ٤) وهذا المصدر الإلهي للبناء التربوي الإسلامي هو الذي يؤكد صدقه وثباته المطلق ، وفائدته العظمى للإنسان في الدنيا والآخرة معاً . وينبثق النظام التربوي في الإسلام من النظام التفسيري والرؤية الصادقة للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والإنسان ، فالله هو الخالق وهو سبحانه المنظم ومبدع الإنسان وخالقه بنوازعه وجوهره ومنزل الشريعة المناسبة له والقادرة على تنظيم شئونه وعلى تحقيق التوازن أو التعادلية المعجزة لحاجاته الجسدية المادية والروحية والعقلية*. . .

وينطلق النظام الإسلامي في التربية من الفهم الصادق لحقيقة الإنسان والهدف من خلقه وأساليب تحقيق أهدافه ومصيره في الآخرة ، وهي مقدمات لا بد منها حتى يستوي النظام التربوي غاية ووسيلة ويحقق أهدافه .

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ليكون خليفة له في الأرض قال تعالى :
« وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ ٱلأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي

* للمزيد من المعلومات حول هذه القضية ارجع إلى دراسات المؤلف بعنوان: الإسلام وقضايا علم النفس، المنهج الإسلامي في تفسير المجتمع. والكتابان صادران عن دار الشروق - جدّة.

مَاءَاتَاكُمْ إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ » (الأنام ١٦٥) وقال تعالى « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » (البقرة ٣٠) . والهدف الأساس من هذا الخلق والاستخلاف كما يوضحه لنا القرآن الكريم هو :

أولاً : توحيد الله سبحانه وعبادته « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ، إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ » (الذاريات ٥٦ ـ ٥٨)

ثانياً : تعمير الكون والتعارف بين الناس شعوباً وقبائل قال تعالى « يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (الحجرات ١٣)

ثالثاً : إقامة دين الله على الأرض وتتبع هدى الله سبحانه ، الأمر الذي يتفق مع الفطرة السليمة التي خلق الله ٱلنَّاس عليها قال تعالى « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ » (الروم ٣٠) وقال تعالى : « وَمَالِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ ، إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ » (يس ٢٢ ـ ٢٥) والإنسان المفطور على التوحيد قد تغريه الحياة الدنيا لأنه ضعيف فهو في حاجة مستمرة للاتصال بالله وتلقي هدايته قال تعالى « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » (البقرة ٣٨) واستوجب الدين القيم انطلاق المسلمين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر « وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (آل عمران ١٠٤) ... وقال سبحانه : « خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ » (الأعراف ١٩٩) والمسلم مطالب بالمجاهدة في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه ودحر الباطل وأهله .. « وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللهَ لَمَعَ

ٱلْمُحْسِنِينَ » (العنكبوت ٦٩) .

رابعاً : العمل بما يتفق مع التكريم الإلهي للإنسان « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » (الإسراء ٧٠) فلا يهبط الإنسان عن مستوى الإنسانية الذي استحق من أجله التكريم الإلهي ، وعليه أن ينشط في عمارة الأرض بما توصيه الآية الكريمة من حمله « في البر والبحر » ورزقه من « الطيبات » فيستغل هذه الطاقة الممنوحة له في كل اتجاه في إطار تقوى الله ومبادىء الإسلام الحنيف . فالإسلام هو الدين الوصي الذي يدعو المؤمنين إلى إعمال عقلهم في كل اتجاه من الكون ومجتمعه وتاريخه من أجل فهم سنن الله في الكون والمجتمع والإنسان والتاريخ ، ذلك لأن كل تفكير سليم سوف يسهم في إثبات عظمة الخالق سبحانه « إِنَّمَا يَخْشَى ٱللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ » (فاطر ٢٨) .

ولقد زود الله سبحانه الإنسان بكل إمكانيات الخلافة عن الله سبحانه وتلقي الهداية عنه قال تعالى « وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلأَسْمَاءَ كُلَّهَا » (البقرة ٣١) وقال تعالى « ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق ١ ـ ٦) ويقول تعالى « يَأَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ، ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ » (الإنفطار ٦ ـ ٨) .

ومن رحمة الله سبحانه بعباده أن وجههم منذ الميلاد إلى الفطرة السليمة وأودع فيهم ميلاً طبعياً للارتباط بتوحيده سبحانه يقول عليه السلام « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهّودانه وينصّرانه (صحيح البخاري ٤/ ١٤٤) وقال تعالى « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » (الأعراف ١٧٢) غير أن الإنسان ـ على الرغم من فطرته السليمة ضعيف أمام المغريات « خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ » (ق ١٦)

وقال تعالى « وَٱلْعَصْرِ . إنَّ ٱلإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » (العصر ١ - ٣) وقال سبحانه « لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإنسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ، فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ، أَلَيْسَ ٱللهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ » (التين ٤ - ٨) وقال سبحانه مخاطباً الإنسان « يَٰأَيُّهَا ٱلإنْسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ، وَيَنْقَلِبُ إلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوْا ثُبُوراً ، وَيَصْلَى سَعِيراً » (الانشقاق ٦ - ١٢) .

والواقع أن انحراف الإنسان عن الفطرة يؤدي إلى اختلال حياة الإنسان من الدنيا وإلى عذاب السعير في الآخرة ، وهنا تبرز وظيفة التربية في الفكر الإسلامي الحنيف فهي المسئولة عن الحفاظ على الفطرة وتوجيه الإنسان للإيمان بالله وتوحيده فكراً وسلوكاً وهي المسئولة عن إعداد الإنسان الصالح ، وهي مستمرة باستمرار وجود الإنسان على الأرض ، وقد احتلت التربية والتعليم أهمية بالغة في الدين الإسلامي « يَرْفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوْا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (المجادلة آية ١١) . وقال عليه السلام « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » (الترمذي ٥/ ٢٨) . وقال عليه السلام « من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع » (الترمذي ٥/ ٢٩) و« طلب العلم فريضة على كل مسلم » (ابن ماجه ١/ ٨١) .

وتحرص التربية الإسلامية على تحقيق التوازن والتكامل في شخصية المسلم وفي إشباع حاجاته وميوله ، فلو كان الله سبحانه يريد للبشر أن يكونوا أرواحاً خالصة أو ملائكة مجردة عن الشهوة لفعل ، ولو كان يريد لهم أن يكونوا كالأنعام يسعون وراء الشهوة الخالصة لفعل ، لكنه سبحانه خلق الإنسان من قبضة طين ونفخة من روحه سبحانه . قال تعالى « ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ ،

وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَرَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ » (السجدة ٦ ـ ٩) وقال سبحانه « وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » (الروم ٢٠) .

وعلى هذا فالروح والجسد في الإنسان متلازمان تتم بهما الحياة ولا يمكن إنكار أحدهما في سبيل الآخر ، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس الجسد حقاً ليوفي حقوق الروح ولا يجوز له أن يبخس الروح حقاً ليوفي حقوق الجسد ، ولا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك يقول تعالى « يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَات مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ، وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ حَلَالاً طَيِّباً وَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ » (المائدة ٨٧ ـ ٨٨) . ويقول تعالى في مجال استنكار تحريم الزينة والطيبات من الرزق التي أحلّها الله لعباده « يَٰبَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (الأعراف ٣١ ـ ٣٢) . وما هو محرم صوره الله في نفس السورة وفي سور أخرى حيث قال تعالى «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » (الأعراف ٣٣) وأباح الله ممارسة الشهوات بالطرق التي أحلها الله « وَمِنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً » (الروم ٢١) . ويقول سبحانه وتعالى « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلْمَآبِ » (آل عمران ١٤) وفي مقابل هذه الشهوات منح الله سبحانه الإنسان ضوابط للتحكم والتوجيه فيما يرضي الله « وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ » (النحل ٧٨) . وقال تعالى « وَٱبْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ ٱللهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا » (القصص ٧٧) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيﷺ يسألون عن

عبادة النبيﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبيﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول اللهﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا كذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنّتي فليس مني » (البخاري ٣/ ٢٣٧) .

ونستطيع القول أن النظام التربوي الإسلامي يأخذ في الاعتبار مجموعة من الأبعاد وهي :

أولاً : تحديد الصلة بين الخالق البارىء المصور وبين الإنسان المخلوق .

ثانياً : تنظيم أمور الناس في الدنيا ـ علاقاتهم بعضهم ببعض سياسياً واقتصادياً وأسرياً وتربوياً . . . إلخ . فالإنسان خلق ليعيش فترة ما من الحياة الدنيا وهو محتاج للشريعة التي تنظم له شئونه الدنيوية وعباداته معاً .

ثالثاً : بيان كيفية تحقيق الهدف السامي من استخلاف الله الإنسان في الأرض وأسلوب معيشته على الرقعة المكانية التي تشمل الكرة الأرضية كلها يشكل يحقق الهدف الذي خلق من أجله الإنسان والذي كرمه الله على سائر خلقه .

رابعاً : مراعاة البعد الزمني لعمر المتعلم فهو يبدأ في الدنيا ويمتد إلى الآخرة عبر مستقبل غير متناه .

ولعل فلسفة التربية الإسلامية برزت من أول سورة نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام وهي « إقرأ باسم ربك الذي خلق » (سورة العلق ١) فالقراءة هنا والتعلم باسم الرب موجهة لما يرضيه وهذه السمة ميّزت التربية الإسلامية عن كل تربية سابقة أو لاحقة فمخطط هذه التربية وواضع أصولها هو الخالق وهو المعلم وهو المربي الذي يعرف وقائع الإنسان وقدراته الإدراكية والاستيعابية ، ويجعل هدف التربية تحقيق عبودية الإنسان لله ، تلك العبودية التي تحقق له العزة على كافة المستويات الأرضية . وقد اتسمت كل فلسفات التربية الأخرى بأنها تتم في أطر

ضيقة كالفردية أو العائلية أو القومية أو الإقليمية أو النزعة العرقية . . وهي غالباً ما تكون موجهة لخدمة أسرة أو دولة أو مجتمع محدد . . وهناك من فلسفات التربية ما أدت إلى أبشع أنواع التجارب البشرية المريرة كأسلوب التربية في إسبرطة القديمة وأساليب التربية السوفيتية وداخل الكميونات الصينية (والتي تحاول تجريد الإنسان من إنسانيته حيث تسعى إلى تجريده من الميول الدينية والأسرية والعاطفية لتجعله عبداً للأرض ينتج عليها ويدافع عنها ويحيا حياة جماعية حيوانية كاملة) . ولا نستطيع أن نتناسى ما جره الأسلوب النازي في التنظيم والتربية في ألمانيا من دمار شملت آثاره العالم كله .

أما التربية الإسلامية فإنها لا تتم لصالح طبقة محددة أو باسم قومية أو مجموعة عرقية Ethnic Group أو باسم مجتمع محدد أو دولة معينة لكنها تتم باسم الله خالق جميع البشر والأكوان ولصالح الإنسان حيثما وجد سواء في هذه الحياة الدنيا القصيرة أو في الآخرة دار الخلود . فالقراءة والتعلم والتربية كلها تتم باسم الله « إقرأ باسم ربك الذي خلق ».

نماذج قرآنية للتربية :

يوجه القرآن الكريم أنظار الآباء والمربين إلى مبادىء تربوية سامية عليهم الحرص عليها خلال تربية أبنائهم . ويتجلى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم منها وصايا لقمان الحكيم لابنه ، ذلك لأن لقمان قد أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً قال تعالى « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ، وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ، وَهُوَ يَعِظُهُ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ، وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، يَٰبُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ أَو فِي

ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللهُ إِنَّ ٱللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ، يٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (لقمان ١٣ - ١٩) .

وهذه الوصايا التربوية تتضمن مجموعة من القيم التي يحرص الإسلام على تنشئة الناس عليها وفي مقدمتها النهي عن الشرك وتحقيق التوحيد المطلق لله سبحانه ، والتنبيه إلى أن الله يعلم السر وما يخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والتوجيه بضرورة رعاية الآباء والأمهات في كل ما يرضي الله وعدم إطاعتهم إذا كانت تعليماتهم تتعارض مع الدين مع ضرورة مراعاة الأدب معهم في كل الأحوال .

كذلك تضمنت الوصية ضرورة إقامة الصلاة لأنها عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، كما احتوت على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراعاة الالتزام بالصبر على المكاره « إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » (الزمر ١٠) وتنهي هذه الموعظة التربوية عن الكبرياء في معاملة الناس وعن الخيلاء وضرورة الالتزام بالتواضع ومن تواضع لله رفعه . وتشير كذلك إلى مجموعة من الآداب المهمة منها الاعتدال في الخطر وضرورة خفض الصوت عند الحديث وعدم التشبه بالحيوانات . . . الخ .

وقد أثنى القرآن الكريم على أهل الكهف لأنهم صمدوا في مواجهة الظلم وثبتوا على العقيدة في مواجهة الكفر يقول تعالى « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً » (الكهف ١٣) .

وفي سورة يوسف يضرب الله لنا مثلاً بالشاب الصالح العفيف الذي يراعي الله ويراقبه في السر والعلن ويتمسك بدينه في مواجهة إغراءات الدنيا ، فقد تعرض لفتنة جمال امرأة العزيز وحسبها ونسبها ، ولكنه أبى واعتصم بعقيدته « وَرَاوَدَتْهُ

ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ وَٱلْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ »(يوسف ٢٣- ٢٤)

وتشير هذه الآية إلى مجموعة من الحقائق والقيم ، منها ضرورة الصمود في مواجهة المغريات، وأن هذه المغريات قد تكون اختباراً من الله سبحانه ، ويجب على الإنسان مراقبة الله في السر والعلن ، وأن الله يساعد المؤمنين الذين يراقبونه على الاستمرار في الفضائل وتجنب الرذائل.

ويوضح لنا الخالق سبحانه في سورة النور مجموعة من الآداب والقيم الاجتماعية التربوية التي يجب غرسها في نفوس النشء وتدريبهم سلوكياً عليها ، مثال هذا استئذان الصغار عند دخولهم على الكبار خلال وقت الراحة والخلوة « وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا ٱسْتَئْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ، وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (النور ٥٩) وذلك حتى لا يطلع الأبناء على علاقات آبائهم الخاصة فتترك أثراً سيئاً في نفوسهم ، وينشغلون بها قبل الأوان .

ويوضح لنا القرآن الكريم في سورة الفرقان خصائص عباد الرحمن التي يجب غرسها في النشء من خلال العملية التربوية قال تعالى « وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً ، وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ، وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً ، وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ، وَٱلَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثاماً، يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةَ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً » وقال تعالى « وَٱلَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ، وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَات رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً ، وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً » (الفرقان ٦٣ - ٦٩ ، ٧٢ - ٧٤) .

ويروي لنا القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام مع ابنه « يَا بُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ ٱلْكَافِرِينَ » (هود ٤٢) . ولكن الابن أصر على العناد ، فلم ييأس نوح وتوجه إلى ربه العزيز الحكيم بقلب الأب العطوف اللاهف قائلاً : « رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ » (هود ٤٥) . وهـذا سيدنـا إبراهيم يدعو ربه « وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ » (ابراهيم ٣٥) .

نماذج من أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام

وقد اهتم عليه الصلاة والسلام بقضية إعداد الشباب وتربيتهم في العديد من الأحاديث ـ منها ما يلي :

« يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنـه أغض للبصر وأحصـن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصـوم فإنـه له رجـاء » (رواه الإمـام البخـاري ٣/ ٢٣٨) .

« يا غلام إني معلمك كلمات . احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فلتسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » (أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣) .

« مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع » (رواه أحمد ٢/ ١٨٧) .

« اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »(رواه البيهقي عن ابـن عباس في كتاب شعب الإيمان) .

وعدَّ عليه الصلاة والسلام الشاب الذي نشأ في عبادة ربه ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله « وشاب نشأ في عبادة ربه » (رواه البخاري ١/ ١٢١) .

كذلك أخبر عليه السلام أن العبد سوف يسأل يوم القيامة ضمن ما يسأل عنه « عن شبابه فيم أبلاه » (أخرجه الترمذي ٤/ ٦١٢) .

أهداف التربية الإسلامية :

تبدأ التربية الإسلامية بتهذيب الفرد ضماناً للمجتمع الصالح ، كما أنها تبدأ في الدنيا تحقيقاً لصالح الإنسان في الدنيا والفوز برضوان الله وجنته في الآخرة ، وقد سبق أن أشرنا إلى أهم أهداف التربية الإسلامية ونعيد إيجازها فيما يلي :

أولاً : الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهية الخالق وعبودية المخلوق . قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون » (الأنبياء ٢٥) وقال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (الذاريات ٥٦) .

ثانياً : تطوير سلوك الفرد وبناء - أو تغيير اتجاهاته اللفظية Verbal attitudes والعملية السلوكية Action. A. بحيث تتسع وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية « قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ، وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ، وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى » (الأعلى ١٤ - ١٧)

ثالثاً : إعداد الفرد لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا « فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » (الملك ١٥) . وقال تعالى : « وَعَلَّمْنَهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ » (الأنبياء ٨٠) . وهذا هو ما يطلق عليه اليوم الإعداد المهني للحياة .

رابعاً : بناء المجتمع الإسلامي الصالح الذي تقوم نظمه على أساس شريعة الإسلام استناداً إلى الكتاب والسنة يقول تعالى : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ » (آل عمران ١١٠)

خامساً : إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها في العالم كله حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض قال تعالى : « هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ » (التوبة ٣٣) . وقال

تعالى : « وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (آل عمران ١٠٤) .

سادساً : غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشء مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر « وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » (المؤمنون ٥٢) ، والإخلاص وإحضار النية « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ » (البينة ٥) والصبر « يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (آل عمران ٢٠٠) والصدق « يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (التوبة ١١٩) ومراقبة الله « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ » (آل عمران ٥) والتقوى « يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ » (آل عمران ١٠٢) إلى آخر هذه القيم كالتوكل على الله والاستقامة والمبادرة إلى الخيرات . . . الخ .

* * *

وهكذا نرى أن أهداف التربية الإسلامية تحقق التكامل بين الأهداف الدينية والدنيوية كما تحقق التفاعل الخلاق واللقاء الدائم بين الإنسان وخالقه ، بين القلب والعقل ، بين الدنيا والآخرة .

ميادين التربية الإسلامية

يتمثل الإطار العام الذي يحدد ميادين التربية الإسلامية ومناهجها في قوله تعالى : «هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ » (الجمعة ٢)* . وهذه هي ميادين التربية الإسلامية :

* ورد هذا المعنى في ثلاث سور أخرى في القرآن الكريم وهي :

أ - يتلو عليهم آياته .
ب - يزكيهم .
ج - يعلمهم الكتاب والحكمة

تلاوة الآيات: الميدان الأول

وتتعدد معاني كلمة آية فقد وردت في القرآن الكريم بعدة معان منها المعجزة ، والعلامة ، والبرهان والدليل على قدرة الله ، والعبرة إلى جانب الآيات القرآنية . والهدف من تلاوة الآيات هو غرس الولاء للإسلام بين المتعلمين عقيدة وسلوكاً وإبراز شواهد الألوهية والربوبية وغرس الاتجاهات الإيمانية . ومناهج تحقيق هذا الهدف الرجوع إلى معجزات الأنبياء وظواهر الغيب إلى جانب فهم القوانين التي تنظم الكون المادي وبناء الجسم الإنساني .

ومجتمع الإنسان وتاريخه والسنن التي تحكمهما ، وما يتوصلون إليه من علوم ومكتشفات « سَنُرِيهِمْ ءَايَتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ » (فصلت ٥٣) .

وقد كان التركيز الأول خلال العهد المكي على هذه القضية الإيمانية حيث كانت الآيات في ذلك العهد تركز على أمور العقيدة والألوهية والعبادة دون التعرض للتشريع أو تنظيم الحياة الاجتماعية وعلاقات البشر وتفاعلاتهم الاجتماعية أو كيفية بناء الحياة الجماعية الإسلامية بوجه عام .

= « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (البقرة ١٥١)

- «لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» (آل عمران ١٦٤) .

- «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » (البقرة ١٢٩)

هذا عن ميدان تلاوة آيات الله البينـات ، أمـا عن ميدان التـزكية وتعـديل السلوك في الاتجاه الإسلامي الصحيح والتي يعبر عنها بكلمة « ويزكيهم » الواردة في الآية الكريمـة السابقـة ، فإن كلمـة التـزكية في اللغـة تعنـي الإصـلاح والتطهـير والتنمية ، وزكاة المال تطهيره وتثميره وإنماؤه وتعنـي الـزكاة ـ الطهـارة والبـركة . والتزكية في مجال السلوك هو انتزاع ما هو غير مطلوب ودعم ما هو مرغوب ، وهو يتضمن تنمية وبناء السلوك الفاصل وإحداث تغير في السلوك غير المستقيم من أجل جعله سلوكاً مستقياً . والقرآن الكريم يقدم التزكية على التعليم في الآية الكريمـة السابق الإشارة إليها كما يتضح من السياق ويجعلها مقدمة له حيث تسهل العملية التعليمية وتدعمها قال تعالى: « قَدْ أَفْلَحَ مَن تَــزَكى » (الأعلى ١٤) ، وقـال سبحانه : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا » (الشمس ٧ ـ ١٠) .

ويستوجب الإسلام ابتعاد المسلم عن بيئة الكفر وعدم مخالطة الفسقة وعلى المسلمين مخالفة غير المسلمين في كل مظاهر حياتهم . ويجب على الإنسان أن يقتنع بالمبادىء الإسلامية وأن تتحول هذه المبادىء عنده إلى عقيدة ثم يترجمها سلوكياً . وهناك ثلاث مراحل يمر بها الإنسان وهي الإسلام ويتمثل في شهادة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله ، ثم مرحلة الإيمان وهي مرحلة أعمق حيث أنها تتصل بالاعتقاد اليقيني القلبي وبالسلوك الظاهر معاً ، فهو ما وقر في القلـب وصدقه العمل ، وأخيراً مرحلة الإحسان وهو تحقيق عبودية الإنسان الكاملة لله فكراً واعتقاداً وسلوكاً ، فهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ويعتمـد المنهــج الإسلامــي في تنمية العقيدة الإســلامية على نوعين من الدراسات وهما :

أ ـ دراسات نظرية حيث يتعرف المتعلم على معنى الإسلام والإيمان والإحسان من أجل بناء العقيدة في نفسه وتثبيتها وبلوغ مرتبة العبودية الحقة لله سبحانه كتلك العبودية التي تحقق له الإيجابية والعزة والشخصية القوية المتماسكة المتميزة الصالحة .

ب ـ الممارسات السلوكية العملية ـ بعد الاقتناع وتكوين الدوافع الإيمانية التي تثير السلوك وتوجهه من أجل إشباع هذا الدافع وذلك بتحقيق هدف محدد يتمثل في الرغبة من رضا الله سبحانه والفوز بالجنة في الآخرة . ويقوم المنهج الإسلامي في استثارة الدوافع الإيمانية الصحيحة على أسلوبي الترغيب والترهيب وهما من أنجح الأساليب التربوية في أي عصر بشرط أن يكون المضمون التربوي سوياً .

ويركز الإسلام على مجموعة من الجوانب السلوكية التي من شأنها دعم العقيدة والدوافع الإيمانية في نفس الفرد أهمها الحض على استمرار ذكر الله تعالى والصلاة على النبي وقراءة القرآن الكريم والاستغفار والصلاة والمشاركة في الممارسات الجماعية للشعائر ومراعاة الصحبة الحسنة والابتعاد عن مواطن الشبهات ، والابتعاد عن مصادر الانحرافات أو كل ما يمكن أن يعرض للانحراف ، ومجاهدة النفس « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين » (العنكبوت ٦٩) ، وقال تعالى « وَمَا تَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً » (المزمل ٢٠) ويتدرج منهج التربية الإسلامية في تنمية الرهبة والرغبة مراعياً المستويات العقلية والنفسية ومراحل نمو الإنسان وخصائص كل مرحلة جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً وهو الأمر الذي أدركه أخيراً علماء التربية والمشتغلون بالعلوم السلوكية مع أن الإسلام الحنيف سبق أن نبه إليه منذ ١٤٠٠ سنة . ففي تنمية الرغبة يبدأ الإسلام في تنمية كراهية الفرد للرذيلة وكافة ألوان السلوك الانحرافي ـ طبقاً للمعايير الإسلامية الصادقة وليس طبقاً للمعايير الإحصائية أو غيرها من معايير خادعة ـ وتحذير الفرد من العواقب الوخيمة للمعاصي والإنحرافات لما تجلبه من غضب الله وما يتبعه من عذاب وآلام سواء العاجلة أو الآجلة ، إلى أن يصل الفرد إلى كراهية المعاصي والرذائل والنفور منها لقبحها وبشاعتها ، وتنبثق هذه الكراهية من التزام داخلي وهي ما نطلق عليها الدوافع الإيمانية التي تتكون عند الانسان كثمرة للتربية . ونفس الأمر بالنسبة للطاعة ، حيث تنمي في نفس الفرد حب الطاعات لما تجلبه على الإنسان من ثمار طيبة أسماها رضاء الله سبحانه وما يستتبع ذلك من ثواب عاجل أو آجل يقول تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوْا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوْا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوْا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فيها مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ،نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رحِيمٍ » (غافر ٣٠ - ٣٢) .

ويحرص المنهج الإسلامي في التربية على الوصول بالإنسان إلى حب الله وحب الرسول عليه الصلاة والسلام وحب الإيمان وهذا هو كمال التزكية وتتجلى هذه الخاصية السامية - الحب - في قوله تعالى : «يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ - أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (المائدة ٥٤) وقد أشار عليه السلام إلى أن الإيمان الحقيقي لا يتحقق حتى يكون الله ورسوله أحب إلى المؤمن ممن سواهما . .

ولا تقتصر التزكية على ميادين النفس فقط ولكنها تمتد لتشمل جميع الأبعاد الإنسانية النفسية والعقلية والجسمية . وقد عرضنا مفهوم تزكية النفس ونعرض الآن لجوانب تزكية العقل البشري ونوجزها فيما يلي :

١ - الدعوة إلى التفكير وإعمال العقل الذاتي بدلاً من الاقتصار على التبرير Rationalisation غير الصادق . والمقصود بالتفكير التبريري تلك الحيلة النفسية الدفاعية اللاشعورية Defence Mechanism التي يلجأ إليها الإنسان للتخلص من أخطائه وانحرافاته وإلقائها على عوامل تبعد عن النفس . جاء القرآن الكريم ليؤكد مبدأ العلية Causality ودعا الناس إلى محاسبة النفس ومراقبة الله قال تعالى : « فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَى » (النجم ٣٢) « إِنَّ ٱللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » (الرعد ١١) وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » (الشورى ٣٠) .

٢ - الدعوة لاستخدام العقل والتجديد بدلاً من التقليد الأعمى : والتقليد الذي عناه القرآن هو عدم استخدام العقل والتقليد الأعمى ، وينص القرآن على المقلدين الذين يقولون : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ » (الزخرف ٢٣) . . . . ويستنكر القرآن الكريم تعطيل العقل والجمود والتحجر

ويدعو إلى التحرر من أوهام السلبية والانعزالية والتقليد . يقول تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ ٱللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ . وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ » (البقرة ١٧٠ ـ ١٧١) والدين الإسلامي يوجه المؤمن لإعمال عقله لاكتشاف قوانين الكون أو السنن الكونية والسنن الاجتماعية التي تحكم حركة المجتمعات والسنن التاريخية التي تحكم تاريخ الإنسان فهو دين انفتاح عقلي على الكون والمجتمع والتاريخ ، لأن هذه المخلوقات كلها تشهد بوحدانية الله وربوبيته وألوهيته سبحانه .

٣ ـ الدعوة إلى التفكير المنطقي العلمي الصحيح بدلاً من الظن والهوى.

يرفض القرآن الكريم الاعتماد على الظن وينتقد أولئك الذين يتبعون الظن « إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْهُدَى أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ ٱلآخِرَةُ وَٱلأُولَى » (النجم ٢٣ ـ ٢٥) . ويقول تعالى في نفس السورة (وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً » (٢٨) . كذلك يندد القرآن الكريم بأولئك الذين يتبعون هواهم دون هدى من الله يقول تعالى « فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ » (القصص ٥٠) ونهانا القرآن الكريم عن تبديد الطاقات التي وهبها لنا الله من سمع وبصر وعقل في أشياء زائفة ، مع ضرورة استخدام العقل والتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد فيه . يقول تعالى : « وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » (الاسراء ٣٦) ويوجهنا القرآن الكريم إلى عدم التسرع في اتخاذ القرارات وضرورة التحقق. قال تعالى : « إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » (الحجرات ٦) .

وينبهنا القرآن الكريم إلى ضرورة دراسة الأمور وأخذ رأي المتخصصين وأولي لأمر قبل إذاعتها ونشرها ، ويعيب على المتسرعين تسرعهم . يقول تعالى :

« وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » (النساء ٨٣) .

٤ ـ الدعوة إلى التفكير الجماعي بدلاً من التفكير الفردي : يحرص الإسلام على تحقيق الصالح العام ولا شك أن تفكير المجموع خير من تفكير الفرد. والإسلام يدعو إلى التماسك والتكامل يقول عليه السلام « كلكم مسئول عن رعيته » (البخاري ١/ ١٦) .

أما في مجال تزكية ـ تطهير السلوك وتعديله في الاتجاه الإسلامي ـ الجسم فإن ذلك يتضح في الميادين التالية :

١ - تلبية حاجات الجسم والاهتمام به في الإطار المشروع

أحلّ الله للإنسان الطيبات واستوجب من الإنسان العناية بجسمه وإشباع رغباته فيما يرضي الله والابتعاد عن الخبائث وما يسبب له الأضرار . يقول تعالى : « يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَٱشْرَبُوْا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفين. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوْا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوْا عَلَى ٱللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ» (الأعراف ٣١ ـ ٣٣) . فما هو محرم هو الفواحش والإثم والبغي بغير الحق والشرك . وأشار عليه السلام إلى أنه يقوم وينام ويصوم ويفطر ويتزوج النساء وقال « فمن رغب عن سنّتي فليس مني » (٣/ ٢٣٧) وأباح الإسلام النكاح ولم يستقذره بل جعله عملاً من أعمال الخير إذا مورس بالأساليب المشروعة . قال تعالى : « نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوْا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ » (البقرة ٢٢٣) . وقال عليه السلام : « وفي بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً » (رواه مسلم ٢/ ٦٩٧) .

٢ ـ تجنب الإسراف والإفراط

يدعو الإسلام الحنيف إلى الاعتدال وتجنب الإسراف في الأكل والشرب والعمل وحتى في العبادة حيث يدعو إلى الاقتصاد في الطاعة. فالإسلام لا يحرم الإنسان من الإستمتاع بالشهوات طالما يلتزم بمبادىء الشريعة السمحة في غير إسراف .

تعليم الكتاب ـ الميدان الثالث

هذه الخطوة التربوية تترتب على الخطوتين السابقتين ـ تلاوة الآيات وتزكية النفس والعقل والجسم وهنا يكون الإنسان مؤهلاً لاستيعاب المعارف والمبادىء والتشريعات التي يشتمل عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة . والإنسان يتعلم خلال هذه المرحلة العلاقة الواجبة بين العبد وربه وأثر العبودية في تزايد عزة الفرد وكرامته على كل المستويات ، ذلك على المستوى الفردي ، ويدرس آثار الإيمان الإيجابية على المجتمعات وآثار الكفر السلبية عليها والتفسير القرآني الصادق والموضوعي للكون والإنسان والمجتمع والتاريخ ، وأساليب التنظيم الاجتماعي والاقتصادي الإسلامي لمجتمع الإنسان ، هذا إلى جانب دراسة أعمق للعبارات والتفقه في أمور الدين.

تعليم الحكمة ـ الميدان الرابع

ويحتاج الإنسان ليمارس حياته بشكل يحقق العزة أن يكون على علم بمبادىء دينه ، وأن يتزود بالمهارات الفكرية والعملية . وقد جاء لفظ الحكمة في القرآن الكريم بعدة معان أهمها :

ـ الحكمة بمعنى الإتقان . يقول تعالى : « آلر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» . (هود ١) .

ـ الحكمة بمعنى العبرة قال تعالى « وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ .

حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ » (القمر ٤ ، ٥) .

ـ الحكمة بمعنى الحلول الفاصلة الملائمة . قال تعالى : «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ» (الزخرف ٦٣ ، ٦٤) .

ـ الحكمة بمعنى القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب ، أو بين الطريق المستقيم والطريق المعوج ، أو بين الأمور النافعة والضارة . يقول تعالى : « ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ » (البقرة ٢٦٨ ـ ٢٦٩) . وقال تعالى : « وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً » (النساء ١١٣) .

ـ الحكمة بمعنى الفهم والمعرفة : قال تعالى « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » (لقمان ١٢) .

ـ الحكمة بمعنى الرأي وحسن التبصر في الأمور : فضمن الأمور التي يستحق الرجل من أجلها الحسد ـ كما يخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام « رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » (رواه البخاري ـ كتاب الإعتصام) .

ـ الحكمة بمعنى حسن التقدير والإدارة والتصرف ، يقول تعالى مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام : ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » (النحل ١٢٥) . ويذهب مقاتل بن سليمان أشهر مفسري التابعين أن تفسير الحكمة في

القرآن الكريم جاء على أربعة أوجـه :

١ ـ مواعظ القرآن الكريم ٢ ـ الحكمة بمعنى الفهم والعلم

٣ ـ الحكمة بمعنى النبوة ٤ ـ القرآن الكريم نفسه بما فيه من عجائب وأسرار .

أما فخر الدين الرازي فيشير في « مفاتيح الغيب » أن الحكمة لا تخرج عن معنيين هما : أ ـ العلم ، ب ـ فعل الصواب ، وأنها تنقسم إلى قسمين : حكمة نظرية ، وحكمة عملية ولا بد من تكاملهما في الإنسان الفاضل والسلوك الكامل . فقوله تعالى : « رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ » فالشق الأول يشير إلى الحكمة النظرية ، أما الشق الثاني فإنه يشير إلى الحكمة العملية . وفي اللغة : الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم .

ونخلص مما سبق إلى أن الحكمة هي نفاذ البصيرة في السنن الكونية والاجتماعية والإنسانية والتاريخية وإتقان العمل والتصريف دون تصادم مع هذه السنن وفي ضوء ظروف العصر المتغيرة ، فالحكمة لدى الفقيه تعني القدرة على استنباط التشريعات والأحكام اللازمة في مختلف ميادين الحياة ، وهي لدى القائد فهم معنى الجهاد والوقوف على منطلقاته واهدافه وتنظيماته وحسن التعامل بذلك كله حسب المواقف المتغيرة ، وهي لدى المربي المسلم فهم منطلقات التربية الإسلامية وأهدافها وأسسها ووسائلها ،وهي لدى الإداري حسن تصريف الأمور ، وهي لدى السياسي حسن التخطيط والتنفيذ في الداخل والخارج . وهذا هو ما يقرره فخر الدين الرازي في كتابه « مفاتيح الغيب » حيث ذهب إلى أن « الحكمة هي اسم لكل عمل حسن ، وعمل صالح ، وهي بالعلم العملي أخص منها بالعلم النظري ، وفي العمل أكثر استعمالاً من العلم » .

وانطلاقاً من هذا الفهم لمعاني الحكمة ، فإن ترجمتها التربوية تتمثل في محاولة فهم قدرات الفرد واستعداداته وميوله (الاجتماعية والتعليمية والمهنية . .) ومن أجل القيام بمختلف عمليات التوجيه (النفسي والتعليمي والمهني . .) ومن أجل تحديد الدور الاجتماعي Social Role الذي يمكن أن يقوم به الفرد مستقبلاً ثم يتم تدريبه على ممارسة هذا الدور بشكل يمكنه من إتقانه وحسن إنجازه ولقد كان لنا في

رسولنا الكريم أسوة حسنة حيث جمع بين جميع معاني الحكمة في المعاني التي سبق أن أشرنا إليها وكان عليه السلام يعالج الأفراد والجماعات والمواقف المتغيرة بالحكمة المثلى وكان صلى الله عليه وسلم يتعرف على قدرات أصحابه واستعداداتهم ثم يوزع العمل والمهام والأدوار بينهم بما يتفق مع قدرات واستعدادات كل صحابي جليل ، فوجه مجموعة للتخصص في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومجموعة أخرى للتخصص في الفنون الحربية ، ومجموعة ثالثة للولاية والجباية . . . ، وكان عليه السلام يرى أن الحكمة ضالة المؤمن وحيث وجدها فهو أحق بها ومن مظاهر الحكمة الانفتاح على ما عند المجتمعات الأخرى من تنظيمات ووسائل وأخذ ما يتناسب مع العقيدة الإسلامية وما يفيد المسلمين ، وترك كل ما يتعارض مع العقيدة وإذا ما تأملنا قليلاً في التعبيرات الثلاثة الواردة في الآية السابقة وهي :

١ ـ يتلو عليهم آياته .

٢ ـ ويزكيهم .

٣ ـ ويعلمهم الكتاب والحكمة ، نجد أنها تتضمن جانبي العقل والنقل أو جانبي الغيب الذي لا يناقش وإنما هو محل الإيمان المطلق لأن العقل البشري قاصر عن فهمه. قال تعالى: « ألم ،ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ، ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » (البقرة ١ ـ ٣) ، وهنا يكتفى بتلاوة الآيات من المتعلم أو متلقي التربية وهذا هو الجانب الأول متمثلاً في الإيمان بالغيب بناء على آيات الله البينات دون محاولة للتقصي والخوض فيما لا يمكن لعقل الإنسان فهمه .

أما الجانب الثاني فهو الذي يتمثل في تعبير « يزكيهم » و« يعلمهم » فكلاهما يشير إلى عملية بشرية تتعلق ببناء السلوك وتشكيله وتغييره وتفسح المجال أمام العقل والملاحظة والتجريب .

أهم الأسس العامة التي تقوم عليها التربية الإسلامية :

يمكننا إيجاز أهم أسس التربية الإسلامية فيما يلي :

أولاً : التربية الإسلامية تحقق النمو المتكامل المتوازن لشخصية الإنسان

فالتربية الإسلامية لا تركز على جانب واحد من الشخصية - الروحي أو العقلي أو الجسمي أو الانفعالي أو الاجتماعي ، وإنما تهتم بجميع هذه الجوانب معاً ، فقد أنزل الله سبحانه الإنسان من الجنة إلى الأرض والمعيشة الأرضية تحتاج إلى إشباع حاجات النفس والعقل والروح والجسم معاً . يقول تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا » (القصص ٧٧) . وقد سبق أن رأينا أن مفهوم التزكية يشمل النفس والعقل والجسم معاً . فالإسلام يطالبنا بصحة الأبدان « إن لبدنك عليك حقاً » وبالحفاظ على السمع والبصر والفؤاد « وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » (الإسراء ٣٦) . والإسلام يخاطب عاطفة الإنسان وقلبه ووجدانه واعتبر أن العلم أحد المعايير الحاسمة للتمايز بين البشر كما يتضح من العديد من آيات العلم التي سبق أن أشرنا إليها ، والتقوى ذاتها تقوم على العلم بالكتاب والسنة . وبوجه عام نستطيع القول إن التربية تحرر الإنسان نفساً وروحاً وعقلاً وجسماً . . .

ثانياً : التربية الإسلامية تحقق للإنسان التوازن

ويتضح هذا في قول الرسول عليه الصلاة والسلام إنه يرفض التطرف في العبادة وإنه يقوم وينام ويصوم ويفطر ويتزوج النساء . وقال تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا » (القصص ٧٧) . والإسلام يحرص على تجريد الإنسان من الأنانية البغيضة « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

لنفسه » (أو قال لجاره) (أخرجها مسلم ١/ ٦٧) . وقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء أخيه في الإسلام « فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً » (أخرجه البخاري ٣/ ٢٦١) .

ثالثاً : التربية الإسلامية تربية فكرية وسلوكية وعملية معاً :

تتعدى العقيدة الإسلامية مجال القلب إلى العمل فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل وكثيراً ما اقترن العمل الصالح بالإيمان في آيات القرآن الكريم « الَّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات » ومبادىء الإسلام الخمسة من شهادة بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت كلها تتطلب ترجمة الإيمان إلى سلوك ويذم من المسلم أن يقول خلاف ما يفعل قال تعالى « يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » (الصف ٢ ـ ٣) .

رابعاً : تجمع التربية الإسلامية بين الطابع الفردي والإجتماعي معاً :

تركز التربية الإسلامية على تنشئة الفرد على الفضيلة وعلى تحمل المسئولية فكل امرىء بما كسب رهين ، وكل مسلم راع وكل راع مسئول عن رعيته . فالمسئولية في الإسلام مسئولية فردية ، كل إنسان مسئول أمام الله سبحانه عن أعماله بعد أن منحه عقلاً وأرسل له الرسل للهداية وأنزل إليه الكتب وبين له طرق الخير والشر وأعطى له الجهاز الذي يميّز به وفطره أصلاً على الميل للتوحيد ، ولكن هذا لا يعني التطرف في الفردية المطلقة لأن الإسلام يربي الفرد ليعيش في مجتمع يكفل له الإسلام العدل والإخاء والتكامل والتكافل والقوة . . . الخ. فالمسلم أخو المسلم ، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » (رواه مسلم ٤/ ٢٠٠٢) . وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه » (أخرجها مسلم ١/ ٦٧) وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال « تحجزه ـ أو تمنعه ـ من الظلم فإن ذلك نصره » (رواه البخاري

٢٠٢/٤) وتؤكد التربية الإسلامية على أهمية القدوة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الشخص على فكره وسلوكه . فمثل الجليس الصالح والجليس السوء كبائع المسك ونافخ الكير . وقد أكد عليه الصلاة والسلام أثر الأسرة في التنشئة الاجتماعية للفرد وفي الحفاظ على الفطرة أو تشويهها وطمس معالمها فما من مولود - كما يحدثنا الرسول عليه الصلاة والسلام - إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه (أخرجه البخاري ٤/ ١٤٤) ويقول عليه السلام : « تخيَّروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن » (أخرجه ابن عدي في كتاب الكامل) .

خامساً : التربية الإسلامية تنشىء الفرد على مراقبة الله سبحانه :

فالتربية الإسلامية تعمل منذ اللحظة الأولى على غرس الدوافع الإيمانية في نفس الفرد*، تلك الدوافع التي تملك عليه فكره وسلوكه . فهو يراقب الله في عباداته وعمله وأكله وشربه وزواجه وعلاقته بزوجته وأبنائه . . . الخ . فاستقامة المسلم تنبع عن الالتزام الداخلي لأنه يعلم أن الله مطلع على كل أموره « يعلم خَائِنَة الأعيُنْ وَمَا تَخْفِي الصدور » (غافر ١٩) وقال تعالى « إنّ الله لاَ يخفى عَليه شَيْء في الأرض وَلاَ في السماءِ » (آل عمران ٥) .

سادساً : التربية الإسلامية تحافظ على فطرة الإنسان النقية وتعلي غرائزه الفطرية .

تحافظ التربية الإسلامية على فطرة الانسان النقية فكما يخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام ما من مولود إلا ويولد على الفطرة وقد خلق الله سبحانه عباده حنفاء يقول تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوْا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » (الأعراف ١٧٢) وقال تعالى : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ،وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاها » (الشمس ٧ - ١٠) . وهنا تبرز أهمية

* يعرف الدافع بأنه حالة داخلية جسمية أو نفسية تثير السلوك وتوجهه نحو غاية معينة من أجل إشباع الدافع المستثار . والدوافع الايمانية شاملة مسيطرة على حياة الفرد المسلم .فالمسلم يراعي الله ويقصد وجه الله في كل سلوكه - أكل وشرب وزواج . . . الخ فضلاً عن العبادات .

التربية في تزكية النفس وتطهيرها ودعم جانب التقوى ومقاومة جانب الفجور والحفاظ على فطرة الله التي فطر الناس عليها . والإسلام لا يقف ضد رغبات الفرد المادية لكنه ينظم ممارستها حسب الشريعة بما يحقق صالح الفرد والمجتمع ، ويعلم الإسلام الفرد المؤمن الصبر وقوة الإرادة والتحكم في رغباته والقدرة على تأجيلها وهذا هو مؤشر النضج الانفعالي Emotional Maturity ويوجه الرسول عليه السلام الشباب إلى الزواج لمن يستطيع وإلى الاستعانة بالصوم لمن لا يستطيع . قال عليه السلام : « معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحرص للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له رجاء » (رواه البخاري ٣/ ٢٣٨) وهذا هو إعلاء الغرائز في أسمى صورة . ويوجه الإسلام الشباب المسلم لقضاء أوقات الفراغ فيما يعود عليهم وعلى أمتهم بالنفع كالتربية الرياضية والقراءة . . . إلخ .

سابعاً : التربية الإسلامية تربية موجهة نحو الخير

يستهدف الإسلام أساساً تقدم الإنسان وتمتعه بالخيرات والصحة به يقول تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » (الأنبياء ١٠٧) ولا يوجد معيار للتمايز بين البشر غير التقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (الحجرات ١٣) والعلم والعمل الصالح.وتستهدف التربية الإسلامية تربية المسلمين على تمثل القيم التي تكفل لهم الفلاح في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة وفي مقدمتها الإخلاص وإحضار النية «وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ » (البينة ٥) والصبر يقول تعالى : « إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » (الزمر ١٠) والصدق ، يقول تعالى : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ» (التوبة ١١٩) ومراقبة الله والتوكل عليه « وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ » (ابراهيم ١١) والإستقامة « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ » (هود ١١٢) والتعاون على البر والتقوى « وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى » (المائدة ٣) والنصيحة المتبادلة « إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ » (النور ١٩) والعدل « إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ» (النحل ٩٠) وقال تعالى : « وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ » (الحجرات ٩) .

ثامناً : التربية الإسلامية تربية مستمرة :

فهي لا تنتهي بفترة زمنية معينة وإنما تمتد من المهد باستمرار لتحصيل المزيد من العلم والمعرفة « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قليلاً » كما تدعو إلى إعمال البصر والعقل في الكون المادي والعالم الاجتماعي من أجل التقدم في فهمهما وتحقيق حياة إنسانية أسعد على هذا الكوكب . والحياة لا تسير على وتيرة واحدة فهي في تغير مستمر ولا بد على الإنسان المسلم أن يساير هذا التطور بل وأن يقوده من خلال إعداد الشباب المؤمن المتعلم المنجز .

تاسعاً : التربية الإسلامية تربية عالمية منفتحة :

فالإسلام دين لكل البشر وليس لأقوام محددة كما هو الحال في الديانات السابقة عليه ، وهو يرفض التعصب ويتجاوز الانغلاق الطبقي أو العرقي أو اللوني أو الفئوي ، ويقر معياراً عاماً للتمايز في متناول الجميع وهو التقوى « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ويقول تعالى : « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ » (الحجرات ١٣) . وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله « كلكم لآدم وآدم من تراب » والتربية الإسلامية يتساوى فيها كل البشر لا تستأثر بها طبقة دون طبقة أو فئة دون فئة وليس فيها أسرار - كما في بعض الديانات والمسلمون يتساوون ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم من الكفار. ومنذ المرحلة الأولى في العهد المكي والمسلمون قلة قليلة تعد بالأفراد ، قلة مطرودة من كل حمى إلا حمى الله الواحد القاهر فوق عباده . يقر القرآن الكريم عالمية الدعوة الإسلامية وإنسانيتها فيقول تعالى في سورة مكية من أوائل السور وهي سورة التكوير « إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ » (التكوير ٢٧) . فهي دعوة للعالمين وليس لقريش ولا لأهل مكة ولكنها لكل البشر ، دعوة لا تعرف حدود الوطن أو العنصر أو القبيلة فهي تخاطب الإنسان كإنسان كائناً من كان وحيثما وجد .

عاشراً : التربية الإسلامية تجمع بين المحافظة والتجديد :

فهي محافظة بالنسبة لمجال المعتقدات وما تقوم عليه من مبادىء سماوية خالدة وتقاليد راسخة وقيم عريضة وترفض البدع ، يقول تعالى : « وما ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوْا » (الحشر ٧) . وقال تعالى : « قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (آل عمران ٣١) . وحذر عليه الصلاة والسلام من محدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة . وإذا كانت التربية الإسلامية تحافظ على الأصول العقدية والتشريعية ، فإنها تدعو إلى التجديد من أجل الوفاء بمطالب الحياة المتغيرة في كل عصر ، بشرط الالتزام بالأصول العامة .

أساليب التربية الإسلامية :

يعتمد النظام التربوي الإسلامي على مجموعة من الأساليب التي لم يصل إليها الفكر العربي - كأساليب تربوية لتنمية الشخص تنمية متكاملة - إلا حديثاً . ونستطيع إيجاز أهم هذه الأساليب فيما يلي :

أولاً : أسلوب القدوة الصالحة : وهو أهم الأساليب فلا خير في مرب يتشدق بقيم واتجاهات لا يحققها سلوكياً في نفسه ، وينهانا القرآن الكريم عن التناقض بين القول والفعل يقول تعالى : « يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللهِ أَن تَقُولُوْا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » (الصف ٢ - ٣) . وقد كان رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة لكل المؤمنين والمثل الذي يجب الاهتداء به . قال تعالى : « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوْا ٱللهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ » وعندما سئلت السيدة عائشة عن خلق الرسول قالت: « ألست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى . قالت فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن » (أخرجه مسلم / ٥١٣) ويجب على كل مرب - أب أو مدرس أو واعظ . . . أن يضرب المثل بنفسه لكل ما يدعو إليه حتى يكون له الأثر الطيب في نفوس النشء ، إلى جانب تخير الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الأطفال لما له من أثر في الصياغة الثقافية Cultural Moulding للفرد. ويجب أن تكون سيرة الرسول عليه السلام جزءاً دائماً من منهج التربية ليكون قدوة حية أمام الناس . وقد سبق أن أشرنا إلى هذه النقطة .

ثانياً : أسلوب الترغيب والترهيب :

يعتمد الإسلام في صياغة الشخصية الإسلامية وتنمية التلميذ معرفياً وعقلياً ونفسياً على أسلوب الثواب والعقاب وهو أسلوب يتفق مع طبيعة الإنسان حيثما كان

وفي أي مجتمع مهما كانت عقيدته ولونه وجنسه . فالإنسان يتحكم في سلوكه وفكره ويعدل فيهما بمقدار إدراكه لطبيعة أو نوعية ما يترتب عليهما من نتائج وخبرات - سارة أو مؤلمة ، ويميل الإنسان إلى الخبرات والسلوك الذي يقترن بخبرات سارة والتخلي أو رفض السلوك الذي يقترن بخبرات مؤلمة . ويستخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب حيث يحرص باستمرار على تأكيد أن هناك نتائج إيجابية للإيمان ومراقبة الله والتحلي بالقيم الإسلامية ، وهناك نتائج سلبية سيئة للانحراف عن العقيدة سواء في الدنيا وفي الآخرة . يقول تعالى « إنّ الّذينَ قالوا ربّنا اللهَ ثم استقامُوا تَتَنَزَّل عليهمُ المَلائِكَة ألا تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَابشرُوا بالجنّة التّي كُنْتُم توعدُون ، نَحْن أولياؤ كُمْ في الحياة الدُّنْيا وَفِي الآخرة ولَكُمْ فيها ما تَشْتَهِي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم » (فصلت ٣٠ - ٣٢) ويقول تعالى « إنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَلِّبِينَ ، كَذَلِكَ وَزَوَّجنَاهُمْ بِحُورٍ عينٍ ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ، لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إلاَّ ٱلْمَوْتَةَ ٱلأولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ، فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » (الدخان ٥١ - ٥٧) وفي مقابل هذا الوضع والمصير الرائع للمؤمنين ، هناك الوضع والمصير المزري للمشركين والكفار والمنحرفين يقول تعالى : وَلِكُلٍ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوْا وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ، وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُون » (الأحقاف ١٩ - ٢٠) . وإذا كان الإيمان معرضاً باستمرار إلى الزلل فيجب عليه أن يتوب من قريب وأن يستغفر ربه بصفة مستمرة ، فذلك هو أسلوب العودة إلى الله ونبذ السيئات . وهذا الأسلوب التربوي يجب أن يستخدمه الآباء والمدرسون من أجل غرس القيم والمعلومات المطلوبة في نفوس التلاميذ وتوجيه سلوكهم في الإتجاه المطلوب .

ثالثاً : أسلوب التوجيه والموعظة الحسنة

الإنسان قابل للتأثر بالتوجيهات والتشكيل لما تتمتع به الطبيعة الإنسانية من مرونة وقابلية للتشكيل . وهذه القابلية تمثل استعداداً مؤقتاً الأمر الذي يستلزم تكرار

التوجيهات في كل مناسبة حتى تثبت في نفس النشء . وهذا الأسلوب مكمل للأساليب السابقة واللاحقة التي سيأتي ذكرها إنها تتكامل لتحدث الأثر المطلوب . والحاجة إلى الموعظة والتوجيه ليست قاصرة على الأطفال فقط وإنما تمتد هذه الحاجة إلى الكبار ومجتمع الراشدين لما يوجد في النفس الإنسانية من ضعف والذكرى تنفع المؤمنين. ويحفل القرآن الكريم بالعديد من المواعظ والتوجيهات الكريمة « إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوْا ٱلأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ إِنَّ ٱللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ، إِنَّ ٱللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً » (النساء ٥٨) ، وقال تعالى : « وَٱعْبُدُوْا ٱللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَانـاً وَبِـذِي ٱلْقُرْبَـى وَٱلْيَتَامَـى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَى وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً » (النساء ٣٦) ويجب على المربين أن يستمروا في توجيه النشء في كل موقف ـ حسب طبيعة الموقف ـ حيث يجب أن يتسم التوجيه بالموقفية Situational وبذلك يكون نوعاً من الدعوة غير المباشرة ، وفي هذه الحالة يكون تأثيره أقوى وأثبت . ويجب أن تتسم المواعظ والتوجيهات بالأسلوب الحسن والبعد عن الجفاف مع إشعار النشء أن المربي حريص على صالحهم يقول تعالى : « ٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَٱلْمَوْعِظَـةِ ٱلْحَسَنَةِ » (النحل ١٢٥) .

رابعاً : أسلوب العقاب الفعلي

وإذا كان أسلوب التوجيه اللفظي أو العملي وأسلوب الموعظة يجدي مع أغلب الناس ، فهناك مجموعة من الناس لا يجدي معهم هذا الأسلوب ، ولا يزيدهم التوجيه إلا عناداً وانحرافاً وهؤلاء ليسوا أسوياء . كذلك فإن المبالغة في الرقة والتلطف مع النشء أمر غير مطلوب ، حيث يجب أن تجمع التربية الناضجة بين اللين والحزم ومن الحزم استخدام العقوبة أو التهديد باستخدامها في بعض الأحيان .

ولم يترك الإسلام باباً للنفاذ إلى نفس الإنسان والتأثير عليها إلا وطرقه ، فهو يستخدم القدوة والموعظة والترغيب والترهيب والعقوبة فهو مرة يهدد بعدم رضا الله

سبحانه ، وذلك أيسر التهديد وهو عظيم الأثر في نفوس المؤمنين، يقول تعالى : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ »(الحديد ١٦)، ومرة يهدد القرآن بغضب الله صراحة كما جاء في حديث الإفك وتلك درجة أشد يقول تعالى: « وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، إذ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ ٱللهِ عَظِيمٌ ، وَلَوْلاَ إذ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ ٱللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »(النور ١٤ ـ ١٧) . ومرة أخرى يهدد الله سبحانه المنحرفين بحرب من الله ورسوله يقول تعالى « يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَى إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإن لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَإن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ » (البقرة ٢٧٨ ـ ٢٧٩) . ويلجأ القرآن كثيراً إلى التهديد بعقاب الآخرة قال تعالى : « وَٱلَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إلهاً ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً »(الفرقان ٦٨ ـ ٦٩) . كذلك فإن القرآن الكريم يهدد بالعقاب في الدنيا يقول تعالى : « إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(التوبة ٣٩) . ويقول تعالى : « وَإن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ ٱللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ » (التوبة ٧٤) . ويأمر الله بتوقيع العقاب فعلاً « الزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بهمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللهِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (النور ٢) . ويقول تعالى : « وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكلاً مِنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (المائدة ٣٨) .

وهذا التدرج في العقاب يراعي طبائع الناس كما يراعي تعدد المواقف فمن الناس من تكفيه الإشارة ومنهم من لا يردعه إلا الغضب ، ومنهم من يرجع عن

الانحراف أو المشروع في الانحراف إذا هدد بالعقاب ، ومنهم من لا يرجع عن غيه إلا بعقاب نفسي أو بدني أو هما معاً .

خامساً : أسلوب القصة :

يعد الأسلوب القصصي في التربية من أنجح الأساليب لما للقصة من سحر وتأثير كبيرين على نفس السامع وعقله ولما يمكن أن تؤديه القصة ـ من خلال مضامينها التربوية ـ من دور في غرس الإيمان والقيم والاتجاهات والميول المطلوبة في نفس الفرد ـ خاصة في مرحلة الطفولة ، وإن كان أثرها يمتد على مدى حياة الإنسان . ويراعي القرآن الكريم هذا الميل الطبيعي لدى الإنسان إلى القصة فيقدم العديد من القصص المحتوية على مضامين إيمانية تربوية عميقة كأسلوب فعال في تربية المسلمين ، وهو يستخدم كل أنواع القصة ، القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وأحداثها ، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية فعلية ، ويستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج ، والقصة التمثيلية الحوارية التي يمكن أن تحدث في أي لحظة وأي مكان وأي عصر . ومن النوع الأول كل قصص الأنبياء وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من هلاك ودمار نتيجة هذا التكذيب ، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها ومواقع حدوثها المكانية وزمن حدوثها مثل قصص موسى وفرعون ، وعيسى وبني إسرائيل ، وصالح وثمود ، وشعيب ومدين ، ولوط وقريته ، ونوح وقومه ، وإبراهيم واسماعيل . . . الخ . أما النوع الثاني : قصة ابني آدم قال تعالى : « وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ ٱبْنَي ءَادَمَ بِالْحَقِّ إذ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَال إنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ، لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ » (المائدة ٢٧ ـ ٣٠) ومن النوع الأخير قصة صاحب الجنتين « وَٱضْرِبْ لَهُم مَثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ، كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ

شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَراً ، وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ، أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَداً ، وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ، أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ، لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ، وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ ٱللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ، فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ، أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ، وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً »(الكهف ٣٢ ـ ٤٣) ويوظف القرآن الكريم القصة في خدمة تحقيق العديد من الأهداف ـ مثل تثبيت فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام ، وإيضاح أسس الدعوة إلى الله وتصديق الأنبياء السابقين وإظهار صدق محمد عليه الصلاة والسلام ومقارعة أهل الكتاب بالحجة ، إلى جانب جميع أنواع التربية والتوجيه ، تربية الروح وتربية العقل وتربية الجسم ، حيث تتضمن مضامين تربوية ترسخ الدوافع الإيمانية في نفوس المؤمنين وتضرب لهم القدوة والمثل وتحذرهم من نتائج الكفر والانحراف . ومن الطبيعي أن توظف القصة في القرآن لخدمة أهداف دينية من أجل تربية المؤمنين ، فليس القرآن الكريم كتاب قصة غير أن إعجاز بلاغة القرآن ودقة الأداء وفنية التعبير جعل القصص القرآني الذي يحتوي على مضامين دينية وتربوية طليقة بليغة من المنظور الفني . وهذا يشير إلى إمكانية استخدام القصص كأسلوب في التربية بشرط نقاء مضمونها واتفاقه مع مبادىء الإسلام .

سادساً : أسلوب التربية السلوكية باقتلاع (Dislearning) العادات السيئة وتكوين العادات الصالحة: وهذا الأسلوب لم تكتشف أصوله إلا مدرسة ديناميات الجماعة Group Dynamics حديثاً في حين أن الإسلام نبه إليه منذ أكثر من أربعة عشر قرن . وقد بدأ الإسلام بإزالة العادات السيِّئة التي سادت مجتمع الجاهلية ، وكان السبيل إلى ذلك أمرين ، الأول هو القطع الحاسم الفاصل ،

والثاني أسلوب التدرج البطيء . ويتوقف استخدام الأسلوب الأول أو الثاني على نوع العادة التي كان يعالجها ودرجة أهميتها ومدى عمقها داخل الجماعة . فالعادات التي تتصل بالعقيدة هي الأسس الجوهرية للإسلام - مثل عبادة الأصنام والوقوف أمام التماثيل والدعارة . . . - قطعها الإسلام بشكل حاسم من اللحظة الأولى لأنها مثل الأورام السرطانية لا بد أن تستأصل من جذورها وإلا فلا حياة . ومن أمثلة هذه العادات الوثنية التي استأصلها الإسلام الشرك والاجتماع حول الأوثان والتوسل إليها ووأد البنات والكذب والغيبة والنميمة والتكبر . . الخ . أما بالنسبة لبعض العادات الاجتماعية التي تحتمل التأجيل في اقتلاعها والتي تمارس بشكل جماعي وتتمكن من نفوس الناس ولا تتصل بالأساس الأول للإيمان وإن كانت ترتبط به بشكل وثيق مثل شرب الخمر والزنا والربا والرق ، فقد لجأ الإسلام في علاج كل منها إلى التدرج على مراحل ودرجات ، أو أخر تحريمها حتى اكتمل نمو المجتمع المسلم ونضج .

فالخمر جاءت أول إشارة لتحريمه في قوله تعالى : « تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً » (النحل ٦٧) ففصل سبحانه بين السكر والرزق الحسن ، وكان توجيهاً رقيقاً أحس فيه أذكياء المسلمين أنها بداية لتحريم الخمر ، ثم كانت الإشارة الثانية في سورة البقرة « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا » (البقرة ٢١٩) وتشير هذه الآية إلى تحقيق مرحلتي الوعي والاقتناع وهما خطوتان أساسيتان من خطوات تغيير الإتجاهات Attitude change على المستوى اللفظي . ثم جاءت الاشارة الثالثة في سورة النساء في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » (النساء ٤٣) ، وهو هنا يربط الصلاة بالامتناع عن الخمر ، فهو سبحانه يحض المسلمين على اتخاذ موقف عملي من الخمر بالامتناع عنها حتى تصح الصلاة وهو في الواقع امتناع ونهي عن التعاطي لأن الإنسان لا يستطيع عملياً أن يشرب ثم يفيق قبل حلول موعد الصلاة . ثم جاءت الخطوة الحاسمة في سورة المائدة في قوله تعالى : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (المائدة ٩٠) .

أما الزنا فقد تدرج به الأمر من النصيحة إلى التهديد بالعقوبة إلى تقرير عقوبة

مجملة ثم إلى تقرير عقوبة مفصلة محددة ، كما تدرج من عدم إكراه الفتيات على البغاء مع إباحة زواج المتعة إلى تحريم البغاء وتحريم زواج المتعة معاً وإغلاق كل الطرق إلى ممارسة الجنس إلا الزواج المشروع المؤبد الدائم المعقود باسم الله وبنية الدوام* . وبالنسبة للربا فقد أخر تحريمه إلى العام العاشر من الهجرة حتى اكتمل نمو الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي . وبالنسبة للرق فقد اتخذ الإسلام في معالجته وسائل بطيئة جداً تنتهي في النهاية بتحرير الرقيق .

هذا بالنسبة لمنهج الإسلام في القضاء على سيء العادات ، أما منهجيته في غرس وتثبيت ودعم العادات الصالحة المرغوب فيها فإنه وضع عدة أساليب :

أ ـ أسلوب الهزة الوجدانية العنيفة الموحية القادرة على تغيير البناء العقدي والتصوري عند الإنسان ، واستخدام هذا الأسلوب من أجل تحويل الناس من الكفر إلى الإيمان ، ويقترن هذا الأسلوب بتغيير البيئة حيث ينتقل المسلم من بيئته الكافرة لينتمي إلى جماعة الإيمان حيث يدخل معهم في علاقات إيمانية قوامها العدل والمساواة والتآخي ، ويمارس معهم شعائر الإسلام ويستمع معهم إلى القرآن الكريم ، ويشترك أعضاء الجماعة الإسلامية في الآلام والآمال والجهاد . وهنا تصبح النماذج السلوكية الجديدة ظاهرة فردية وجماعية معاً (الاستقامة ـ الصدق ـ العدل ـ الاخاء . . . إلخ .) فالإسلام يستثير الوجدان ويغرس الرغبة في العمل ثم يحول الرغبة إلى عمل وسلوك يدعمه الإيمان وتدعمه الجماعة المسلمة .

ب ـ الاقناع والاقتناع العقلي : فالإسلام يتضمن جانب الغيب وهو مسألة إيمانية خالصة وجانب عقلي يحاول الإسلام إقناع المؤمنين به . والإسلام جانب عقلي يدعو إلى إعمال العقل وينعى على أولئك الذي يعطلون عقولهم . فالإسلام يعرف ، ثم يستثير الرغبة ، ثم يعمل إلى ترجمتها سلوكياً على المستويين الفردي والجماعي معاً .

سابعاً : إستخدام الأساليب الحسية :

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يكثر من التشبيهات الحسية من أجل

* يمكن الرجوع إلى دراسة محمد قطب ، مناهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ص ٢٤٦ ـ ٢٥١ .

توضيح الأمور المعنوية فكان مثلاً يخط خطاً على الرمال وخطين عن يمينه وخطين عن شماله ، ثم يمثل لهم الأول بأنه « سبيل الله » ويقول لهم عن الخطوط الجانبية بأنها سبيل الشيطان ، ويتلو قوله تعالى : « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(الأنعام ١٥٣) .

وهذه التشبيهات هي ما يمكن أن نطلق عليه بالتعبيرات المعاصرة وسائل الإيضاح .

ويحفل القرآن الكريم بالعديد من التشبيهات الحسية قال تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ » (إبراهيم ٢٤) .

ثامناً: أسلوب النقاش والحوار Dialogue

وتعتمد الطرق الحديثة في التدريس على تطبيق أسلوب الجماعات النقاشية Discussion Groups وعادة ما يتم التفاضل بين الطريقة الإلقائية والطريقة النقاشية في التدريس ، وقد توصل الفكر النفسي والاجتماعي الحديث إلى أن الطريقة المناسبة هي التي تتفق مع طبيعة الموضوع ومدى معرفة المستمعين به، ونوعية المستمعين ومستوى ذكائهم وقدراتهم الإدراكية ، وعددهم . . . الخ . وتوصل أنصار مدرسة ديناميات الجماعة إلى أن الطريقة النقاشية تفوق الطريقة الالقائية داخل الجماعات الصغيرة مثل موقف الفصل الدراسي . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستخدم كلاً من الأسلوبين حسب مقتضى الحال . وكان عليه السلام يستخدم أسلوب الحوار بشكل موجه لتحقيق غايتين، الأولى توجيه الصحابة وتعليمهم حقيقة دينهم ـ كما حدث مع معاذ بن جبل عندما أرسله والياً على أحد الأقاليم وسأله إذا عنَّ له أمر فيما ذا يقضي ـ قال إنه يقضي بكتاب الله ، ثم بسنة رسوله، ثم يلجأ إلى الاجتهاد ، والغاية الثانية من أجل الوصول إلى الرأي الصائب فيما لم يرد فيه وحي ولا نص كما حدث في اختيار المكان في موقعة بدر . ويعلمنا القرآن الكريم أبرع أساليب الحوار كما في حالة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواره مع الملحد ومع أبيه وحوار سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون . . . الخ ومثال هذا « إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ، يَٰأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ

مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا ، يَأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا » (مريم ٤٢ - ٤٧) . وقال تعالى : « اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ، قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ، قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ، فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ، قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى ، قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى » (طه ٤٣ - ٥٢) .

تاسعاً : أسلوب المحاولة والخطأ :

ادعى علماء الغرب - مثل « ثورنديك » (١٨٧٤ - ١٩٤٩) أنهم اكتشفوا أسلوباً جديداً في التعلم أو تفسير كيف يتعلم الإنسان والحيوان، واتضح ذلك في نظرية المحاولة والخطأ Trial and Error . ومنطوق هذه النظرية أن الفرد يتعلم من خلال القيام بعدة محاولات عشوائية دون خطة واضحة ، وأنه يكتشف المحاولات الصحيحة مصادفة . وهناك مجموعة من القوانين التي تحكم التعلم بالمحاولة والخطأ مثل قانون التكرار Law of Exercise . ويذهب ثورنديك Thorndike ، وقد اتضح أن التكرار وحده لا قيمة له ، ذلك أن التعلم ينطوي على عامل آخر يقوي الرابطة - العصبية بين المثيرات والإستجابات - في حالة النجاح ويضعفها في حالة الفشل ، هذا العامل هو ما أطلق عليه ثورنديك قانون الأثر Law of Effect ومنطوقه أن الفرد يميل إلى تكرار السلوك الذي يصاحبه أو يتبعه ثواب ، كما ينزع إلى التخلي عن السلوك الذي يصاحبه أو يتبعه عقاب ، فالاستجابة الناضجة تقترن بحالة من الرضا والارتياح الأمر الذي يقوي الروابط بين المثير والاستجابة الناضجة والعكس صحيح . . . الخ . والواقع أن الجديد ليست الفكرة

لكن إجراء التجارب ومحاولة صياغة قوانين للتعلم ، ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام استخدم أسلوب التجربة والخطأ في تعليم أصحابه عليهم الرضا من الله ، ذلك أنه عليه السلام كان يراقبهم برهة وهم يطبقون تعاليم الإسلام ثم يصحح لهم أخطاءهم حتى يتعلموا بالممارسة والتجربة الذاتية Laerning by Doing وكان في هذا يطبق مبدأ من أحدث مبادىء التعلم وهو « التعلم بالعمل » ومن أشهر الأمثلة حديث المسيء صلاته الذي أخطأ عدة مرات في الصلاة - وهو يصلي أمام الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعد عدة مرات اشتاق إلى التعلم فأرشده عليه السلام فتعلم الصحابي واستفاد من خطأه ومن إرشاد النبي عليه السلام له .

عاشراً : أسلوب استخدام الأحداث والظروف والمواقف في مجال التعليم :

المربي الناجح هو الذي يستغل الأحداث والمواقف المختلفة المتنوعة لتعليم النشء . فالمواقف تثير حالة في النفس من الداخل تحقق التهيؤ الذهني لتقبل المعلومات والتوجيهات . ويتضح هذا النوع من التعليم باستخدام المواقف والأحداث وإعطاء الجرعة التوجيهية أو المضمون التربوي الملائم لكل موقف ، بشكل معجز في القرآن الكريم بشكل عام وبشكل تفصيلي . ويتمثل الأول في مضمون التوجيه التربوي القرآني الكريم في مكة ، الذي اختلف عنه في المدينة . ففي العهد المكي كان التوجيه إلى الصبر على الأذى واحتمال المكروه والصمود في وجه الكفار . . . أما في العهد المدني صدر التوجيه إلى رد العدوان واستخدام القوة في رد المعتدين وتحقيق العزة ورفض الخضوع . ومن أمثلة الآيات الكريمة التي نزلت في العهد المكي والتي تحض على الصبر والجلد والتحمل ما جاء في سورة المزمّل « وَٱصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً » (١٠) . أما في العهد المدني - عهد القوة والعزة الإسلامية - فقد فرض القتال والدفاع ورد العدوان ومحاربة الكفر . وكان سبحانه يعلم المؤمنين أخطاءهم خلال المواقف الفعلية الواقعية حتى يتخلصوا من أخطائهم ويتحقق لهم النصر والغلبة والعزة - يقول تعالى: « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ » (التوبة ٢٥) وهكذا يعلم الله سبحانه المسلمين من هذا الدرس القاسي ، يعلمهم أن الفوز والهزيمة لا تتعلق بقضية العدد أو بأسباب القوة الأرضية

بقدر ما تتعلق بعون الله ونصرته وإرادته . كذلك فإن الله سبحانه وتعالى يعلم المسلمين ويوضح لهم دروساً مستفادة من واقعة بدر: «وَإِذْ يَعِدُكُمْ ٱللهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ ، لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ، إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ ، وَمَا جَعَلَهُ ٱللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ ، قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال ٧ ـ ١٠) .

حادي عشر : توجيه طاقات الإنسان في مساراتها الصحيحة :

إذا كانت الطبيعة الإنسانية تنطوي على طاقات كامنة أودعها الخالق سبحانه ، فإن اختزانها في النفس يؤدي إلى الأمراض النفسية والانحرافات السلوكية ، كذلك فإن توجيهها في المسارات الباطلة يؤدي كذلك إلى الانحراف . ويحرص الإسلام على توجيه طاقات الإنسان إلى الحب والكره والعمل والجنس . . . في مساراتها الصحيحة وفيما يعود بالخير على الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبما يكفل تحقيق المجتمع الصالح الذي يقوم على الاخاء والعدل والتكافل . . . الخ . فطاقة الكره توجه إلى كراهية الشيطان وكراهية الفسوق والكفر والشرك . وتوجه طاقة الحب إلى حب الله ورسوله والمؤمنين . وطاقة العمل توجه إلى الصالح من الأعمال والأبحاث والاكتشافات الناضجة وطاقة الجنس توجه إلى الزواج الشرعي وإلى إنجاب ذرية صالحة . وهذا يعني أن الإسلام يوجه طاقات الإنسان في مسارات الجهاد والانتاج والبناء والاستمتاع المشروع وهدم الباطل ، وهذا يعني تصريفها فيما يرضي الله سبحانه .

ثاني عشر : أسلوب استثمار وقت الفراغ :

يحرص الإسلام على استثمار وقت الإنسان من يقظته إلى نومه ، ويحسن توزيع وقت الإنسان بين العبادة والعمل الجاد والراحة والترفيه الهادف والاستمتاع بالطيبات ، فالإسلام دين يسر « يُرِيدُ ٱللهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ » (البقرة ١٨٥) « وإن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » كما يذكر عليه الصلاة

والسلام . ولا يهدف الإسلام إلى استنفاد طاقة الإنسان فليس ذلك قط من اهداف الإسلام الذي يدعو إلى الاعتدال وعدم الإفراط أو التطرف ويعترف بحق العقل وحق النفس وحق البدن وحق الإنسان في الترويح الطيب البريء ، ويدعو الإنسان المؤمن أن يأخذ زينته عند كل مسجد وأن يستمتع بالطيبات من الرزق وأن يتذكر نصيبه من الدنيا . فالإسلام يدعو إلى توزيع الوقت بين العبادة والعمل الجاد والتعلم والتفكر في الكون والمجتمع والتاريخ والإنسان من أجل فهم سنن الله سبحانه التي تسير هذه المخلوقات وتحكمها وإدراك عظمة الخالق والانتفاع بها في الحياة الدنيا ، هذا إلى جانب السمر الطيب والترفيه المقبول والتزاور وممارسة أنواع الرياضة الهادفة ـ كالسباحة والرماية وركوب الخيل . . . الخ . وإذا كان الإسلام قد ألغى عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها وأساليب حياتها ، فلم يترك ذلك فراغاً يتحير المسلمون في ملئه ، أو يملأونه فيما لا يفيد ، بل جعل لهم في الحال أعياداً مقابلة ومراسم ومهام تملأ فراغهم ، مثل العيدين الأكبر والأصغر والتجمع لتلاوة القرآن الكريم ودراسته والاستماع إلى توجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام . . . ويجب على المربين أن يوظفوا وقت الفراغ لدى النشء فيما يفيدهم جسمياً وعقلياً ونفسياً ويسهم في تنميتهم بشكل شامل متكامل ، وفيما يعود بالنفع على المجتمع معاً .

مبادىء التعلم في النظرية التربوية الإسلامية :

يربط الإسلام بين التقوى والتعلم حيث يقول تعالى : « وَٱتَّقُوْا ٱللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللهُ وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (البقرة ٢٨٢) . ويقول تعالى : « وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ » (البقرة ٢٥٥) ويشير القرآن الكريم إلى أنه سبحانه يصرف الذين يتكبرون في الأرض عن آياته ، يقول تعالى : « سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوْا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَكَانُوْا عَنْهَا غَافِلِينَ » (الأعراف ١٤٦) . فهناك علاقة بين المعرفة وأسلوب توظيفها وبين الإيمان بالله . فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهناك مجموعة من المبادىء

التي يجب الاهتداء بها خلال عملية التعلم ، يمكن استنتاجها من الكتاب والسنة نوجزها فيما يلي :

أولاً : الربط بين النظرية والتطبيق

يعد هذا المبدأ من أحدث مبادىء التعليم التي لم يتنبه إليها رجال التربية إلا مؤخراً وقد سبق أن نبه القرآن الكريم منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة إلى هذا المبدأ الهام وهو ربط المعلومات النظرية بالتطبيق والممارسات العملية يقول تعالى : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً » (النساء ٦٦) . ويتضح من قراءة القرآن الكريم أن الله سبحانه يقرن الإيمان بالعمل الصالح « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ . . . » (البقرة ٢٧٧) . ويذكر ابن مسعود أن الرجل في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن ويعمل بهن . ويحذرنا القرآن الكريم بعمل شيء خلاف ما نقوله وضرورة الالتزام بما نقوله قولاً وعملاً « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (الصف ٢ ـ ٣) .

ثانياً : مراعاة استعدادات المتعلم وقدرته الإستيعابية والإدراكية .

نبه القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة إلى ما يطلق عليه علم النفس الحديث الفروق الفردية Individual Diffrences فالأفراد تتفاوت قدراتهم العقلية واستعداداتهم وميولهم وذكائهم . . كذلك فقد نبه القرآن الكريم إلى ضرورة أخذ خصائص كل مرحلة من مراحل النمو في الاعتبار عند إعطاء الجرعات التعليمية والتربوية للأفراد قال تعالى : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ » (البقرة ٢٨٦) . ويمكن القول أن التدرج في التشريع الإسلامي ـ كما هو الحال في تحريم شرب الخمر وتحريم

الزنا . . . راعى القدرة الاستيعابية لأعضاء مجتمع الجاهلية وهو ما يطلق عليه اليوم الجوانب الإجتماعية للقانون Sociology of Law وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يستخدم الأساليب الحسية ـ أو وسائل إيضاح حسية مبسطة ليقرب المعاني المجردة لأذهان المسلمين وقد سبق إيضاح ذلك.

ثالثاً : تكوين الإتجاهات قبل الفهم واستيعاب المعلومات :

نبه القرآن الكريم إلى ضرورة تكوين الإتجاهات الإيجابية نحو قضية أو علم أو موضوع ما قبل تلقي المعلومات والتفصيلات بشأنه وهو ما يطلق عليه اليوم تحقيق التهيؤ الذهني والنفسي لدى المتعلم . ويتضح هذا في أول سورة البقرة التي توضح أن الكتاب الكريم موجه للذين يؤ منون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم سبحانه . . . يقول تعالى: ﴿» ألم ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الذينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالذينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ» (البقرة ١ ـ ٥). وما لم يتكون الاتجاه الإيماني السليم لدى المتعلم (في مجال العقيدة) فلن تجدي محاولات الإقناع والتعلم والبرهان . . . الخ . وقد بين سبحانه ـ على سبيل المثال ـ أن المعجزة لا تجدي مع من لم تتكون لديهم الاتجاهات الإيمانية والذين يكابرون يقول تعالى : « وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ » (الحجر ١٤، ١٥) ويقول سبحانه « وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ » (الحجر ١١) . وقال تعالى « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ، وَقَالُوْا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعاً ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ » (الاسراء ٨٩ ـ ٩٦) . وقصة بني اسرائيل مع أنبيائهم تؤكد أهمية التهيؤ الذهني لتقبل الرسالة وهو ما يمكن أن نطلق عليه الاتجاه الإيجابي نحو الإيمان وهذا المبدأ ينطبق على كل أنواع التعلم من تعلم العقيدة إلى تعلم الهندسة والطب ومختلف العلوم والمهن.

رابعاً : تسهيل العملية التعليمية وتيسير حصولها :

يحرص الإسلام باستمرار على التيسير على المؤمن فالدين يُسرٌ لا عسر فيه وكان النبي عليه الصلاة والسلام يوصي بالرفق بالمتعلمين وتسهيل أمورهم .

خامساً : التعزيز من خلال الاستفسار والمراجعة والمناقشة :

يوضح لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة إمكان النقاش والاستفسار من أجل الفهم وزيادة اليقين « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » (البقرة ٢٦٠) . وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يكثروان الاستفسار منه عليه الصلاة والسلام من أجل زيادة الفهم وتأكيد اليقين والفهم .

هذه هي أهم المبادىء الأساسية للتعليم في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهناك مجموعة من المبادىء العامة التي يجب الاسترشاد بها والتي تعد أصولاً للنظرية التربوية الإسلامية يمكننا إيجازها فيما يلي :

أولاً : التطور سنة من سنن الحياة

يفرق الإسلام بين أمرين ـ العقيدة ، والأمور الدنيوية . فالعقيدة ثابتة والشريعة الإسلامية تلائم كل عصر ولا تغيير فيها ، أما الأمور الدنيوية فإنها تتغير تبعاً لتطور العلوم والتكنولوجيا ، ولم ينه الإسلام عن مواكبة التطور والتغير والأخذ بالعلوم الحديثة ـ التي يدعو الإسلام إلى تطويرها وإعمال العقل في كل مخلوقات الله سبحانه ـ بشرط عدم تعارضها مع مبادىء الشريعة الأساسية قال تعالى : « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » (الأنبياء ٧٣) . وقال عليه السلام : من سن في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (رواه مسلم ٢/ ٧٠٥) .

ثانياً : التبصر في التراث وإعمال العقل وعدم التقليد الأعمى :

سبق أن أشرنا إلى أن الإسلام يعيب على المقلدين تقليدهم الأعمى ويدعو إلى

إعمال العقل لا تعطيله « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ ٱللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ » (البقرة ١٧٠) . وقد يعتمد الناس في تبريرهم فعل الفواحش على أنها مسألة تتعلق بالتراث يقول تعالى : « وإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَٱللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ، قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » (الأعراف ٢٨ - ٢٩) وتشير الآية إلى أن الناس قد تخلط بين العادات والتقاليد والممارسات السلوكية المنحدرة من الماضي وبين قضايا الدين المقدسة من أجل إضفاء قوة على ما ينحدر من الماضي مع بطلانه . ولهذا يدعو القرآن الكريم إلى ضرورة تمحيص التراث ودراسته قبل إقراره والعمل به . ومعيار السواء والانحراف أو الرفض والقبول هو مبادىء الشريعة الإسلامية .

ثالثاً : الانفتاح العقلي على مختلف التجارب والخبرات البشرية مع تقييمها من المنظور الإسلامي :

والاستفادة مع ما يتفق منها مع مبادىء الإسلام ورفضه ما يتعارض معها ويقول عليه الصلاة والسلام : « الحكمة ضالّة المؤمن فحيثما وجدها فهو أحق بها » (أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٩٥) . ومما نص به القرآن الكريم على اليهود والنصارى انغلاق كل فريق وتقوقعه ورفض الحوار أو التفكير فيما لدى الآخر من تراث وأفكار قال تعالى : « وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » (البقرة ١١٣) . كذلك يندد القرآن الكريم بإصدار أحكام مسبقة على أي أمر من الأمور أو أي فكرة أو رأي تنبثق عن انغلاق سلبي وخوف أو تخوف من المناقشة الحرة المفتوحة دون فهم أو وعي بطبيعة الأمر أو الرأي المرفوض أصلاً ، ويشير سبحانه أن هذا الرفض السلبي المنغلق للأفكار الجديدة دون دراسة وفحص ، يؤدي إلى الهلاك لأنه يؤدي إلى الجمود الفكري والثقافي والاجتماعي قال تعالى : « وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ، وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ، وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » (الأنعام ٢٥ ـ ٢٨) ومن أبرز خصائص الإسلام دعوته إلى إعمال العقل والانفتاح على خبرات البشرية ذلك لأنه دين عقلي فإذا أعمل الإنسان عقله وفكر بمنطق سليم فسوف يكتشف الحقيقة وهي أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له « إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ » (فاطر ٢٨) فوحدة الكون ووحدة القوانين العلمية والحتمية العلمية كلها تشهد بوحدانية الله سبحانه « لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ ٱللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ » (الأنبياء ٢٢) وقد استدل القرآن الكريم بهذه الآية ـ وغيرها ـ من وحدة الكون على وحدة الإله ، كما استدل بوحدة الإله على وحدة القوانين واستمرارها « وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللهِ تَبْدِيلاً » (الفتح ٢٣) . ويدعو الإسلام إلى التفاعل مع الخبرات الإنسانية المختلفة من أجل الاستفادة بما يوجد فيها من خير ، ومن أجل تقويم ما يوجد فيها من اعوجاج حتى ينتشر دين الله ويعم الأرض كلها.

رابعاً : التكامل بين العلم والإيمان :

سبقت الإشارة إلى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحض على العلم وإعمال العقل والمنطق ويعيب على المقلدين والمقدسين للماضي دون فهم والرافضين مناقشة الجديد عن انغلاق وتحجر ، وما ذلك إلا لأن الإسلام دين الفطرة وحيثما وجهت نظرك وعقلك فسوف تدرك الحقيقة متمثلة في وحدانية الله سبحانه ، ومصدر العلم هو الله سبحانه وتعالى « وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلأَسْمَاءَ كُلَّهَا » (البقرة ٣١) . وإذا كان الله سبحانه وتعالى هو المصدر الوحيد للعلم الصادق « قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ » (الأحقاف ٢٣) وهو سبحانه خالق الإنسان والأكوان فلا تعارض بينهما فالكون هو كتاب الله المنظور والقرآن الكريم كتاب الله المقروء . وإذا حدث تعارض فهذا دليل على زيف العلم، والعلم

الزائف Psoudo Science يؤدي إلى التهلكة قال تعالى : « فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ » (غافر ٨٣ - ٨٤) .

خامساً : التكامل بين العقل والنقل أو الإيمان بالغيب ومنطق العلم

يتطلب الإيمان الكامل اليقين المطلق بالغيب كما جاء ذلك في أول سورة البقرة ، هذا الإيمان لا يخضع لمنطق العقل والتجريب مباشرة ، وذلك لقصور العقل ومحدوديته . غير أن الاستخدام السليم للعقل - في ميدانه - سوف يؤدي إلى تعميق الإيمان بالغيب قال تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (فصلت ٥٣) وقد ترك الرسول عليه الصلاة والسلام للعقل البشري مطلق الحرية في البحث في العلوم الطبيعية حيث قال عليه السلام « أنتم أعلم بأمر دنياكم » (رواه مسلم ١٨٣٦/٤) .

سادساً : ضرورة أن يكون العلم موجهاً لما يرضي الله سبحانه :

يجب أن يكون طلب العلم ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى وعدم توجيهه لدمار الإنسان أو في مجال الشرور أو ابتغاء المكاسب الدنيوية الرخيصة وقد استعاذ رسولنا الكريم من شر علم لا ينفع .

سابعاً : ضرورة العمل على نشر العلم وتعليم الناس :

أشار الرسول الكريم إلى أن خير الناس هم من يتعلمون القرآن الكريم ويعلمونه لغيرهم ، واعتبر القرآن الكريم أن حرمان الناس من التعليم ذنباً يقترفه العلماء الذين يجب عليهم نقل ما منَّ الله به عليهم من علم إلى الآخرين . يقول تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » (البقرة ١٥٩) .

ثامناً : استمرارية التعلم وعدم تقيده بسن

ينبِّهنا القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر العلم وهو سبحانه

الذي علم الإنسان ما لم يعلم ومهما نما علم الإنسان فهو قليل « وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً » (الإسراء ٨٥) وطلب العلم فريضة على كل مؤمن من المهد إلى اللحد « وَفَوْقَ كلِّ ذِي عِلْم عليمْ » .

تاسعاً : ضرورة إيجاد علاقة شخصية وطيدة بين المتعلم والمعلم :

وقد طبق الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ حيث كان يجمع المسلمين في المسجد (الصحابة عليهم رضوان الله الذين صاحبوه عليه الصلاة والسلام) ويوجههم ويربّيهم ويرشدهم ويعلمهم مبادىء دينهم الحنيف . وهذه العلاقة لها أهميتها حيث أن القضية لا تتعلق فقط بالمعلومات وإنما تتعلق بالسلوك والقدوة . وفي أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ما يشير إلى أهمية صحبة المتعلم لأستاذه وأثر ذلك في تقويم السلوك وتصحيح القيم والاتجاهات .

وهناك صلة وثيقة بين بناء الشخصية الفردية وبين الصحة النفسية ويعد تكامل الشخصية - بالمفهوم الإسلامي الذي يقوم على غرس الدوافع الايمانية المكتسبة التي تستند إلى أساس فطري وهو الفطرة السليمة - شرطاً ضرورياً للصحة النفسية والتوافق الاجتماعي السوي . ومن أهم العوامل التي تخل هذا التكامل غياب العقيدة السليمة التي تفسر للإنسان وجوده وحياته والكون والمصير إلى جانب الصراعات النفسية العنيفة والموصولة - سواء الشعورية أو اللاشعورية - وترتبط الصحة النفسية أشد الارتباط بنوعية التربية وأساليبها ومضامينها . يضاف إلى هذا أن من أهم سمات الشخصية المفككة غير المتكاملة - غياب الإيمان والدوافع الايمانية ، وكثرة الصراعات الداخلية والخارجية الشعورية واللاشعورية والعجز عن التوافق السوي مع المجتمع والآخرين والعجز عن العمل والانجاز والعجز عن العطاء .

وإذا استطاع الفرد أن يعيش في زحمة هذه الحياة عيشة راضية مرضية في حدود عقيدته وقيمه وقدراته واستعداداته قيل إنه حسن التوافق ، أما إن عجز عن ذلك بالرغم مما يبذله من جهود قيل إنه سيء التوافق Maladjusted . ويعرف سوء التوافق بأنه حالة دائمة أو مؤقتة تبدو في عجز الفرد وإخفاقه في حل مشكلاته اليومية خاصة الاجتماعية بشكل لا يحقق معه ما ينتظره الغير منه أو ما ينتظره هو من نفسه . وهناك مجموعة من الميادين التي تتصل بالتوافق وعدم التوافق ، فهناك التوافق أو سوء التوافق المهني ، والتوافق الأسري والتوافق الديني والتوافق الاقتصادي والتوافق التعليمي . . . غير أن هذه الجوانب المختلفة تتصل بمظهر التوافق العام الذي يتعلق بمدى تمسك الفرد بالعقيدة والقيم وقدرته على التعامل السوي مع الآخرين وإقامة صلات راضية مرضية معهم وقدرته على العمل وأن يكون إنساناً منجزاً . ولسوء التوافق العام مظاهر شتى ودرجات تختلف شدةً وعنفاً وإزماناً واستعصاءً على العلاج ، فقد يبدو في صورة انحراف خفيف أو سلوك مغرب لا يكاد يوصف بالشذوذ ، أو في صورة مشكلة سلوكية مما يعرض لكثير من الأطفال كقضم الأظافر أو التبول القسري أو التمرد والعناد ، أو السرقة والكذب ، كما يبدو في صورة تمرد شديد لدى المراهق أو ميله الشديد للانطواء . وقد يبدو في صورة أشد عنفاً

كالأمــراض النفسية Neuroses والأمــراض النفسية المهنية والأمــراض النفسية الجســمية Psycho-Somatic والانحرافــات الجنسية Sex Deviance والاجــرام Criminality وأخطر ضروب سوء التوافق هو الأمراض العقلية Psychoses التي تسمى في اللغة الدارجة بالجنون ، تلك الأمراض التي تجعل الفرد غريباً عن نفسه وعن الناس ، خطراً على نفسه وعلى الناس ، مما يقعده عن العمـل ويتطلـب من المجتمع عزله والإشراف عليه وعلاجه . ولسوء التوافق العام عدة أسباب بيولوجية أو نفسية اجتماعية Psycho-Social . فمن الأسباب البيولوجية تلف الجهاز العصبي المركزي Nervous system أو الجهــاز الغــدي Glandular System أو الاختلال الكروموزومي أو ضعف العقـل الشـديد . . . أمـا الأسبـاب النفسية ـ الاجتماعية فإنها تتعلق بالتـربية التـي تفشـل في مساعـدة الطفـل على استدمـاج الدوافع الايمانية والقيم الدينية Internalization ، وتفشل في تقديم القدوة الصالحة للنشء وتصيبه بالإحباطات Frustrations (وهي مشكلات وأزمات نفسية تنشأ عن وجود معوقات مادية أو جسمية أو نفسية أو اجتماعية تعترض إرضاء حاجات الفرد ودوافعه وتسبب له أزمات نفسية) . وهنا يلجأ الفرد إلى الحيل الدفاعية تخفيفاً من هذه الأزمات*، فإذا لم يوفق في ذلك لجأ إلى أساليب ومحاولات شاذة .

وإذا ما تساءلنا عن معيار السـواء والانحـراف نجـد أن الباحثـين يقدمـون مجموعة من المعايير يهمنا أن نعرضها بإيجاز مع مناقشتها وعرض المعيار الإسلامـي الصحيح .

أولاً: المعيار المثالي : ويذهب أنصاره إلى أن السوي هو الكامل أو ما يقرب منه فقوة الابصار السوية مثلاً ليست هي قوة الإبصار المتوسطة بل الكاملة وهذا هو المعيار الذي يقصده أتباع مدرسة التحليل النفسي عندما يقولون إنه لا توجد شخصية سوية . ولعل المشكلة هنا هي اختلاف الباحثين عند تحديد معيار الشخصية المثالية .

---

* من أهم هذه الحيل الدفاعية Defence mechanisms ، العدوان بكل أشكالـه سواء الموجـه للغـير أو العدوان المزاح أو العدوان المرتد أو الايذاء الذاتي Mnesism ، الإستسلام Resignation ، الجمود Fixation ، النكوص Regression ، التبرير Rationalization ، الإسقــاط Projection ، التـكوين العكسي Reaction Formation ، التعويض المسرف Over Compansation ، أحلام اليقظة Day Dreams ، التقمص Identification .

ثانياً: المعيار الاحصائي : ويذهب أنصاره إلى أن السوي بوجه عام هو من لم ينحرف كثيراً أو إطلاقاً عن المتوسط، وهو الذي يمثل الجزء الأعظم من المجموعة وفق منحنى التوزيع الطبيعي Normal Curve . وبناء على هذا المعيار تختلف معايير الشخصية السوية من مجتمع إلى مجتمع ومن فترة زمنية إلى أخرى داخل نفس المجتمع ولا يوجد معيار عام باطلاق . هذا إلى جانب أنه يجعل المتمسكين بالقواعد تمسكاً شديداً مثلهم مثل المتسيبين تماماً، حيث يعدهما من المنحرفين عن المتوسط الحسابي.

ثالثاً : المعيار الحضاري : يرى أن السوي هو المتوافق مع المجتمع أي الذي يجاري قيم المجتمع وقوانينه ومعاييره وأهدافه . ولهذا المعيار أكثر من عيب وعليه أكثر من مأخذ ، فهو يرى أن السواء هو الامتثال التام لقوانين المجتمع وقيمه حتى وإن كانت فاسدة (كما هو الحال في عبادة البقرة في الهند وعبادة الطواطم في الكثير من المجتمعات المتخلفة ومثل شرب الخمر ولعب الميسر والاتصالات الجنسية غير المشروعة في العديد من الدول الأوروبية) تتطلب من الفرد العمل على إصلاحها وتغييرها بدلاً من التكيف معها . يضاف إلى هذا اختلاف معيار الاستواء والانحراف من حضارة إلى أخرى ، فوأد البنات في الجاهلية لم يكن جريمة لأنه يتفق مع عادات العرب وتقاليدهم ، والانتحار في الحضارة الغربية دليل على اضطراب نفسي أو عقلي في حين أنه ظاهرة سوية في اليابان في بعض الظروف ، والارتياب الشديد وتوهم العظمة والاضطهاد التي نراها من أعراض « جنون التوهم أو العظمة » تعد سلوكاً لا انحراف فيه عند الهنود الحمر في بعض قبائل الساحل الشمالي للمحيط الهادي . . . وهذا يعني عدم وجود معيار عام للسواء والانحراف.

رابعاً : المعيار السيكولوجي أو الطبي النفسي : ويذهب أنصاره إلى أن الشخصية الشاذة هي ما كان انحرافها ناجماً عن صراعات نفسية لا شعورية أو خللاً في الجهاز العصبي أو الغدي للانسان ، غير أن المعيار لا يخلو من المآخذ الهامة، فقد يخلو إنسان ما من الصراعات النفسية أو الاختلالات العضوية، لكنه لا يؤمن بالله أو يمارس سلوكاً يغضبه سبحانه فكيف يمكن اعتباره سوياً ؟

خامساً : المعيار الإسلامي الصحيح : اتضح أن العلماء يختلفون في تحديد معيار السواء والانحراف المثالي ـ لأنها معايير وضعية مختلف عليها . أما المعيار الاحصائي والمعيار الحضاري فمن الواضح فسادهما . فبناء عليهما تعد المرأة التي تتزوج أكثر من رجل ـ في بعض القبائل مثل قبيلة التودا في الهند ـ ظاهرة سوية لأنها تتفق مع ما يفعله أغلب سكان هذه القبيلة . وعبادة البقرة في الهند ظاهرة سوية ، والاقدام على الانتحار ظاهرة سوية بين بعض جماعات البوذيين في اليابان ، والاتصالات الجنسية خارج الزواج تعد ظاهرة سوية في مجتمع ساموا الذي درسته « مارجرين ميد » وفي مجتمعات الغرب وفي الكميونات الصينية . . . الخ . لأنها ظواهر يمارسها غالبية السكان في تلك المناطق ، ولا شك أن هذا هراء لا يقبله عقل ولا منطق . أما المعيار النفسي فلا يمكن الاعتماد عليه لأنه قد يخلو إنسان ما من الصراعات الداخلية ولكنه يمارس رذائل . يبقى بعد هذا المعيار الإلهي العام والشامل الذي صممه خالق الإنسان ومبدع الكون وهو الله سبحانه وتعالى . ويتمثل هذا المعيار في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره والعمل بمقتضى مبادىء الشريعة الإسلامية وتمثل القيم الإسلامية التي تقوم على الإخلاص والصدق والاستقامة ومراقبة الله سبحانه في السر والعلن والعدل والتقوى . . . . وهذا المعيار عام شامل .

مؤشرات الصحة النفسية بالمفهوم الإسلامي

هناك مجموعة من المؤشرات التي يمكن من خلالها الحكم على شخصية الإنسان بالاستواء أو الانحراف ، وبالتالي معرفة مدى ما يتمتع به الشخص من صحة نفسية .

أولاً : الايمان الكامل اليقيني بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . وهذا العامل يستغرق كل العوامل التالية :

ثانياً : التوافق الاجتماعي مع الغير ، بمعنى القدرة على عقد صلات اجتماعية راضية مرضية مع الآخرين قوامها التعاون والتسامح والايثار فلا يشوبها العدوان أو عدم الاكتراث لمشاعر الآخرين . يقول تعالى « مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » (الفتح ٢٩) وقال تعالى « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (المائدة ٥٤) . والرضا المتبادل سمة من سمات العبد المؤمن ليس فقط بينه وبين الناس ولكن بينه وبين ربه كذلك. يقول تعالى « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ، جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » (البينة ٧ ، ٨) ويوجهنا سبحانه إلى ضرورة إيجاد علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين تخلو من التكبر والخيلاء « تِلْكَ ٱلدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (القصص ٨٣) وقال تعالى « وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ » (لقمان ١٨ ، ١٩) . وتتضمن خصائص عباد الرحمن كما جاءت في القرآن الكريم أسمى خصائص التوافق النفسي والاجتماعي السوي الفاضل « وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً . . . الآيات » (الفرقان من ٦٣ ـ ٧٧) ويخبرنا عليه الصلاة والسلام أن أقرب المؤمنين مجلساً منه يوم القيامة أحاسنهم أخلاقاً والموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون . فهذا هو الحب بمعناه الواسع الذي يعد مؤشراً على الصحة النفسية بالمفهوم الإسلامي ، الحب الواسع ـ حب الله وحب الرسول عليه الصلاة والسلام وحب المؤمنين وحب الأهل وحب الجنة . . .

ثالثاً : التوافق الذاتي : وهي تتمثل في قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقاً يرضيها بشكل متزن وفي إطارما تسمح به العقيدة السمحة والتوجيهات القيمية الإسلامية . فالمسلم قادر على ضبط نفسه وضبط شهواته حتى يستطيع ممارستها بالأسلوب المشروع يقول تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ ٱللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ ٱلتَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى ٱللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (النور ٣٠ ، ٣١) وقال تعالى في نفس السورة « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَءَاتُوهُم مِّنْ مَّالِ ٱللهِ ٱلَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٣٣) وقال تعالى « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » (طه ١٣١) ـ وقال تعالى « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً » (الكهف ٢٨) .

رابعاً : الشعور بالسمو والعزّة والعلو والقدرة على مواجهة الصعاب والأزمات والشدائد دون إسراف في العدوان أو النكوص أو محاولة استدرار العطف والرثاء للذات Self Pity

والمؤمن دائماً يشعر بالعزة فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين . والمؤمن قوي في كل حالاته مستعل في كل الظروف لأنه خليفة الله سبحانه ويتمتع بروحه سبحانه « وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوْا وَأَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ، إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَٱللهُ لاَ يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ » (آل عمران ١٣٩ ـ ١٤٠) وقال تعالى « وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلأَرْضِ مَرَحاً إنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » (لقمان ١٨) فالمؤمن معتز بنفسه يشعر بالسمو والعلو ولكنه لا يوجه هذا الشعور للظلم والعدوان وإنما يوجهه في الخير فهو صادق وعادل ومستقيم يراقب الله في السر والعلن ويعترف بتكريم الله له ويحرص على أن يكون أهلاً له في كل سلوكه .

خامساً : الشعور بالرضا والسعادة : ويتمثل في استمتاع الفرد بالحياة : بعمله وأسرته وأصدقائه وشعوره بالطمأنينة وراحة البال والأمن في أغلب أحواله . فالمؤمن لا يشعر بالخوف على المستقبل لأن المستقبل غيب والغيب بيد الله ولا يقلق على الموت لأنه يعلم أنه السبيل إلى الحياة الأبدية ـ في جنة الخلد إن كان من المؤمنين حقاً ، وهو لا يقلق على الرزق لأنه يوقن « إنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ » (الذاريات ٥٨) ويوجهنا سبحانه إلى عدم نسيان نصيبنا من الدنيا قال تعالى « وَٱبْتَغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة وَلاَ تنسَ نصيبك من الدنيا »ويقول تعالى «يَا أَيُّها ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ، وَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَٱتَّقُوْا ٱللهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ »

(المائدة ٨٧ ، ٨٨) « وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » (البقرة ١٧٢) وقال تعالى « وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ، هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل ٨ - ١١).

سادساً - القدرة على العطاء والانجاز والعمل : ويقصد بذلك أن يكون الإنسان له دور إيجابي في حياة أسرته ومجتمعه حيث يقوم بالعمل أو الانتاج المعقول في حدود ذكائه وحيويته واستعداداته ، وكثيراً ما يكون الكسل والخمول والسلبية مؤشرات لشخصيات هدتها الصراعات والأمراض النفسية بشتى أشكالها. والمؤمن منتج منجز إيجابي ، والانسان كما يريده الله سبحانه قوة فاعلة موجهة مريدة وهو قوة موجبة في واقع الحياة فهو يتأمل في مخلوقات الله يحاول استغلالها لصالحه بعد أن سخرها الله سبحانه وتعالى له قال تعالى « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ » (الرعد ١١) وقال تعالى « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الجاثية ١٣) وقال تعالى «فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الجمعة ١٠)

وواجب المربي أن ينشأ المؤمنون على أساس هذا النموذج المتميّز للشخصية الإسلامية ، تلك الشخصية التي تقوم على أساس الإيمان والتوافق الاجتماعي والتوافق الشخصي والخلو من الصراعات والقلق والقادرة على الصمود أمام الشدائد والقادرة على العطاء والإنجاز والعمل ، والتي تتمثل مجموعة من القيم الموجّهة التي تدور حول مراقبة الله والصدق والإخلاص والاستقامة والعدل والمساواة . . . الخ .

مراجع الفصل السادس

اعتمدنا في هذا الفصل بصفة أساسية على كتاب الله الكريم والأحاديث الصحيحة كما وردت في كتب الحديث ، وقد أثبتنا السور وأرقام الآيات الكريمة بعد الآيات مباشرة ، كما أثبتنا راوي الحديث عقب كل حديث . وإلى جانب هذين المصدرين الأساسيين استعنّا ببعض الدراسات التي أجريت حول قضية التربية الاسلامية - وهي كثيرة - أهمها ما يلي:

١) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧م.
٢) أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية - بيروت دار الكشاف ١٩٥٤م .
٣) أحمد محمد جمال : محاضرات في الثقافة الإسلامية - مصر، مطبوعات الشعب ١٩٧٥م.
٤) أبو الأعلى المودودي : منهج جديد للتربية والتعليم - دار النذير - بغداد ١٩٦٩م.
٥) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية - دار الشروق بدون تاريخ .
٦) محمد أسعد طلس : التربية والتعليم في الإسلام - بيروت - دار العلم للملايين ١٩٥٧م.
٧) ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، جمعية عمال المطابع التعاونية - عمان ١٩٧٨ م .

محتويات الكتاب